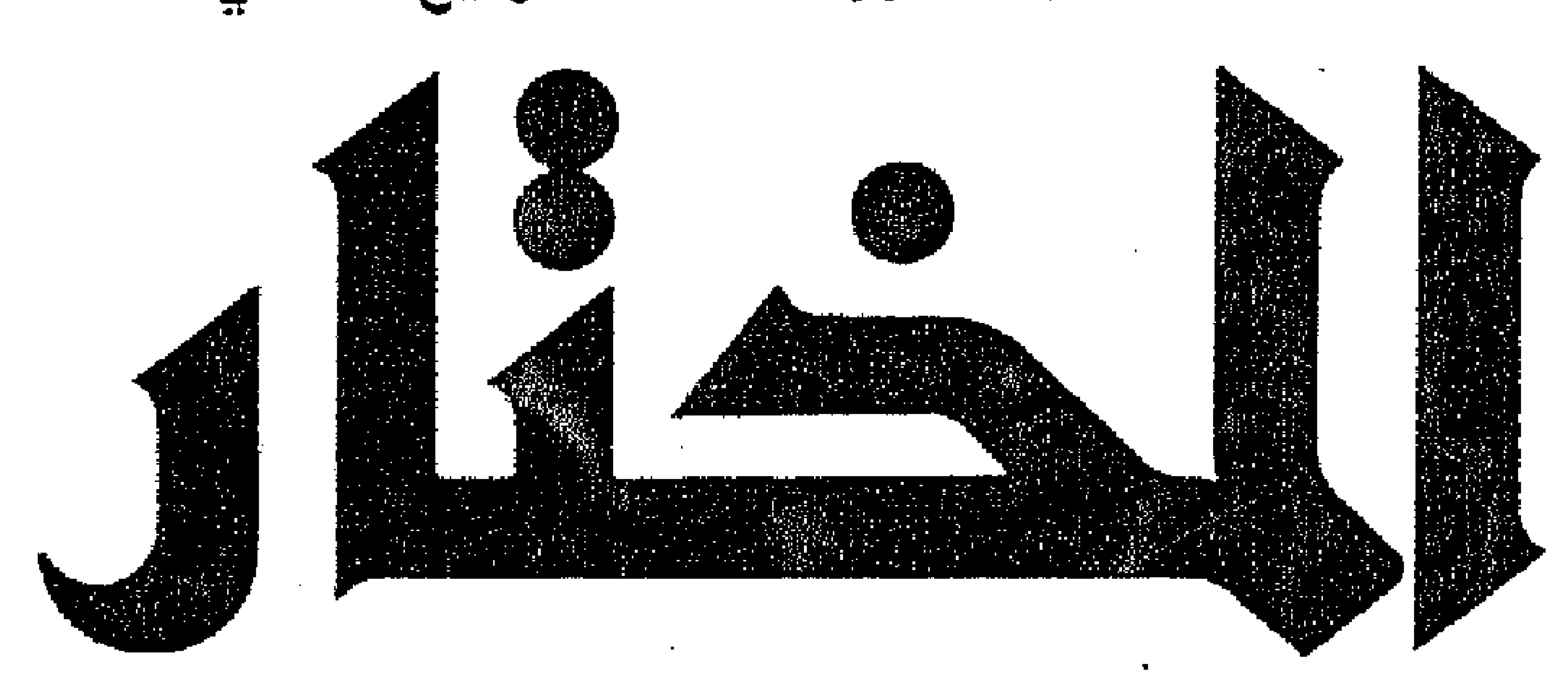
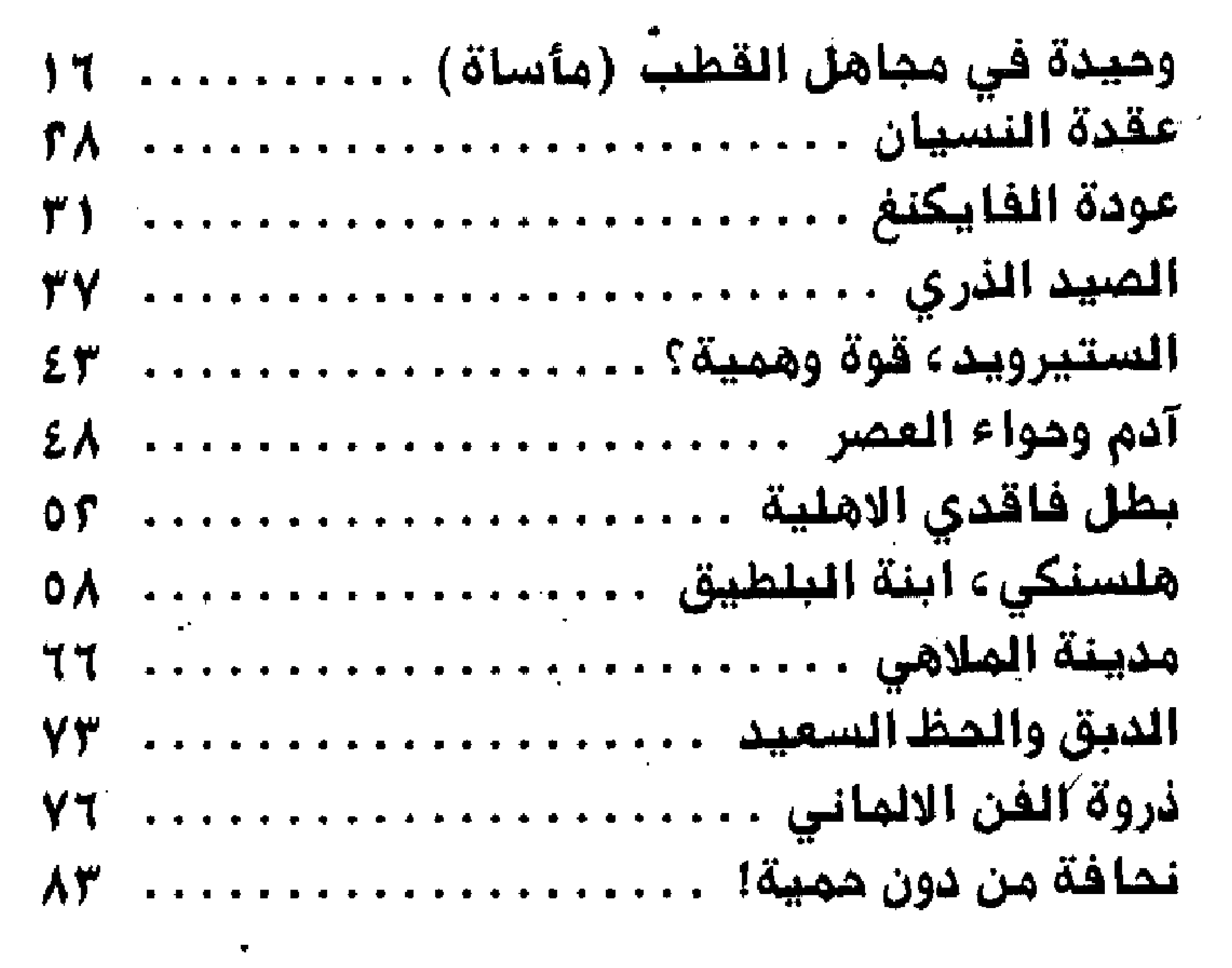

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، ربيع الثاني ١٤٠٩



من ريدرز دايجست

Al MUKHTAR min Reader's Digest December '88 N° 121





اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

December 88 N° 121 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية. (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

٢٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - ...دية ١٠ر - مصر ١٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٥:

في عشر، وبعد عشر...

مع هذا العدد من "المختار"، كنا نود ان نتوقف قليلا لنعرض معا السنين العشر التي انقضت على صدور السلسلة الجديدة من المجلة (ديسمبر/ كانون الاول ١٩٧٨). الا ان ظروف العمل - من بيروت - تكاد تنسينا حتى عمرنا.

بيد ان هذه الظروف، على قساوتها، كانت تحفزنا دائما على المزيد من الاقدام والتضحية، لا بل السخاء في الخدمة، خدمة القراء.

ونود التأكيد، في هذه المناسبة، اننا مجلة ترمي الى التأثير الايجابي في الناس، بصرف النظر عن عقائدهم واديانهم ولغاتهم واعراقهم وانتماءاتهم السياسية ومواقعهم الجغرافية. وان القيم التي تؤمن بها "المختار" وتنشرها هي من النوع الثابت والدائم، في عالم سريع التغيّر. وهي قيم تُدَّخر وتنقل، مثل الارث العائلي - من جيل الى جيل.

ونحن نقود، في هذا الاتجاه، تياراً يقوم على احترام الانسان كفرد، واحترام القيم التي يؤمن بها وفي مقدمها الحرية، ولاسيما حرية الوصول الى المعرفة.

وقد تجلت هذه القيادة في اصرارنا على الموضوعية الحق، وعلى الدقة والتجرد وعلى نشدان الحقيقة وحض الناس على الاجتهاد والتضامن الاجتماعي ونبذ العنف والارهاب والابتعاد عن كل ما هو مؤذ ومنكر مثل "الايدز" والكحول والمخدرات.

ويكاد لا يخلو عدد من "المختار" من مقال واحد عن هذه القضايا. وكلنا يعلم الاخطار التي يشكلها ادمان المواد الضارة على المجتمع العربي ولاسيما على شبابه وشاباته.

ولقد كان دعم القراء لنا في هذا المجال واضحا وثابتا.

واذ نقدر لقرائنا وفاءهم نعدهم بمضاعفة الجهد في خدمتهم والنضال من اجل القضايا التي تهمهم وتؤثر في حياتهم وفي مستقبل اجيالهم الطالعة.

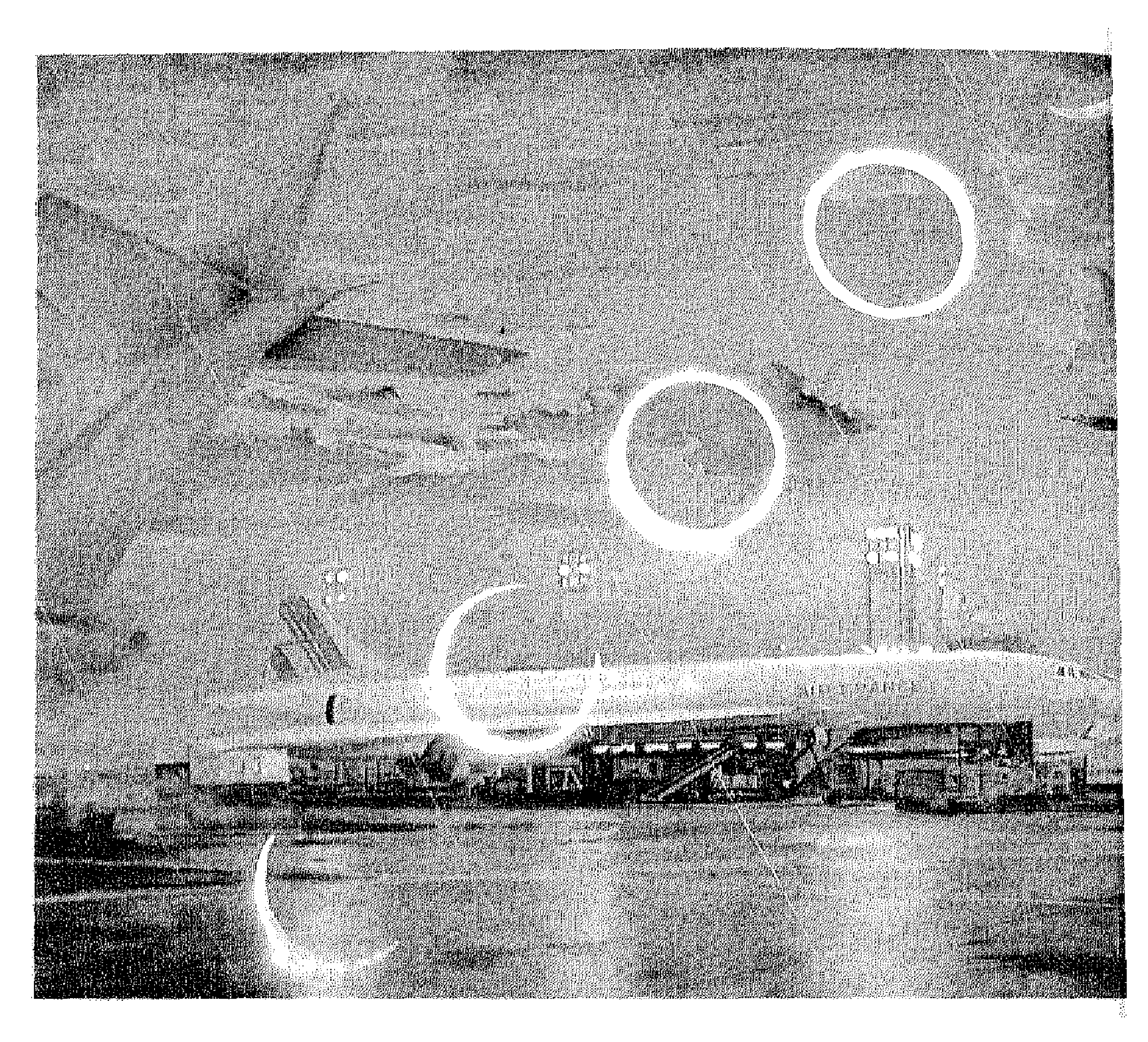
ووعد الحر دين.

ادمون صعب


قمّة الإتقان ... الحنان.
لقاء الفن
والسّفر
AIR FRANCE

لقـــاء الفـــن والسّـفـــر

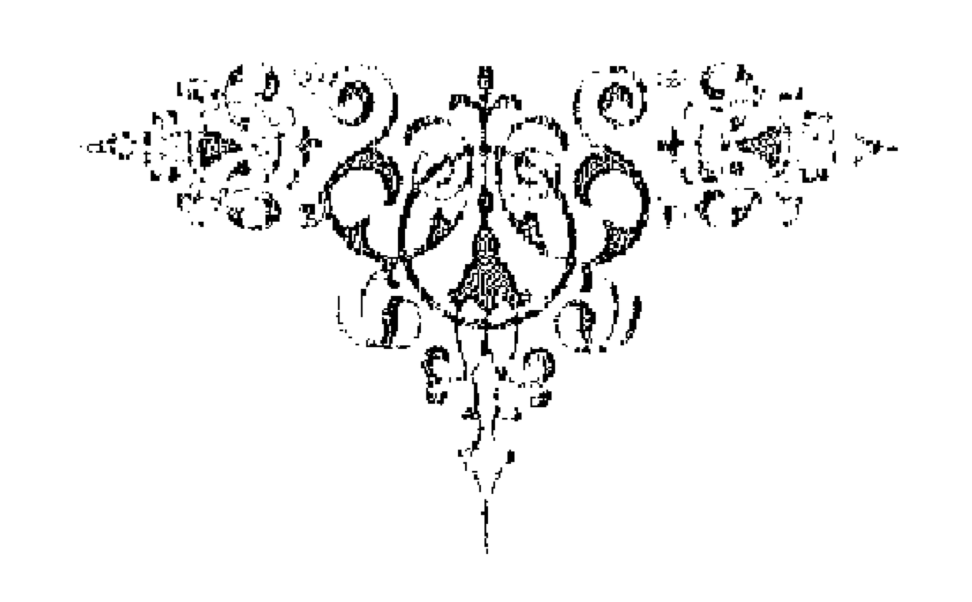
بريشـة مونـوري .*Monory*



F-E. السفر بنظر الفنان الفرنسي مونوري يتضمّن معنىً سحريًا. فحين طلبنا منه ترجمة
"لقاء الفن والسفر"، أبدى انبهاره بطائرتنا الكونكورد. بالنسبة اليه تعكس هذه، الصورة
للانسان الذي يعشق السفر. وإذا فَقَدَ السفر سحره بنظرك ـ فمتد حان الوقت
ر على متن الخطوط الجويّة الفرنسيّة .



لماذا يجلس الضيف العزيز الى يمين المضيف؟ ولماذا نتنحى جانباً وندع الشخص الاكبر سناً أو الاعلى مقاماً يعبر الباب أولا؟ إن لذلك أسباباً تاريخية عجيبة



يعتقد كثيرون أننا نعيش في عصر التصرفات الفظة وأن الامور كانت أفضل في العصور السابقة. ومثلا على ذلك يُعرف القرن الثامن عشر في بريطانيا بعهد الدماثة العالية في العلاقات الاجتماعية. فنتوق بحنان الى ضوء الشموع والمجاملات المصطنعة وتقبيل الايادي، رافضين جبه الحقيقة المرة لذلك العصر حيث كانت المبارزات حتى الموت أمراً عادياً وكان الرجال المحترمون يشربون حتى يتعتهم السكر.

إن العادات تتغير. ففي أيامنا تعتبر النظافة من العادات الحسنة، وتنفق مليارات الدولارات على المستحضرات المراد منها إبقاؤنا نضرين. وخلافاً لذلك كان معظم أطباء القرن الثامن عشر يشمئزون من الاستحمام وكانت مناديل الرأس النسائية الباهظة الثمن مرتعاً للقمل.

إن تغير الآداب على الدوام يجعل من مقاربة هذا الموضوع أمراً صعباً. فإبقاء القبعة على الرأس داخل المنازل لم يكن يعتبر تصرفاً مستهجناً في القرن الثامن عشر. كان المرء ينزعها عن رأسه لتحية سيدة ثم لا يلبث ان يعتمرها ثانية.

أما سبب ذلك فهو في منتهى البساطة: أولا، كانت القبعة عبر التاريخ علامة مميزة لمركز أو رتبة اجتماعية. ثانياً، ليس سهلا أن يشهر المرء سيفه وهو يحمل قبعته في يده.

الحذر خلف الآداب. هناك عبرة في كل ذلك. فالآداب هي، الى حد بعيد، مجرد أدوات للدفاع عن النفس تتناسب

وأعراف عصر معين. وقد تصبح هذه الاعراف رسمية ورمزية بعد آن، لكنها من دون شك نابعة من حاجة عملية معينة. عندما نلتقي أحداً نصافحه عادة باليد اليمنى، وهذا عرف رسمي ليس له اي مدلول رمزي في أيامنا. ولكن في عصر اعتاد فيه الجميع حمل الاسلحة كانت المصافحة ترمز الى السلام وتدل على الرغبة في التحاور من دون سلاح في اليد. فإن ما نعتبره اليوم عادة حسنة كان آنذاك تعبيراً عن "انني لا أضمر لك شراً في هذه اللحظة إن أنت أظهرت نية حسنة مماثلة."

وبالمفهوم ذاته يعتبر المقعد الذي الى يمين المضيف مقعد شرف، وتقول احدى النظريات عن مصدر هذه العادة ان الرجل الذي يستعمل يده اليمنى لا يمكنه طعن مضيفه بسهولة إذا كان جالساً عن يمينه. فالذي كان مكاناً مأموناً لخصم أصبح تدريجاً مقعد شرف لضيف مهم.

وحيثما نظرنا نرى الحذر يكمن خلف الآداب. ففي الايام الخوالي كان المضيف يتذوق الشراب قبل تقديمه للضيوف، ليس لإثبات جودته بل لإثبات أنه غير مسمم. وكان الخادم يصب الشراب من وعاء فضي مصقول لاثبات حسن نية المضيف تجاه الضيوف. إذ كان يعتقد ان الفضة تبطل مفعول السم في الشراب.

لماذا نتنحى جانباً وندع من هو أكبر منا سناً أو أعلى شأناً يمر من الباب أولاً؟ تقول احدى النظريات انه في العصور الوسطى كان من الحكمة أن الرجل الاقوى يترك القلعة أولا لاحتمال تعرضه لهجمات الاعداء المسلحين أو القرويين المتمردين الذين يلوحون بالمناجل والمذاري، وتدريجاً بدأ هذا الوضع يأخذ مكانته في سلم الشرف. فبات الشخص الأهم يعتبر أيضاً الشخص الأقوى، وحتى ان لم يكن كذلك فهو لم يكن لينكره.

احترس من نهر هادىء. الآداب هي وسيلة المجتمع في جعل الامور تسير طبيعياً. فإذا لم "يزيّت" المرء العلاقات كما المحركات فإن الطبائع تثور ويخوض الناس معارك يمكن تفاديها.

والى ذلك فإن حفاظ المرء على تأدبه مهم حتى إذا ما تخلى عنه لحظة عرف الناس أنه جاد في ما يقول أو يفعل. عندما كان الرئيس الامريكي الاسبق دوايت أيزنهاور يغضب ويشتم كان الناس يهربون من أمامه لأنه كان عادة شديد اللطافة والتأدب.

فالناس الذين يتحلون باللياقة واللطف وحسن التصرف ينجحون في معظم المواقف أكثر من الذين لا يتحلون بهذه الصفات. فإن معظم المفاوضات تصبح مستحيلة من دون التأدب، مما يفسر شهرة الديبلوماسيين بكياستهم وحسن تصرفهم. كما أن أفضل المحامين هم الذين يتحلون بالكياسة واللطافة. إحذر الرجل الذي لا يرفع صوته أبداً والذي يعاملك دائماً بكياسة ولطف، إذ انه ربما كان يتحضر لايذائك واستغلال ضعفك.

حكمة سامية. في القرن التاسع عشر كان معظم كبار حملة السلاح في الغرب الامريكي مشهورين بتأدبهم وكياستهم لأنهم كانوا يدركون أنهم إذا تركوا الامور

تفلت من سيطرتهم فإن عليهم شهر السلاح فالقتل. لقد ساعدتهم كياستهم على البقاء أحياء، إذ ان أشهر الرماة كان محتوماً أن يقتلوا وإن ربحوا مئات الجولات. كانوا قليلي الكلام ولكن شديدي التأدب واللطافة عندما يتكلمون، ولقد قيل عن الرامي الشهير وايلد بيل هيكوك انه في اللحظة التي يتوقف فيها عن الابتسام لك فاعتبر نفسك في عداد الاموات. ويروى أن جون وسلي هاردن كان يحاول جاهداً اقناع الناس الذين يريدون افتعال مشكلة معه أن يبتعدوا عنه.

وعلى رغم أن البشر موصوفون بالعنف فإن معظم الناس يفضلون تجنب المواجهة. وان تجنب المواجهة هو كل ما تهدف اليه الآداب. فالآداب تمثل انتصار المدنية على البربرية كما تمثل التطبيق العقلاني للمصلحة الذاتية المستنيرة. فالآداب لا تعكس الضعف بل هي دليل حكمة وحصافة.

وفي الختام ليس هناك أي كسب في أن تكون شرساً مع الناس، لا في الامور الصغيرة التي تواجهها في حياتك اليومية ولا في الامور الاهم والاكبر. فالآداب هي طريقة البشرية في القول: "دعنا لا نتقاتل إلا إذا اضطررنا." وقد لا تكون هنالك حكمة أسمى من هذه، في الديبلوماسية وفي الاعمال وفي الحب والزواج وفي جميع علاقاتنا اليومية.

مايكل كوردا ■



تجنباً للازعاج...

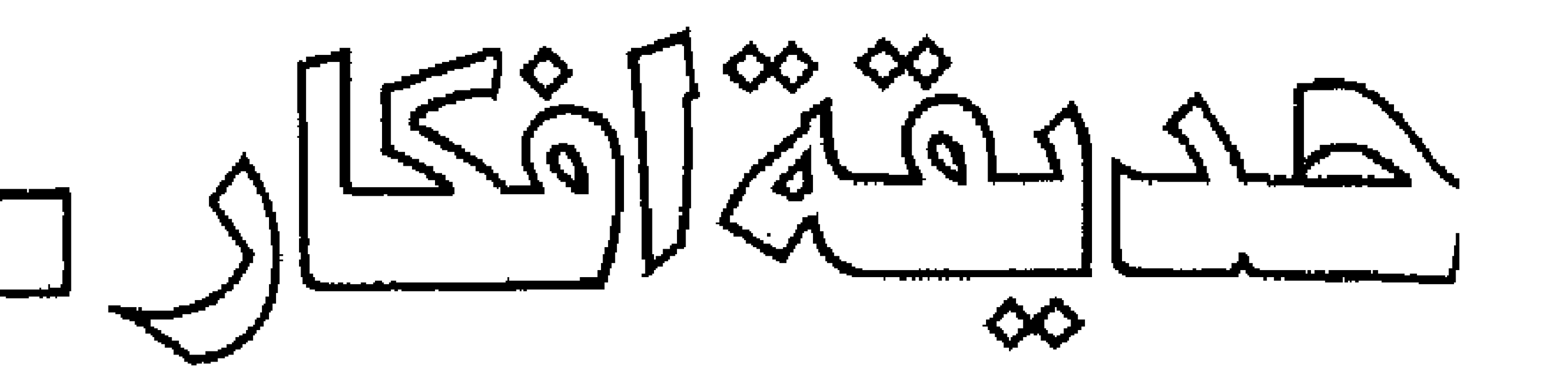
عندما جاء الحرفيون ليهدموا المدخل المسقوف لبيتنا القديم ويبنوا رِواقاً جديداً، كانوا ينقلون عدداً من المعدات الكهربائية التي تحتاج الى مآخذ للتيار من منزلنا. فكان علينا كل صباح ان نفتح لهم الباب لكي يمرروا سلكاً إضافياً من خلال ثقب صندوق البريد، وكانوا لاحقاً في اثناء النهار يطلبون نزع السلك من المأخذ. وفي وقت متقدم من بعد ظهر ذات يوم، قرعوا الباب ليعلمونا أنه يتعين عليهم ان يستأجروا احد الاجهزة الذي لا يُتاح استعماله الا في الساعة السابعة من صبيحة اليوم التالي. وقال احد الرجال: "بودنا يا سيدتي، اذا كنتِ لا تمانعين، ان نترك السلك الكهربائي داخلاً في ثقب علبة البريد خلال هذا الليل حتى لا نضطر الى إيقاظكم عندما نوصل الثقّابة بالقابس الكهربائي في الصباح."

ل.و.

وظِّفوني!

تخرّج شاب في الجامعة وراح يبحث عن عمل. وإذ لم يكترث له أي من أرباب الاعمال خطرت له فكرة: طبع على ٢٥ قميصاً بياناً مفصلا عن سيرته وأرسل القمصان الى مديري ٢٥ شركة مرفقاً كلا منها ببطاقة جاء فيها: "جربوني. أضمن لكم أني أليق بكم."

أ.ن.



☐ ليس الكمال العلامة الاساسية للعبقرية بل التفرُّد وانتحاء آفاق جديدة.

الكاتب آرثر كوستلر (بريطاني من اصل مجري) (١٨١٣ - ١٨٨٧)

☐ شأنان يُجَلّان: الاهتمام الحقيقي بالناس ومعاملتهم بلطف. ولقد اكتشفتُ ان الودّ هو كل شيء في الحياة.

اسحق ب. سنجر
كاتب امريكي من اصل بولوني،
حائز جائزة نوبل للآداب

☐ تستطيع ان تشيح عن الواقع بعينيك ولكنك لا تستطيع الهرب من الذكريات.

س.ج.ل.

☐ التحدث عن "مجرَّد كلمات" يشبه كثيرا التحدث عن "مجرَّد ديناميت."

ك. ج. دوكاز في "كي ريبورتر"

☐ عندما تعرض شريط حياتك لا تجد سعادة اكبر من الهناء العائلي.

ج.ب.

☐ افضل داعٍ الى ترحيبك بالاحلام هو انه لا داعي الى وجود منطق فيها.

ا.ب.

☐ يقتضي فهم الحكمة حكمة، فالموسيقى ليست شأناً مهماً اذا كان الجمهور اصمّ.

والتر ليبمان، ناشر وصحافي وكاتب امريكي (١٨٨٩ - ١٩٧٤)

☐ لا تعد الحياة بالسنين فحسب، فالاحداث هي احيانا افضل التقاويم.

بنجامين ديسرايلي، رئيس وزراء بريطاني سابق (١٨٠٤ - ١٨٨١)

المختار
من ريدرز دايجست
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨ السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

حَصّنوا أولادَكمْ ضِدّ الكحول والمخدّرات

٧ خطوات تساعدكم على حماية اولادكم من الانزلاق في هاوية المخدرات

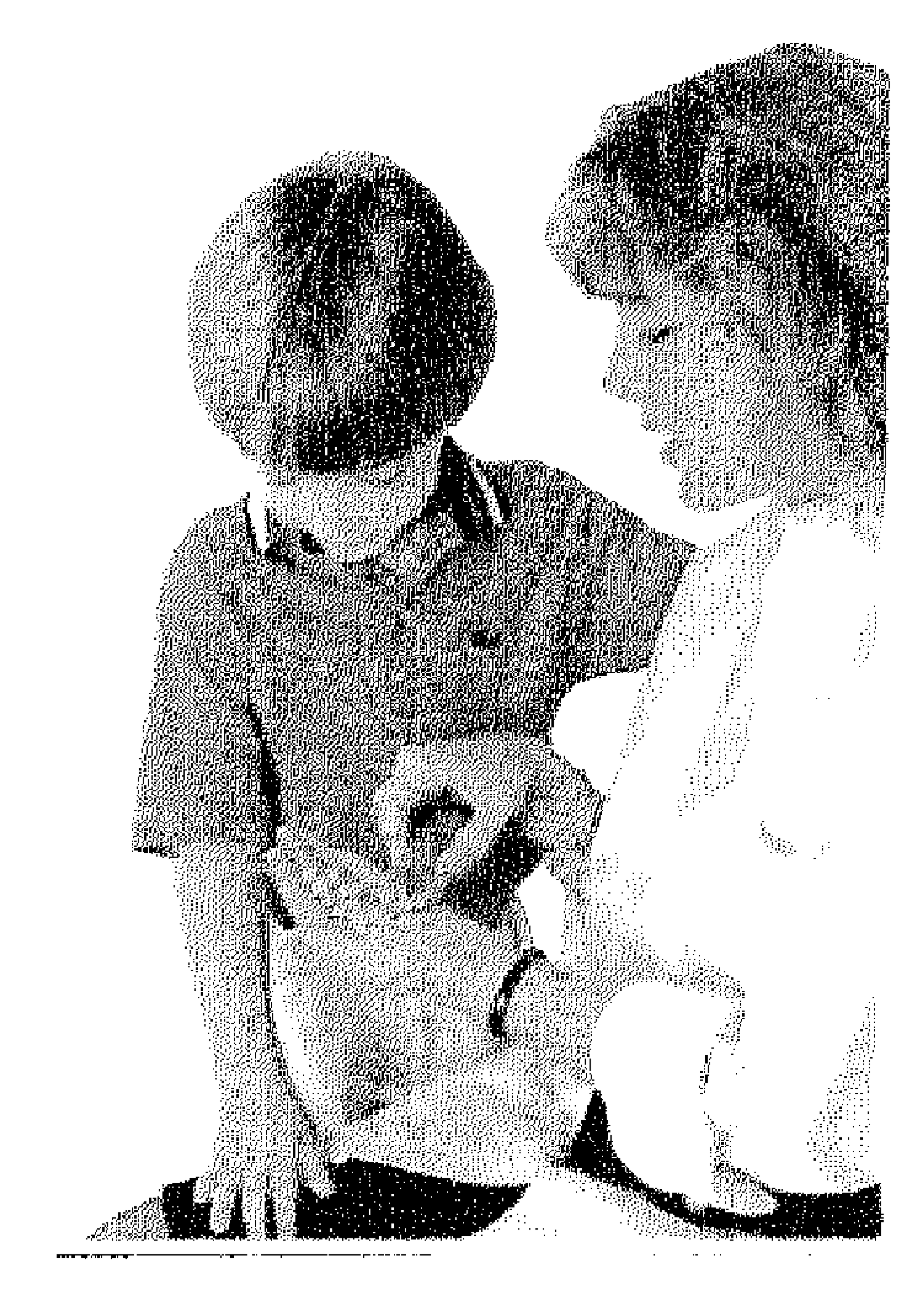
إن تعاطي الشباب للمخدرات هو وحش ماكر قد يزمجر امام كل باب ولكن كثيرين من الاهل يختارون تجاهل وجوده المشؤوم.

ففي احدى مدارس المناطق الغربية الوسطى، في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا، حيث يكثر تعاطي المخدرات، فإن نسبة الاهل الذين اعتقدوا ان اولادهم يدخنون الماريوانا كانت واحدا الى خمسة، بينما الواقع هو ان اكثر من نصف التلاميذ يتعاطون المخدرات واعترف ثلثهم تقريبا بتعاطيهم هذه المادة بانتظام.

ليس كل متعاطي المخدرات اولادا محرومين. قد يكون هؤلاء ابناء اي كان. اسألوا امي وابي عن هذه المسألة.

لقد تعاطيت المخدرات لمدة ست سنوات وكنت دائما تحت تأثير مزيج من المواد التي تشمل الماريوانا والحبوب والكوكايين والهيروبين. وبينما كان من هم في سني يخوضون غمار





الاعمال وينشئون عائلات بعد مضي سنتين على تخرجهم في الجامعة، كنت انا اعيش بين القذارة في زوايا الشوارع.

بعد ذلك، اي عام ١٩٧٤، دخلت "سانيكور" وهو مركز لمعالجة ادمان المخدرات في دنفر بولاية كولورادو. وبعد سنتين من المعالجة القاسية عملت هناك مرشدا. وفي ١٩٨٠ اصبحت رئيس المركز.

على رغم مرور اكثر من خمسة عشر عاما على توقفي عن تعاطي المخدرات، لا يزال كرب تلك الفترة محفورا في ذاكرتي.

ان خبرتي في اعادة تأهيل المدمنين اقنعتني ان في امكان الاهل ابعاد اولادهم عن المشروبات الروحية والمخدرات اذا ما هم أدركوا ما عليهم ان يفعلوا. وهذه سبع خطوات اعتقد ان على الاهل اتباعها:

١ . ثقفوا اولادكم داخل المنزل

بعض الاهل يعتقدون، خطأ، ان في مناقشتهم اولادهم في موضوعي المخدرات والمشروبات تغاضيا عن تعاطيها، فيما يترك البعض الاخر للمدرسة معالجة هذا الشأن. لكن الاولاد لا يحصلون على الحقائق كاملة عن المخدرات. من خلال المناهج المدرسية.

ان موضوعا حاسما يتعلق بصحة اولادكم، كموضوع تعاطي المخدرات، يجب الا يولى كلياً الى الغرباء. فمن تراه يملك تأثيراً واهتماماً اكثر من تأثيركم واهتمامكم باولادكم؟

قبل البدء بتثقيف اولادكم يجب عليكم ان تثقفوا انفسكم باعتمادكم المعلومات الدقيقة والحديثة. ليست هناك طريقة اهل لابعاد الولد عن اهله وافساد صدقية كلامهم، اكثر من تزويده معلومات مغلوطة خصوصاً عندما يكون الولد في سن المراهقة وتكون له بعض الخبرة في تعاطي المخدرات.

ان المعلومات الحديثة ضرورية جداً لان الدراسات الحديثة عن المخدرات تستطيع مناقضة المعتقدات القديمة المسلم بها. مثلا، ان كثيرين من الذين يعملون في الحقل الطبي كانوا يظنون ان الماريوانا غير مؤذية نسبياً ولكن "الجمعية الطبية الامريكية" تقر الان "بأن الماريوانا مخدر خطر وان تعاطيها بانتظام قد ينطوي على مجازفة لدى المراهقين". الى ذلك، فإن منتجي هذا المخدر الحاليين يعملون على انتاج ماريوانا اقوى بعشرين مرة من تلك التي كانت تنتج قبل جيل. والمقالات التي صدرت عن الماريوانا قبل منتصف الثمانينات قد تكون ناقشت موضوع مخدر آخر.

عندما تجمع الحقائق عن هذا الموضوع عليك بعرضها على شريك حياتك. اذا كنتما منفصلين او مطلقين فان مناقشة هذا الموضوع تصبح اكثر أهمية.

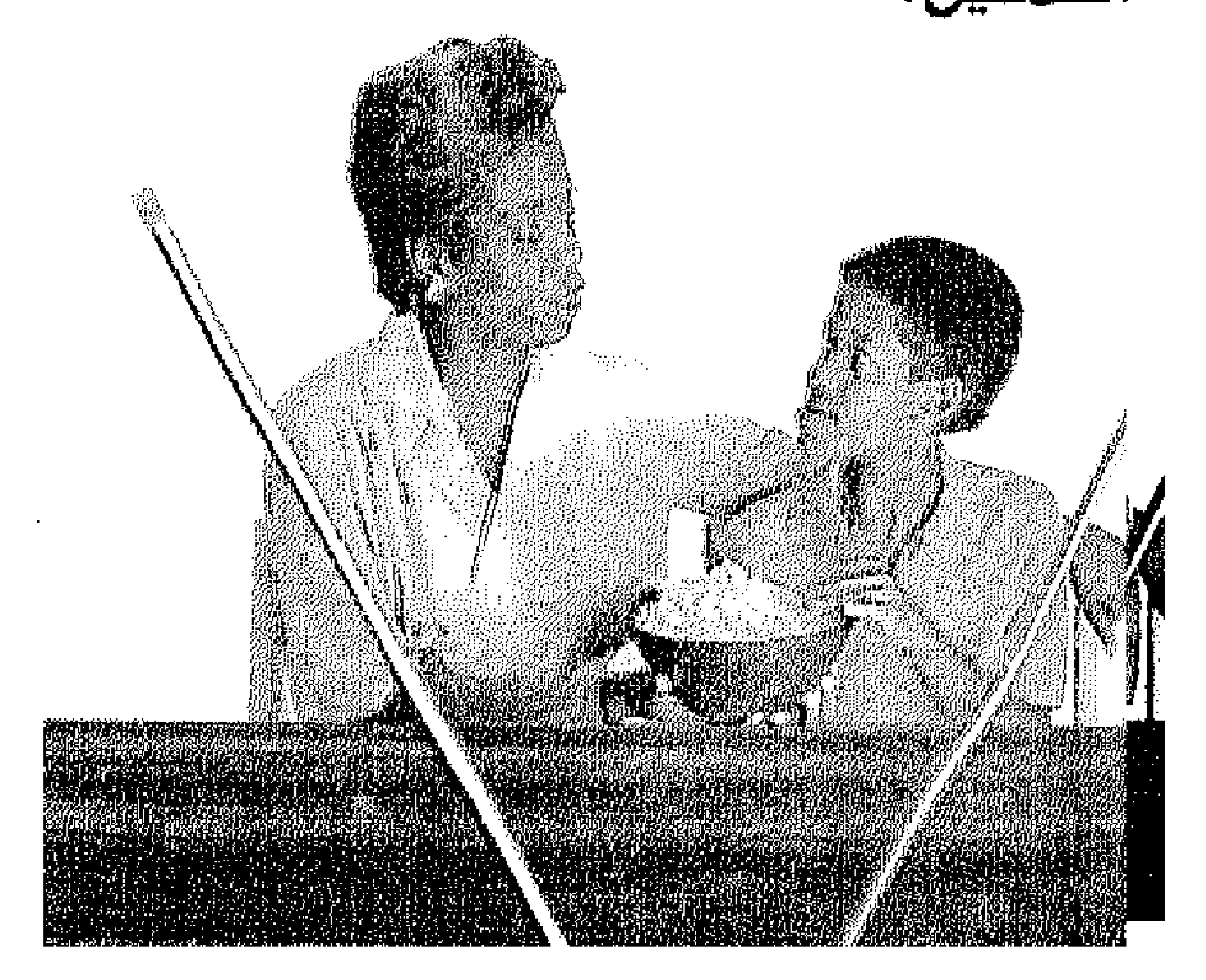
ان اولاد الاهل المنفصلين معرضون اكثـر من غيرهم لادمـان المخدرات والمشروبات.

ومن افضل الاهتمامات بالاولاد هو ان يتفق الوالدان على موقف واحد ضد المخدرات.

٢ .جسدوا بتصرفكم كل ما تقولون

إن ابلغ عبارة تقولونها لاولادكم، في معرض تعليمهم، هي ما تفعلونه انتم. فاذا ما اعتقد اي منكم ان في وسعه اطلاق العنان لرغباته وتربية اولاد بعيدين عن المخدرات فانما هو مخطىء.

ان التبغ هو اول مادة يتعاطاها الشباب. وهي تجر الى الادمان. لقد كنت ادخن في المناسبات، لسنوات عدة، ولكنني اقلعت عن التدخين يوم وجدت ابني وهو في الثانية من العمر يحاول مص سيجارة سحبها من علبة. لم اجد حافزا اقوى من هذا المثال لاقلع عن عادة التدخين.



يقول "المجلس الوطني الامريكي لادمان المسكرات" "ان افضل ما ينبىء بعادات السكر عند المراهقين هو مبادىء ذويهم وتصرفاتهم." فبعد يوم عمل شاق هل تقول "اني في حاجة الى كأس"؟ قد يعلّم هذا ولدك اسلوباً سيئاً في معالجة الارهاق والقلق. فحياة الاولاد قد تكون مفعمة بالضغط كحياة الراشدين، وهؤلاء الاولاد الذين لا يستطيعون معـالجة قلقهم، ينزعون الى الكحول والمخدرات. فاذا سألك ابنك لماذا يشرب بعض الناس اجبه ان الشراب يؤذي الجسد وان بعض الاديان، وخصوصا الاسلام، حرمته ووصفته بانه "رجس".

٣ . عليكم بتعليم اولادكم منذ الصغر

ان توعية الاولاد على اخطار المخدرات يجب ان تبدأ باكراً جداً اي في السن الخامسة وحتى في الرابعة. وكما تقول لولدك ان لمس المدفأة يؤدي الى حرق أصابعه كذلك عليك ان تذكره دائماً بأن المخدرات مؤذية وفي امكانها اهلاكه.

ان في وسع الاطفال ادراك المفاهيم الاساسية حول المخدرات. وستكون تأخرت جداً إذا انتظرت حتى يكبر اولادك لتناقشهم في موضوع المخدرات.

٤ . ابعدوا اولادكم عن المخدرات

يجب ان تكون حاسماً في موقفك من المخدرات والكحول.

٥ .لا تلقوا محاضرات على اولادكم

عندما تريد ان تتكلم مع اولادك عن

تعاطي المخدرات تطرق الى الموضوع عرضاً اثناء مشاهدتكم التلفاز او اثناء وجودكم معاً في السيارة. لا تكن واعظاً متحمساً، بل دع الحقائق، اي البراهين الدامغة، تتكلم.

عندما كان ولدي في سنه الثامنة حدثته عن الكوكايين فقلت له: "بعض الناس يستعمل المخدرات لتحاشي الاوجاع وهنا لا اعني الاوجاع الجسدية بل ذلك النوع من الالم الذي تشعره في داخلك عندما تكون حزيناً أو مضطرباً. ولسوء الحظ فاننا لا نستطيع دائماً تحاشي الالم. واحياناً يكون الالم مفيداً لنا. وعندما يستعمل الناس المخدر للتخلص من تعاستهم فان مفعول المخدر لا يلبث ان يزول فيعود اليهم الالم. ان المرء يشعر الان بالاسوأ لانه لم يستطع تحديد مشكلته. وإذا تابع استعمال الكوكايين فان المخدر ينخر في جسده كما الفئران في قطعة الجبن فلا يعود المخدر يحجب المه بل يكون استسلم له وعجز عن وقف تعاطيه".



٦ . قدموا بدائل

قدموا الى اولادكم ما هو "افضل من المخدرات لاسعادهم وملء فراغهم. جربوا الرياضة او الفنون او تربية الحيوانات الداجنة او العمل التطوعي او الاهتمام بالحدائق او المطالعة. فاللائحة طويلة لا تنتهي.

وعلى الاولاد ان يتعرفوا الى الكثير من الاهتمامات في ابكر سن ممكنة.

ان الصغار فضوليون بطبعهم ويتقبلون اي نشاطات يقترحها عليهم اهلهم. فالتمارين الرياضية توفر الكثير من المنافع، ولان الرياضة تحض الدماغ على انتاج مادة "الاندروفين" التي تشبه المورفين وتتغلب على الالم والخوف ـ فإن الاولاد يكتشفون باكراً ان هناك بدائل من المواد الكيميائية التي تخفف هذه الاحاسيس كما انهم يتعلمون دروساً مهمة عن البهجة التي يولدها الانضباط الذاتي، ووضع هدف نصب العينين، وتحقيقه.

وانا اقترح ان تشتروا لاولادكم جهاز "كومبيوتر"، إذا أمكن.

فنحن اشترينا جهازاً رخيصاً لابننا البالغ خمس سنوات ولم نعد نستطيع ابعاده عنه.

ان العاب الفيديو التي يلهو بها على هذا الجهاز، هي العاب تربوية كما هي ألعاب تسلية تتطلب تفاعلا من الولد مع اللعبة، وهذا نقيض التلفاز الذي يستسلم له الاولاد. بالاضافة الى ذلك، فإن الكومبيوتر يصبح، مع الوقت، محوراً لاولادنا واصدقائهم يبقيهم في متناول نظرنا.

٧ . وفروا سبلا لقول "لا"

ولما كانت الاقتراحات تأتي عادة من اصدقاء الاولاد، فإن رفضهم لهذه الاقتراحات يوصمهم بالمنبوذين. اشرحوا لولدكم انكم تتفهمون صعوبة الموقف. قولوا له مثلا: "لا يمكننا التظاهر بأن رفضنا انسياقك مع التيار هو شيء سهل. انه في الحقيقة ليس سهلا لكنه جدير بالاهتمام، فلن تكون، مضطراً الى ان تعيش دائماً مع هؤلاء الاولاد ولكنك مضطر الى ان تعيش مع نفسك".

عندما يكون قول "لا، شكراً" صعباً على الاولاد، فهنالك عبارة اخرى يتقبلها الاولاد عادة وهي: "ان اهلي سيعاقبونني بالحجز طوال حياتي". وافضل من ذلك، فقد يواجه ولدكم ضغط اصدقائه بقوله: "المخدرات مضجرة وانا لا يمكنني ان اصدق انكم تحتاجون اليها على الاطلاق".

ساعدوا طفلكم على اداء دوره. العبوا معه دور الشخص الذي يتملقه لتعاطي المخدرات. اجعلوه يواجهكم تكراراً حتى تصبح ردود فعله طبيعية وواثقة.



على رغم انتشار موجة تعاطي المخدرات بين الشباب في انحاء العالم، فإن للاهل دوراً مهما في الحد من انتشار هذه الآفة الخطرة. ولانه يمكن التأثير بسهولة في الاولاد فإن فرص قولبة آرائهم حول المخدرات والكحول ممتازة. ولكن عليكم التحرك بسرعة قبل ان يستطيع اصدقاؤهم الذين يتعاطون المخدر، التأثير عليهم.

تحركوا قبل حدوث المشكلة فتتفادوا مواجهة حلها.

كين بارون وفيليب باش ■

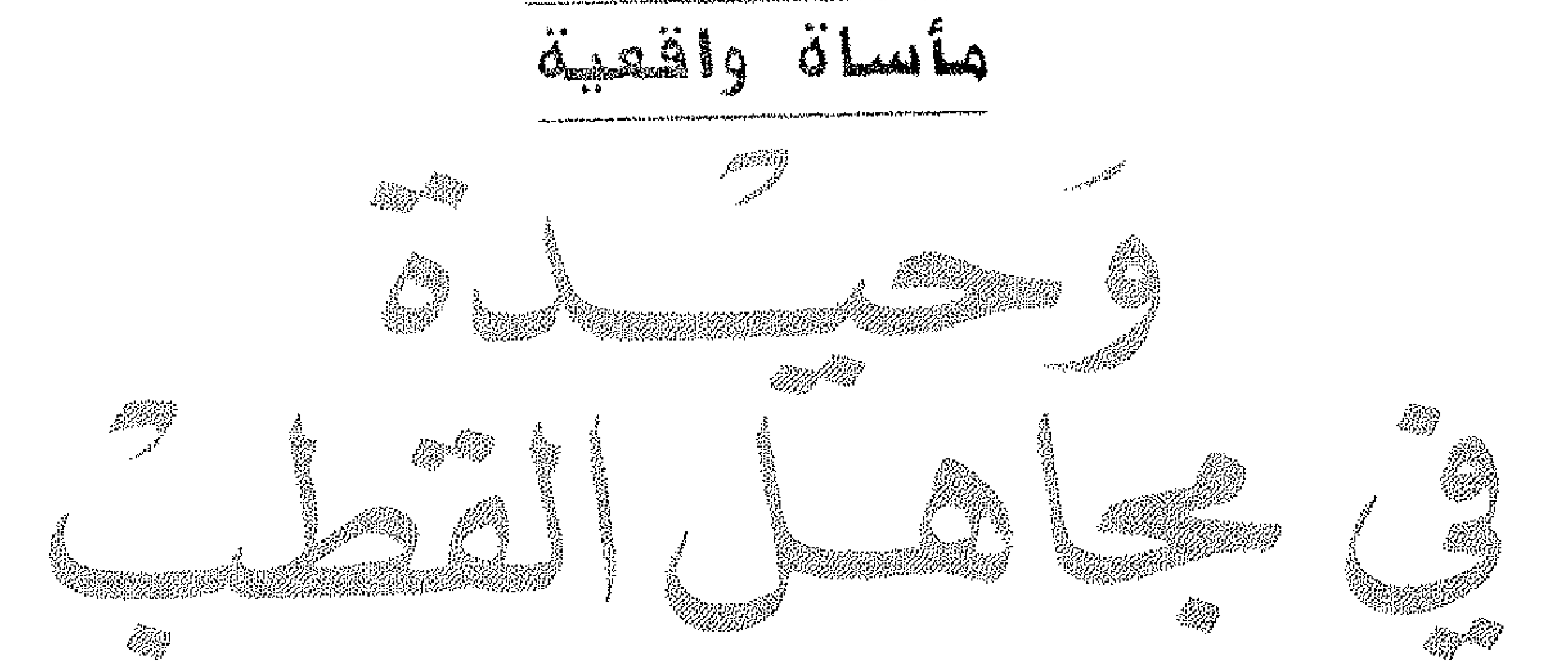


الازعاج نسبي

لم يكن الجناح الملحق ببيتنا قد اكتمل بعد عندما انتقلنا اليه مع اطفالنا الاربعة. كان بعض معلمي القرميد لا يزالون يُحدثون اصواتاً على السطح، وغيرهم من معلّمي الباطون كانوا في الداخل يفرشون الارض بالاسمنت ويزيّنون الجدران بالجص ويركّبون الادوات الصحية. في الواقع، كانت الفوضى الشاملة تعمّ المكان.

ثم بدأت المدرسة. وعندما هممت بمغادرة المنزل لاجلب طفليّ الصغيرين بعد انتهاء اليوم الاول لدخولهم المدرسة، اوقف احد عمال الباطون الجبّالة لحظة ليقول: "أليس البيت هادئاً من دون الاولاد؟"

د.ا.



خرجت من البحيرة بسلام فامتدت أمامها سهول قطبية جرداء تخفي موتاً أبيض في كل ناحية

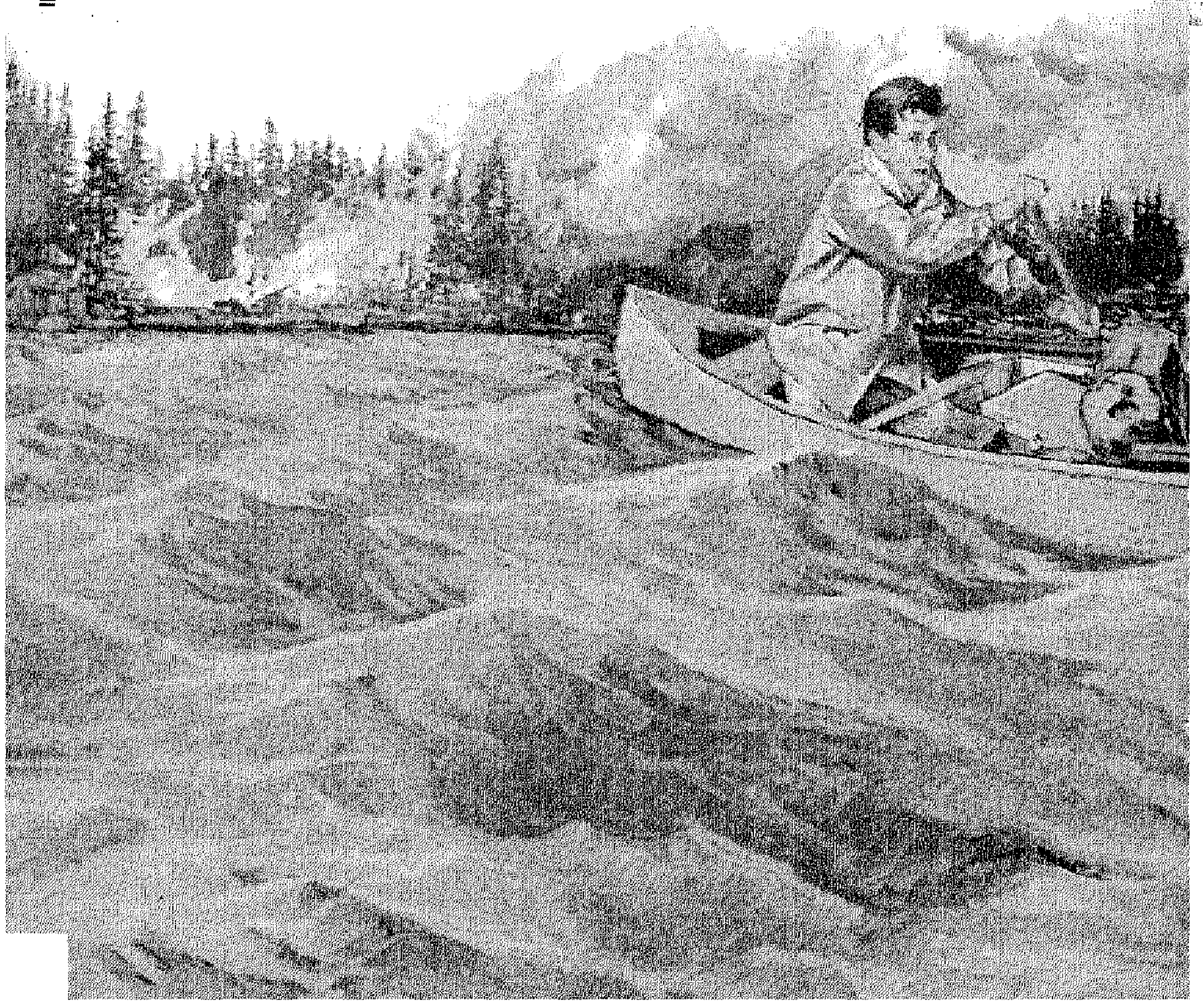
شعرت ليديا ماري باراغان ببهجة وانتعاش. فقبل أربعة أسابيع وصلت الشابة ذات الاربعة والعشرين ربيعاً وخطيبها جان جاك لوفرانك، وهو في الثامنة والعشرين، الى منطقة التخييم النائية شمال غرب كندا على بعد ١٤٠ كيلومتراً من دائرة القطب الشمالي. وها قد أصبح الفرنسيان الشابان جاهزين لاجراء دراسة حول أيل الرنّة تستغرق سنة كاملة.

وقبيل منتصف الليل في الرابع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨٧، بينما كانت الشمس لا تزال تسطع فوق الافق القطبي، لمع في السماء برق ناتج من عاصفة كهربائية شرسة. وعند الصباح لاحظا حريقاً في الغابة يتجه مباشرة نحو مخيمهما على ضفة البحيرة.

سبيلهما الوحيد الى الهرب كان في الماء نحو الضفة الجنوبية للبحيرة. وكان جان جاك خبيراً بحياة البراري، وسرعان ما وضع خطة اخلاء تتطلب رحلتين بالزورق عبر البحيرة، فاذا خلّصا المؤن وبعض المعدات أمكنهما انقاذ المشروع.

كانت البحيرة تمتد ١٣ كيلومتراً، وهي

Illustrations: Christopher Magadini



معزولة جداً حتى ان ناصبي الاشراك نادراً ما كانوا يقصدونها. واسوأ من ذلك أن جان جاك وليديا لم يُعلما السلطات الكندية بمكانهما لأنهما لم يكونا اعتمدا موقع المخيم بعد. فإذا حلت بهما كارثة فإن الذئاب وحدها ستشهد عليهما. كلاهما كان يعرف ان القاعدة الاولى للبقاء على قيد الحياة هي الحفاظ على الهدوء.

وبينما هما يوضبان أمتعتهما أخذا يتحدثان عن الاساليب التي تمكنهما من البقاء، فإن أدركتهما النار فسيحاولان الوصول الى مكان آهل بواسطة خريطة وبوصلة وسكين. فهما لا يحتاجان الى أكثر من شغفهما بالحياة وحبهما الواحد للآخر.

في الاولى والنصف بعد الظهر كانا أنهيا بسلام رحلتهما الاولى قاطعين مسافة كيلومترين ونصف كيلومتر عبر البحيرة ناقلين الخيمة الكبيرة والثياب والمزلجة وأحذية الثلج الى مخبأ على الضفة الجنوبية.

وفي رحلتهما الثانية كان زورقهما محملا بالطعام ومعدات التصوير وسكين وكيسي نوم. فجأة عصفت ريح قوية فوق البحيرة فضربت الامواج الزورق الذي يبلغ طوله خمسة امتار. فأخذ جان جاك وليديا يجذفان بضراوة. وفي منتصف الطريق ضربتهما موجة عاتية فانقلب الزورق وسقطا في المياه.

لم يستطيعا اعادة الزورق الى وضعه الصحيح. كانت الامواج تجرهما نحو الجزء الأعرض من البحيرة. ورأى جان جاك أن أملهما الوحيد في النجاة كان في قطع مسافة كيلومتر نحو الضفة الجنوبية.

"اسبحي !" صرخ جان جاك آمراً ليديا بلهجة عسكرية. "اسبحي !"

كانت المياه الباردة تضرب وجه ليديا مجبرة اياها على ابقاء فمها مقفلا. وكان الهواء لاذعاً ومشبعاً بالرماد المتطاير من الحريق في الغابة. وشعرت ليديا بألم حاد ينخر رئتيها وجنبيها، فبدأت تطفو وهي تشعر بالخدر لأن الالم أخذ يتقلص ليتحول شعوراً فاتراً بالخفة. فقالت في نفسها: انني أغرق. انني أغرق.

وبدافع غريزي انقلبت الى وضع عائم وهي تجذف بيديها الخدرتين الواهنتين. وراحت تخاطب نفسها: الزمي الهدوء يا بنية، لا تستسلمي للذعر.

وفجأة تقلب جان جاك خلفها وهو منقطع الانفاس يضرب الماء بعنف جنوني. فاقتربت ليديا منه وحاولت احكام ذراعها حول رقبته والسباحة الى الخلف. لكنه انزلق من قبضتها. وحاولت مرة ثانية من غير جدوى. وبطريقة ما جمعت قواها وتابعت السباحة نحو الضفة.

"بعثة الثلوج". شعرت ليديا بقلبها يرف وبمجاري الهواء في صدرها تحدث حشرجة كلما تنفست. تمددت على حصى الضفة ووجهها نحو الارض وحاولت أن تتذكر الدقائق الاخيرة التي أمضتها في الماء. كيف وصلت الى هنا؟ هل أنا على قيد الحياة؟ ثم نهضت بعد سعال طويل لاخراج الماء من رئتيها المتألمتين. فجأة شعرت بالذعر اذ تذكرت جان جاك، فأخذت تصرخ للبحيرة الخالية المضروبة بالريح. لكن جان جاك لم يكن هناك.

جلست ليديا لساعات من غير ان تأتي

حركة وهي تشاهد النار تشتعل في موقع المخيم على الطرف الآخر من البحيرة، وكانت شمس ليل القطب الشمالي تلمع عبر الدخان. قالت محدثة نفسها: لقد انتهت حياتي.

وفي السادسة من صباح اليوم التالي وقفت ليديا مترنحة. كانت ترتجف وتشعر بالدوار بفعل الجوع. لا طعام لديها ولا سلاح، كانت خائفة من الموت جوعاً، او بين أنياب الذئاب والدببة.

لكن روح جان جاك لم تتركها ابداً، فأخذت تتذكر محاضراته وحبه للحياة والمغامرة. وعزمت على النضال حتى النهاية.

كانت في حاجة الى تخطيط وتفكير. إن أقرب مركز اليها كان "بعثة الثلوج" على الجهة البعيدة من بحيرة كولفيل التي تبعد ١٤٥ كيلومتراً جنوباً.

وللوصول الى البعثة كان عليها اجتياز الغابات الكثيفة والسهول القطبية المليئة بالمستنقعات. فأخذت تشجع نفسها: حافظي على هدوئك ولا تنسي شيئاً.

على بعد حوالى كيلومتر ونصف كيلومتر وجدت مخبأ المؤن الذي أعدته وخطيبها بعد رحلتهما الاولى في البحيرة. كانت الحرارة ترتفع الى ثلاثين درجة مئوية أثناء النهار، لكنها تنخفض الى عشر درجات خلال الليل. لذلك ارتدت ملابس خاصة.

بقيت ساعة يدها وبوصلتها وولاعتها سالمة. ومن المخبأ أخرجت خريطة وطاردة حشرات وعلبتي رز مجفف تزن الواحدة منها ١١٥ غراماً، اضافة الى بعض الصور العائلية. وضعت جميع هذه الاشياء في كيس من النايلون. وبدأت تمشي.

تعب وضياع. على رغم المواد الطاردة للحشرات حامت حول رأس ليديا رفوف من الذباب الاسود والبعوض مخترقة شعرها ومهاجمة عينيها. كانت تسير في محاذاة ضفة البحيرة ضاربة الهواء بيدها. وبعد ساعة كانت تتصبب عرقاً وجلدة رأسها مغطاة بلسعات الحشرات. وكم كانت خيبتها عظيمة حين ادركت أنها كانت تسير في الاتجاه الخاطىء.

عادت الى المخبأ. وقبل انطلاقها مجدداً دهنت جلدها بمزيد من طارد الحشرات وخلعت عنها كنزتها.

وفي فترة ما بعد الظهر كانت تتقدم كعمياء. وأخيراً ارتمت تحت شجرة وأفرغت كيس النايلون ووضعته على جسدها المتعب ليحميها من الذباب والبعوض. كانت تحتاج الى الراحة واعادة السيطرة على نفسها لتتمكن من ابعاد شبح الخوف.

خلال ساعات من النوم المضطرب حلمت ليديا بخطيبها وأحست بوجوده. سمعته يقول لها: "لا تقفي هنا. اتبعي المخطط".

تابعت ليديا طريقها المرسومة فوصلت الى ممر يبلغ عرضه ستة أمتار كان أنشىء للتنقيب عن المعادن، وقد حُفر في الارض الجليدية بواسطة آلات ضخمة خلال الشتاء القطبي. وبما ان الفصل كان صيفاً تعين على ليديا أن تواجه بحيرة سدَّت الممر. كان عليها الانعطاف الى طريق جانبية.

لم تستطع ليديا الحفاظ على مسار مستقيم بين الآجام الكثيفة. فكانت تضيع طريقها باستمرار وتقف حائرة أمام البوصلة والخريطة. وفي نهاية اليوم الاول كانت قطعت، على الخريطة، أقل من ثمانية كيلومترات خلال عشر ساعات.

عندما انخفضت درجة الحرارة في المساء خفّت أسراب الذباب والبعوض. فأشعلت ليديا ناراً وتناولت حفنة من الرز. وللمرة الاولى لاح لها أمل بالحياة.

مستنقعات وأنهار. في الثالثة من فجر اليوم التالي نهضت ليديا لتسير ثانية تحت نور الشمس الرمادي. فبقاؤها على قيد الحياة يتوقف على ثباتها، وعليها أن تقيس كل خطوة.

قادها الممر الى جدول عريض. لم تعد قادرة على المخاطرة بالانحراف والالتفاف حول الاشياء التي تعيق تقدمها. فخلعت ثيابها ووضعت كيس مقتنياتها فوق رأسها ومشت في المياه الباردة التي غمرتها حتى رقبتها. وبعد دقائق خرجت مرتعدة الفرائص. وبعدما استدفأت بنار ضئيلة وارتدت ثيابها، تابعت طريقها بثقة وقوة متناميتين.

وعلى رغم ذلك فانها أدركت أن ثباتها لن يستمر طويلا. فهي تخصصت بعلم الاحياء، وعملت مدربة في التربية البدنية في فرنسا. كانت تدرك تماماً حاجات الجسد الغذائية. وعلبتا الرز في حوزتها تحتويان على وجبتين عاديتين وليس اكثر.

تابعت ليديا طريقها وهي تأكل التوت المر الفج مؤجلة حفنات الرز الى محطات مختلفة على الخريطة. وكانت تشرب الماء لتسد جوعها. وعندما كانت الحشرات تغمرها كانت تبحث عن ملجأ داخل كيس النايلون.

كانت الارض تتطلب تركيزها الكامل.

فعليها تجنب المستنقعات حيث تغور قدماها حتى الكاحلين في رواسب الطين المتجلد. وكانت تقطع الانهار والبرك سنتيمترا سنتيمترا.

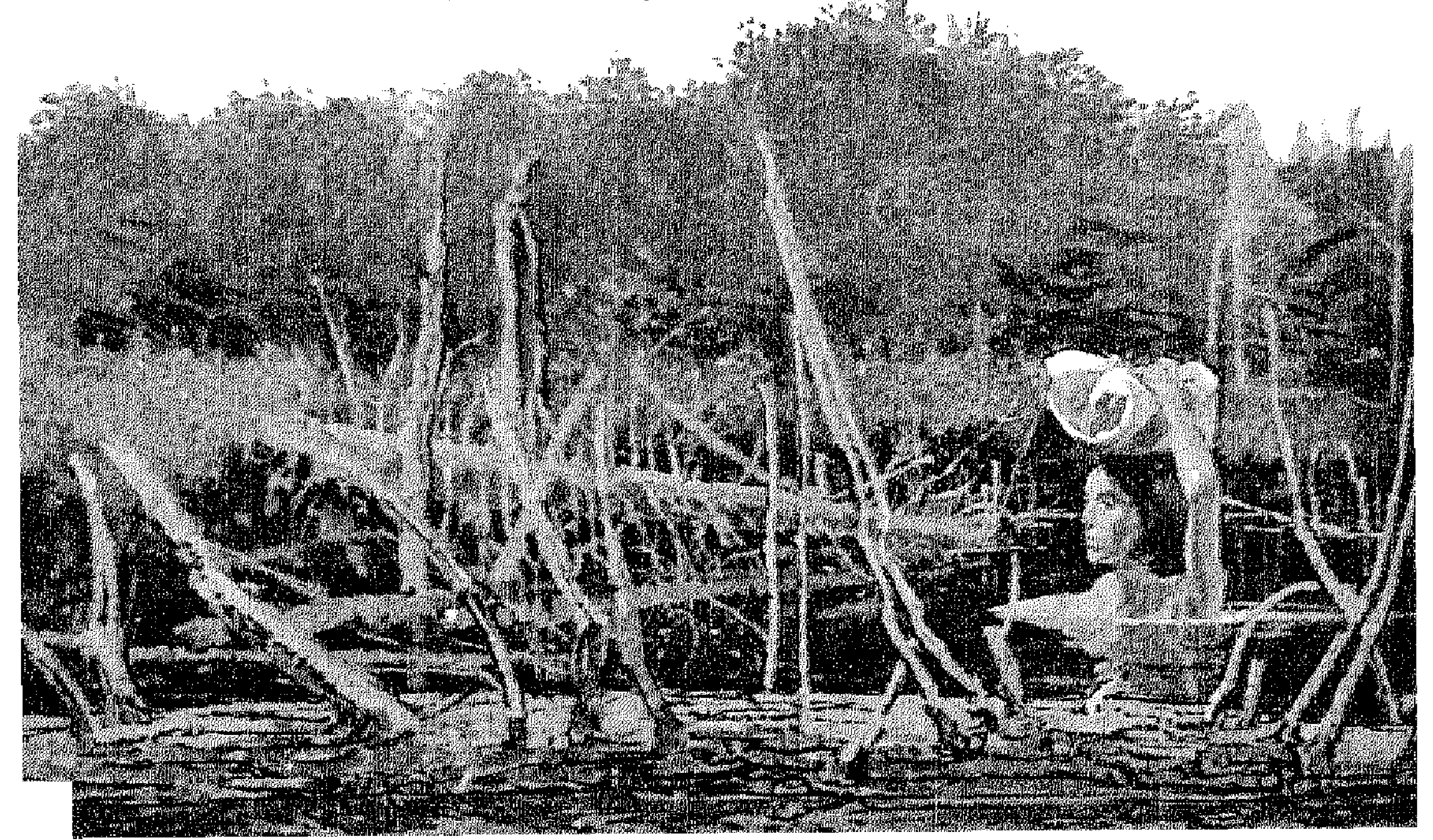
ثم كانت هناك الوحوش الضارية. وصادفت ليديا دبا وقف يتفرس فيها على بعد ستة أمتار. فقالت في نفسها: لا تتحركي. لا تسمحي لعينيك بأن تطرفا. تشمم الدب الهواء ثم خفض جسمه وابتعد عنها، متمهلا. لقد انقذها هدوؤها.

سارت ليديا عدة أيام جاهدة في الحفاظ على طريقها نحو الجنوب الشرقي. وكانت تحسب تأشيرات البوصلة الصعبة وتعيد الحساب. فتبين لها أنها ستبلغ بحيرة أوبري على بعد ١٦ كيلومترا وخلف تلك البحيرة على بعد ١٦ كيلومتراً أخرى، تقع بحيرة كولفيل، وعليها ان تسير من هناك، بعد دورانها حول مستنقع كثيف على ضفة البحيرة، مسافة ٤٠ كيلومتراً لتصل الى الارسالية. وكانت قدماها تقرحتا ولم يبق لديها سوى قليل من الطعام. فأحست بأن جهودها لن تجدي. لكنها اندفعت متابعة سيرها.

حلم أم حقيقة؟ وقفت ليديا على نتوء صخري فرأت أمامها الغور العظيم لبحيرة أوبري، فدبت فيها الحماسة. كانت على بعد ١٦ كيلومتراً فقط من بحيرة كولفيل.

وصبيحة اليوم التالي، وصلت الى ما بدا كأنه ضفة كولفيل. فشعرت بالنشاط وبدأت تسير في محاذاة الضفة الصخرية.

لكن دفق الحيوية ما لبث أن خمد. وهجم البعوض والذباب وارتفعت الحرارة الى درجة لا تحتمل فاضطرت ليديا الى التوقف مراراً للشرب ودهن جسمها بطارد الحشرات. كانت تتعثر فوق الحصى بسبب قدميها الداميتين، وبعد وقت خرَّت على ركبتيها مصدومة. لقد أشارت



البوصلة الى أن عليها التوجه ثانية نحو الشمال. وبعدما تفحصت الخريطة بيدين مرتجفتين أدركت أنها أخطأت في ظنها أن خليجاً من بحيرة أوبري هو بحيرة كولفيل. لقد كانت تسير في الاتجاه الخاطىء.

لجأت ليديا الى كيس النايلون. ومع أنها كانت متعبة ومرهقة فانها لم تستطع النوم. فتأملت صورة فوتوغرافية لأمها وأصحابها وتساءلت هل ستراهم ثانية.

وفي صبيحة اليوم التالي، ٢١ يوليو (تموز)، أعادت ليديا رسم خطواتها وهي تشعر بالدوار. تناولت بعض التوت الفج ومشت لساعات حتى وصلت الى بحيرة كولفيل.

توقفت لتعالج جروح قدميها. وكان التوت أربك معدتها فانهارت قواها وأغمضت عينيها. انهضي! قالت لنفسها وهي تفكر في خطيبها. امشي!

لاح لها كوخ خشبي فظنت انها في حلم. ثم أدركت أنه حقيقة. كان الباب غير مقفل فدخلت وجلست بذهول. كانت مشرفة على الانهيار وتكاد تعجز عن جر قدميها المتورمتين.

ذئب في الباب. اكتشفت ليديا في الكوخ خليطاً لتحضير فطيرة محلاة، كما وجدت رزاً وشاياً. وبعينين دامعتين حضرت أول وجبة طعام منذ أسبوع. بعد ذلك نامت مدة عشرين ساعة بلا حراك. ولما استيقظت رأت ذئباً يقف في الخارج كأنه ينتظر. وهو ظهر قرب الكوخ لمدة أربعة أيام متتالية.

وبعد ظهر ٢٦ يوليو (تموز) اختفى الذئب. فتركت ليديا رسالة لاصحاب الكوخ وجهزت نفسها لمتابعة رحلتها.

فجأة سمعت صوت محرك آتياً من البحيرة.

كان جين ماري اودزي يصطاد البط هناك، فساعد المرأة الناحلة على الصعود الى مركبه. وهو صعق لمرآها إذ لم يسبق أن أتى أحد وحيداً وسيراً الى كوخ والده.

أسرع اودزي عائداً الى بعثة الثلوج التي تبعد ٣٢ كيلومتراً عبر البحيرة. لقد قطعت المرأة ما يزيد على ١١٠ كيلومترات عبر الاراضي القطبية.

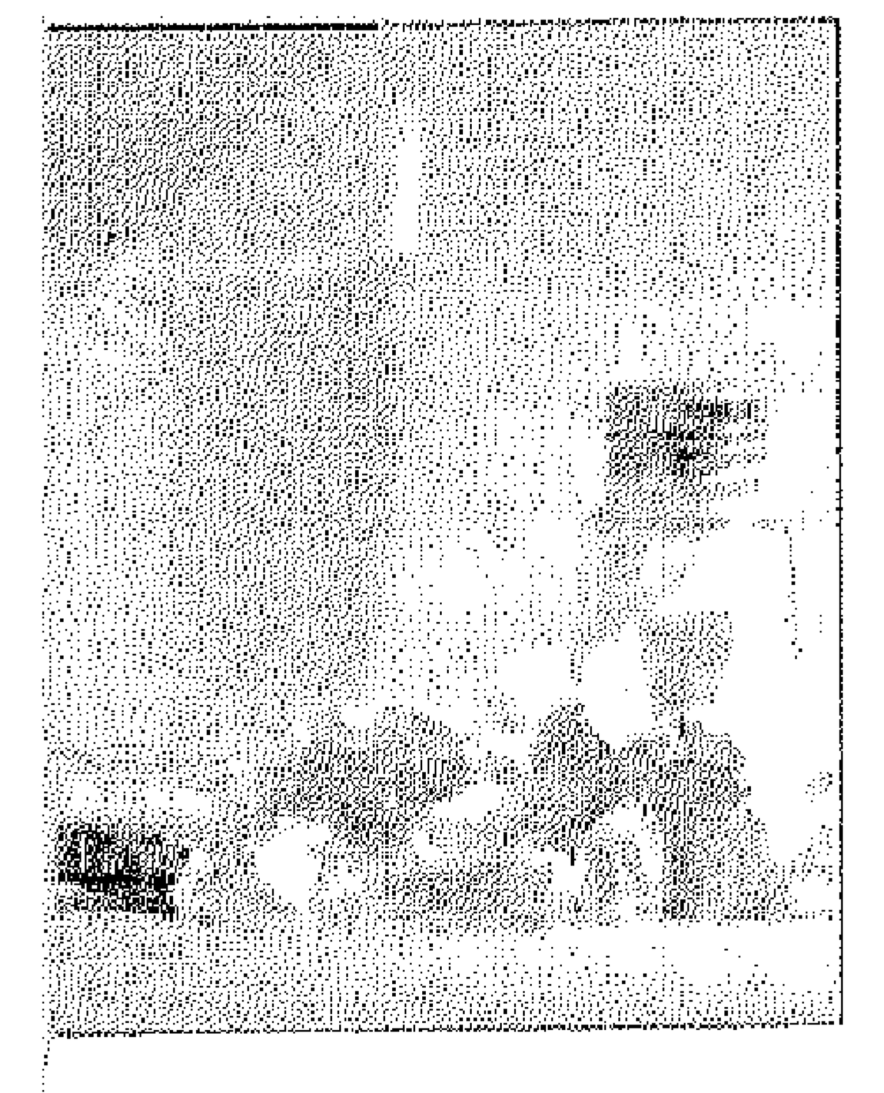
صبيحة اليوم التالي أرشدت ليديا طوافة للشرطة الملكية الكندية الى البحيرة حيث انتشلت جثة جان جاك. وفي ركام المخيم وجدت أفلاما تحوي صوراً من أيامها الاخيرة مع جان جاك.

اليوم تقطن ليديا في جبال بيرينيه الفرنسية. ولا تزال ذكرياتها حول رحلتها القطبية حية، إذ هناك تعلمت الشجاعة البشرية والقدرة على التكيف وقيمة الحياة. وسيبقى عزمها مصدر الهام للآخرين، تماماً كما كان تصميم جان جاك مصدر الهام لها.

شلدون كيلي ■

قالت المرأة لصديقها: "علاقتي بزوجي ذات طابع سحري - فكلما سألته ان يفعل شيئاً ما يختفي."

هـ.س.





حقائق مدهشة عن الزكام





تصاب بالزكام فتشعر بالتعاسة. وفيما أنت تسعل وتعطس وتنشق تعنف نفسك لاهمالك ارتداء معطفك البارحة وعدم تناولك كميات الفيتامينات الضرورية يومياً خلال الاسابيع القليلة الماضية. وتقلق لعلمك أن العدوى ستنتقل بالتأكيد الى جميع أفراد العائلة.

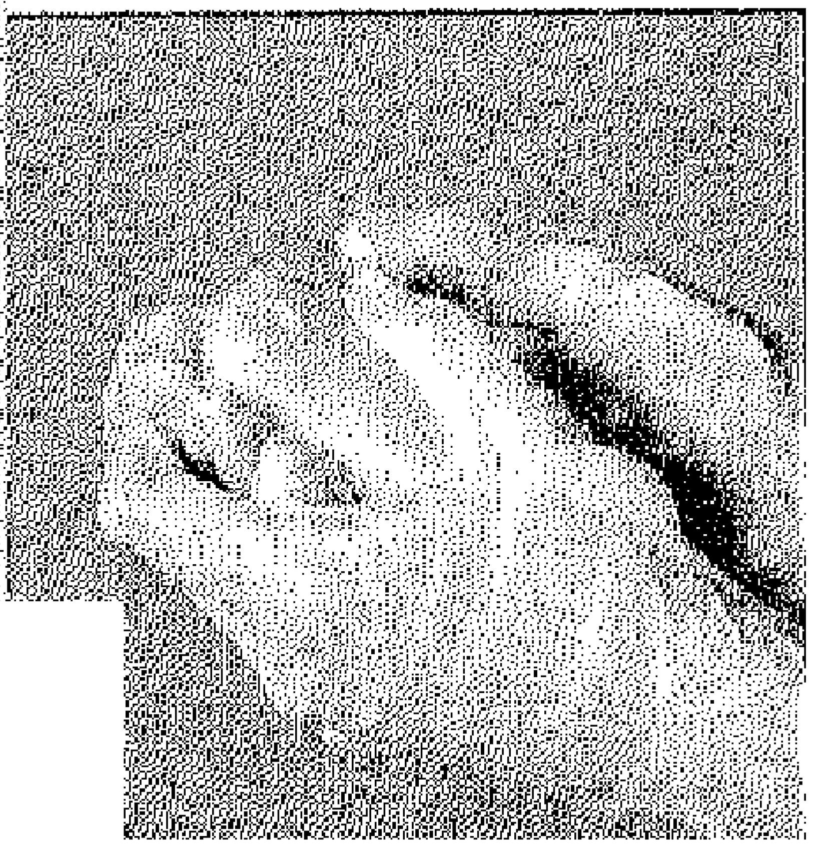
وربما كنت على خطأ في قلقك. فلدى معظم الناس أفكار خاطئة عن أسباب الزكام وانتشاره وطرق تجنبه والشفاء منه. والى وقت قريب لم تكن هناك الا معلومات قليلة عن طريقة ضبط مرضنا المعدي الرقم واحد. لكن ذلك آخذ الآن في التغير. فأين هي الحقيقة من الخيال؟





"ارتدِ ثياباً دافئة والا أصبت بالزكام."

تطلق الامهات في العالم كله هذا التحذير لاولادهن، لكن الباحثين أثبتوا





(الى اليسار) تغرغر بماء مالح فاتر أو مصّ قطع حلوى قاسية لتخفيف الالم في الحنجرة. استعمل محارم ورق وتخلص منها حالا. اغسل يديك تكراراً. (الى اليمين) في امكان فيروسات الزكام أن تعيش على يديك، لذلك تجنب فرك عينيك أو انفك. نظف الادوات المنزلية الملوثة، مثل الهاتف. التقاط الزكام بالمصافحة اكثر احتمالا من التقاطه بالتقبيل.

أنهن على خطأ. فقد جرى تلقيح عدد من المتطوعين الصحيحي الاجسام، منهم بالثياب الكاملة وآخرون بالثياب التحتية فقط، بلقاح ضد فيروس الزكام، وعُرّضوا للبرد القارس بضع ساعات. فلم يظهر بين الفريقين أي اختلاف في عدد الاصابات بالزكام أو حدتها.

من الثابت أن اصابات الزكام هي أكثر شيوعاً في الخريف وفي الشتاء. ولكن لا صلة لذلك بالطقس البارد والرطب – لا صلة مباشرة على الاقل. فالاولاد هم الفئة الاكثر حملا لفيروسات الزكام، وهم يعودون في الخريف الى مدارسهم. وفي الشتاء يقبع الناس داخل بيوتهم مما يتيح لهم تلامساً جسدياً أوثق يساعد على انتشار الزكام.

"كنت أعاني ارهاقاً فائقاً."

ربما كنت على حق، اذ ان أناساً كثيرين يصابون بالزكام حين يساورهم القلق من شيء ما. فالعلماء في وحدة أبحاث الزكام في بريطانيا أجروا على متطوعين في صحتهم التامة، اختبارات نفسانية لقياس مستويات الاجهاد، ومن ثم حقنوهم فيروس الزكام. فتبين أن فريق الاجهاد المرتفع المصنّف انطوائياً كانت اصاباته أكثر وأسوأ من فريق الاجهاد المنخفض المدعو انفتاحياً.

"ان مكيف الهواء أضرَّ بي."

كثيرون من الناس يعتقدون أن تكييف الهواء يزيد استعدادهم لالتقاط الزكام – مرة ثانية بسبب عامل التبريد. انما المذنب الحقيقي قد يكون رطوبة الهواء المكيّف المتدنية نسبياً. ففي دراسة في كندا أفيد أن التغيب في المدارس حيث الرطوبة مرتفعة نسبياً كان أقل بنسبة ٤٠ في المئة منه في المدارس حيث الرطوبة متدنية نسبياً.

ساد الاعتقاد طويلا لدى كثيرين من الاطباء أن الزكام ينتشر حين يتنشق الناس الاصحاء جسيمات الفيروس التي ينفثها المزكومون بالسعال أو بالعطس. ولكن في السنوات القليلة الفائتة أجرى الطبيبان جاك غوالتني وج. أوين هندلي أستاذا الطب الداخلي وطب الاطفال في كلية الطب بجامعة فرجينيا في شارلوتسفيل، تجارب تدل على أن المتطوعين الاصحاء منوا باصابات قليلة جداً بالزكام لدى تعرّضهم للسعال والعطس. وأثبتت أبحاثهم أن التلامس باليدين هو وسيلة رئيسية لنقل العدوى.

اكتشف الطبيبان غوالتني وهندلي أن في امكان فيروسات الزكام أن تعيش لمدة ساعة في محرمة من القماش وساعتين على اليدين ونحو ٧٢ ساعة على سطوح الاجسام القاسية. حين يتمخّط المصابون بالزكام ينقلون جسيمات الفيروس الحية الى أيديهم. وقد ينتقل الفيروس على السطوح التي يلامسونها من أجهزة الهاتف الى مقابض الابواب. عندئذ يلتقط الناس الاصحاء الفيروس بواسطة أيديهم وينقلون العدوى الى أجهزتهم بلمس أنوفهم وأعينهم.

أما التقبيل فنادراً ما يتسبب في انتشار الزكام لان كثافة فيروسات الزكام منخفضة جداً في اللعاب.

يقول الباحثون ان العوامل الاكثر

أهمية التي تحمي الناس من التقاط الزكام ونشره هي التهوئة الجيدة واحتفاظ الشخص بصحة جيدة دائماً. ومن توصياتهم: اغسل يديك تكراراً بالصابون والماء، وبين الغسلة والاخرى أبعد يديك عن أنفك وعينيك. استعمل محارم ورق للوجه بدلا من محارم القماش.

ولكن ماذا عن تناول الفيتامين "ج" (C) لتجنّب الاصابة بالزكام؟ تستمر المناقشة في هذا الموضوع محتدمة. فبعض الدراسات يدل على أن الفيتامين قد يقصّر مدة الزكام وشدته. لكن الدكتور غوالتني يجادل قائلا: "ان البرهان العلمي لا يؤكد فاعلية الفيتامين "ج" في منع التقاط الزكام."

ليس هناك علاج بعد للزكام، لا دواء سحرياً يخلص الجسم من فيروسه مثلما تقضي المضادات الحيوية (انتيبيوتيك) على الجراثيم. لذلك يبقى الهدف من علاج الزكام تخفيف أعراضه حتى يتوصل الجسم الى الشفاء الذاتي بعد أسبوع أو نحوه.

يقول الدكتور ديفيد سوبيل رئيس قسم الطب الوقائي في مركز "كايزر برمانينت" الصحي في سان هوزيه بكاليفورنيا: "ان الناس الاصحاء عموماً لا يحتاجون بالضرورة الى زيارة طبيب. لكن المسنين الذين يتجاوزون السبعين والاولاد دون العاشرة والحوامل والمرضعات ومرضى القلب والربو والذين يعانون مشاكل صحية خطيرة، يجب أن يبحثوا في شؤون أمراضهم مع أطبائهم قبل تناولهم أدوية لمعالجة الزكام في البيت."

وبالتشاور مع المراكز الطبية الرئيسية وضع الدكتور سوبيل وباحثو قسم التوعية الصحية في "كايزر برمانينت" دليلا ذاتياً للعناية ضد الزكام. وهنا نصائحهم:

- تمتع بكثير من الراحة وتناول طعاماً متوازناً لتجنب المضاعفات.
- تناول مزيداً من السوائل لانها تخفف ألم الحنجرة وتساعد على ازالة الاحتقان في الانف بتعجيل مرور المخاط، كما انها تعوض السوائل التي يفقدها الجسم بسبب الحمى.
- توقف عن التدخين لانه يزيد تهيج مجاري الانف.

وفي ما يأتي نصائح اضافية من خبراء آخرين بهدف تخفيف أعراض الزكام المختلفة:

احتقان الانف. لتخفيف انسداد الانف جرب رذاذاً أو قطرات للانف تحتوي على مقلّص للاوعية الدموعية مثل "بزودو افدرين" وهو مزيل للاحتقان يسوّق بأسماء تجارية مختلفة. ويجدر بك الانتباه الى أن هذه الادوية قد تسبب "رد فعل" يولد احتقاناً إضافياً اذا تناولتها لمدة تتجاوز ثلاثة أيام.

ألم الحنجرة. تغرغر بماء فيه ملح مذاب بمعدل ملعقة صغيرة في الكوب، أو مصّ حبة سكاكر أو قرصاً من الحلوى الطبية. فبعض أقراص الحلوى التي تباع من دون وصفة طبية تحتوي على مادة مخدرة خفيفة تخدّر الحنجرة وتخفف ألم الابتلاع. استشر طبيباً اذا شعرت بضيق لدى الابتلاع. فاذا كنت تعاني ألما في

الحنجرة وحرارتك تتجاوز ٣٨ درجة مئوية ولا دليل على اصابتك بالزكام، فقد تكون حنجرتك مصابة بالمكوّر العقدي (ستربتوكوكس).

آلام الرأس والجسم والحمى. تندر هذه الاعراض في الراشدين الذين يعانون الزكام، لكنها شائعة لدى الاولاد والمصابين بالانفلونزا من جميع الاعمار. في امكان معظم الراشدين تناول حبتين من الاسبيرين العادي أو الـ"أسيتامينوفين" كل أربع ساعات (كل ثلاث ساعات في حال الحمى). أما المصابون الذين لم يتجاوزوا السن الثامنة عشرة فلا يجوز تناولهم الاسبيرين للزكام والانفلونزا أو لاصابات فيروسية أخرى بسبب علاقة ما بداء "راي"(*) وهو علة مميتة نادرة تصيب الدماغ والكبد، ويعطى الاولاد العقار "أسيتامينوفين" كبديل.

وبما ان الحمى قد تسبّب التجفاف، أي استنزاف ماء الجسم، تذكر للمرة الثانية أن تتناول كميات كبيرة من السوائل - بين ٦ و٨ اكواب يومياً على الاقل. اطلب مساعدة طبية اذا استمرت الحمى اكثر من ثلاثة أيام او اذا عادت فجأة بعد زوال الزكام.

(*) Reye's Syndrome

السعال. ان السعال "المثمر" يفرز مخاطاً فيما السعال الجاف لا يفرز المخاط. لذلك حاول تحمّل السعال المثمر لأنه يزيل المخاط الزائد من مجاري التنفس. فاذا حرمك السعال النوم، جرب دواء مخمداً للسعال مثل "ديكستروميتورفان" المتوافر بأسماء تجارية كثيرة تباع من دون حاجة الى وصفة. لا تتوان في طلب المساعدة الطبية اذا أفرز السعال المثمر بصاقاً أخضر أو أسمر أو ممزوجاً بالدم. فاذا دام السعال أكثر من ثلاثة أسابيع أو كان مصحوباً بحمى أو بقشعريرة باردة وآلام حادة في الصدر وصفير أو ضيق في التنفس، فهذه علامات محتملة لامراض خطيرة كذات الرئة والالتهاب الشعبي والربو.

وأخيراً، حين تكون طريح الفراش تعيساً، حاول أن تجد عزاء في أن كل زكام جديد ينمّي مناعة جسمك ضد ذلك الفيروس الخاص ومناعة جزئية ضد الفيروسات الوثيقة الصلة به. وفيما يتقدم الناس في العمر تقل اصاباتهم بالزكام وتصبح أقل حدة. ربما كان في هذا قليل من العزاء، ولكن تشجّع، اذ ان كل زكام يجعل التقاط المرض لاحقاً أقل احتمالا وربما أخف وطأة.

مايكل كاستلمان ■



امين الصندوق (محدّقاً الى بطاقة الاعتماد): "يا للعجب، اعرف انساناً له اسم كاسمك بالتمام."

الزبون: "حقاً؟ من هو؟"

ج.د.

الضحك خير دواء

الولد سر... امه

كان ابني يقدم طلباً الى احدى الكليات الجامعية. وسألني ان اساعده على ملء طلب نموذجي. كان عليه ان يذكر ثلاث صفات تجعل منه شخصاً مميزاً، وثلاثاً اخرى تجعل منه طالباً مميزاً.
فاوحيت اليه انه قد يكون لامعاً، لطيفاً، متفائلا، خدوماً، مجتهداً، اميناً، واضحاً، محباً للاستطلاع، بارعاً، ثقة، ودوداً... فقال: "هذا يكفي، وشكرا على هذه المجموعة."
واستكشفت الطلب على الآلة الكاتبة في ما بعد فوجدت ان ابني اختار ست صفات من تلك التي ذكرتها له، لكنه وضع اشارة بعد الصفة الاخيرة. فاختلست النظر الى اسفل الصفحة وقرأت الحاشية الآتية: "لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بوالدتي على الرقم ٣٣٩٧ - ٥٥٥"

ف.أ.س.

عندما ينسى الممثل دوره

كان دوري الاول في مسرحية الثانوية، وقد اعترتني عصبية شديدة وانا اعتلي الخشبة. كان عليّ ان امثل دور زوج غيور يُفترض فيه ان يلتقط عن الارض ساعة إنذار ويتفرّس بضغينة في مينائها فيما هو ينفث تعليقاته الفظة. لسوء الحظ، عندما مددت يدي لالتقط الساعة نسيت نصي التالي، حينئذ تيقنت انني ارنو الى قفا الساعة. وفيما راح ذهني يجهد بائساً لتذكّر الحوار، صرخ واحد من الجمهور فجأة: "اذاً، اخبرنا اين صُنِعت هذه الساعة."

د.ل.

ضمان او... غسل صحون!

انتهت سيدة من تناول الغداء في مطعم فاخر، ولما همت بدفع الفاتورة لاحظت انها نسيت حقيبة يدها في البيت، فاعتذرت الى صاحب المطعم. فقال لها بهدوء: "لا عليك، فانت صادقة، ولكن حتى لا انسى الامر، ينبغي لي ان اكتب اسمك على هذا اللوح الاسود وبجانبه المبلغ الذي تدينين لي به."
فاحتجت المرأة: "ولكن سيرى الجميع اسمي، الامر الذي يحرجني كثيراً."
- لا تخافي، لن يرى احد اسمك لان معطف الفرو الذي ترتدينه سيغطي اللوح!

ج.إ.ك.

لا مفر منها

قالت المرأة لزوجها: "اذا كانت امي ستأتي للعيش معنا فاني اخشى ان نضطر الى الانتقال الى بيت اوسع."
فرد الزوج: "لن يفيد انتقالنا شيئاً، فهي ستعثر علينا عاجلا ام آجلا!"

أ.س.

الحقيقة المعروفة
من الجميع
ان المرء يبحث
عما يضيع
فلا يجده
إلا بعد أسابيع

كان أحد المخبرين الصحافيين يفتش في حجرة الاغراض المفقودة في محطة بنسلفانيا للقطارات في نيويورك، فعثر على أكثر من ألف مفتاح و٥٠٠ زوج من النظارات و٣٠٠ مظلة و٦ طقوم أسنان اصطناعية.

وكان هناك عدد كبير من الأشياء الغريبة ومن بينها بطة وكلب صغير وثوب عرس وساق اصطناعية ووعاء فيه رماد ميت.

عقدة النسيان

لا ريب في أن الناس تضيع ما هب ودب. وقد ذكر حيرام بيرسي ماكسيم في كتابه "عبقري العائلة" عادة أبيه حيرام ستيفنس ماكسيم اضاعة الأشياء وقد لازمته عمره، ويذكر أن أباه هو مخترع أول مدفع رشاش فعّال. وكان ماكسيم الأكبر لا يني يضيع المظلات والرزم والكتب والرسوم وسواها، حتى أدركه اليأس في نهاية المطاف. واذ أعيته الحلول طبع ملصقات كتب عليها: "هذه أضاعها انسان في غاية الحمق اسمه حيرام ستيفنس ماكسيم، القاطن في شارع يونيون الرقم ٣٢٥ في بروكلين بنيويورك. وستدفع مكافأة لمن يعيدها اليه." وقد دأب على استعمال هذه الملصقات، كما يذكر ابنه، "حتى باتت مثبتة على كل مقتنيات العائلة."

Ernest Coppolino

لحسن الحظ ليس لزاماً علينا أن نكون من المضيعين. وهاك خمس سجايا تعينك على تذكر ما تضيعه:

١. حدد موضوعاً بعينه. يزعم الخبراء أن في وسعك خفض مفقوداتك الى النصف اذا ما وضعت الاشياء في أماكن تلائمها. اسأل نفسك: اين أستعمل هذه القطعة؟ وكلما ابقيتها دانية من موضعها حيث فائدتها، قلَّ امكان اضاعتها. والاشخاص الذين يدلون النظارات بسلاسل حول اعناقهم مثال على ذلك.

من الواضح أن ادوات الطبخ مكانها المطبخ، والمناشف في حجرة الاستحمام. ولكن ماذا في شأن أغراض اخرى كفرشاة الأحذية؟ ان موضعها المعقول هو مع الأحذية في خزانة حجرة النوم. ولكن هل ثمة وجه لاستعمالها هناك؟ قد يكون مكانها الأنسب في درج قرب كرسي، اذ كما تشير الكسندرا ستودارد مؤلفة كتاب "أسلوب للعيش: كيف تضفي شخصيتك على مكان عيشك؟": وهي سألت "أي وقت أفضل لتلميع حذائك من وقت الاسترخاء؟"

وما العمل بكل النثريات والفضلات التي لا تدري ماذا تفعل بها، كالقفازات، وأقلام الرصاص وصُرافة النقود والمجلات المقروء نصفها؟ إحدى الخبيرات في سرعة الانجاز، واسمها سني شلنجر، توصي بالاحتفاظ بعلبة صغيرة توضع فيها هذه الأغراض في كل حجرة من حجرات البيت. وهي تقول: "قد تنقضي فترة من الزمن وأنت تبحث في العلب، لكنها أسرع من التنقيب في البيت بأسره."

٢. اكتسب المران. اعتادت ستيفاني ونستون، مؤلفة كتاب "كيف تنظم شؤونك" القاء مفاتيح سيارتها في سلطانية على طاولة قرب الباب، وهي المكان الأمثل لهذه المفاتيح. وذات يوم رن جرس الهاتف وكانت وصلت لتوها الى المنزل، فلم تضع المفاتيح في مكانها المعهود. بعد ذلك، حين عزمت على الخروج من البيت ثانية، لم تعثر على مفاتيحها. وقد أضاعت ساعة قبل أن تجدها قرب الهاتف. إن اسقاط المفاتيح في السلطانية لم يصبح بعد عادة مستحكمة عندها. ومن الضروري تحويل هذه الافعال عادات.

٣. اقرن ذهنياً بين شيء وآخر. تبقى سيارتك في العادة كنينة يؤويها مرأب أو موقف. ولكن اذ توقف سيارتك خارج المطار أو المجمع التجاري، فإنك قد تضيع في بحر متلاطم من السيارات. ما العمل؟ يوصي الخبراء بأسلوب فعّال يساعد على التذكر وهو القرينة: قبل أن تترك السيارة، انظر حولك واستحضر صورتها في ذهنك وفق علاقتها بمعلم ثابت، كممر للمشاة أو عمود مصابيح أو لوحة اعلانات. وانتبه للمعالم القائمة بين السيارة والمخرج الذي ستسلكه لاحقاً.

والربط الذهني أكثر فاعلية اذا ما جعلت الامور التي تتذكرها سخيفة أو مضحكة بحسب قول هاري لو راين وجيري لوكاس مؤلفي "كتاب الذاكرة." فاذا ما

تركت نظارتيك قرب جهاز التلفاز، مثلا، تصوّر هوائياً يحطم احدى زجاجتيهما، وستتذكر مكانهما بعد ساعات.

ولكن ينبغي أن تبتكر القرينة عند وضع النظارات، على أن تكون مضحكة أو منافية للمعقول. ومن دون ذلك فانت اما تصبح ذاهلا متفرق الخاطر فلا تنجح في تشكيل المذكّر واما أن يكون هذا المذكر بالغ المعقولية ("النظارات لمشاهدة التلفاز،" مثلا) فلا يرسخ في ذاكرتك.

٤. **فكر ملياً**. ان استعادة خطواتك ذهنياً قد ترشدك الى غرض مفقود. في مستهل مهنتي اقتحم مكتبي رئيس برم ضيق الصدر وهو يسألني لِمَ لَم أرد على مذكرة أصدرها. لم أذكر اني رأيت المذكرة أصلا. استعدت الخطوات في ذهني باحثاً في ملفاتي عن أمور فعلتها في تاريخ المذكرة، فوجدتها عالقة بمشبك للورق على غلاف أحد الملفات.

وان لم تفلح هذه الطريقة فإن هاري دون، الطبيب النفساني من نورواك بولاية كونيتيكت وأحد مؤلفي كتاب "أن تحب وتعمل"، يوصي بنوع خاص من التفكير المليّ. خلال ذلك الشفق الذهني الذي يسبق النوم مباشرة، أسرّ الى عقلك بالشيء الذي تبحث عنه، طالباً منه مفتاح الحل في صباح اليوم التالي. وحسب قوله: "قد لا تدرك أين وضعت الغرض اذ تكون واعياً، لكن عقلك الباطن على علم به."

٥. **احتفظ بنسخة مطابقة**. أحياناً لا يُعثر على الشيء المفقود أبداً. ولكن ينبغي أن تحتفظ بنسخ مطابقة عن أشياء مهمة كالمفاتيح والنظارات. كما يجب نسخ الوثائق المهمة. ولكن لا تخفِ الاصليات المنسوخ عنها في مكان سري في حجرة النوم أو الطبقة السفلى من المنزل. قد لا يعثر عليها اللص هناك، لكنك قد تنسى أين وضعتها. أبقِ أشياء ثمينة كهذه في مكتب محام أو في صندوق الامانات في المصرف.

أما في شأن القطع المفقودة التي لا يمكن نسخها، فالحل الوحيد أن تتوقف عن التفكير في أماكن وجودها، لانك في الغالب، اذا ما انتظرت زمناً كافياً، فستلقاها. وكن حصيفاً. واعمل بقول الكاتب الروماني بوبيليوس سيروس في القرن الأول قبل الميلاد: "احسب كل ما تفقده غير ذي أهمية."

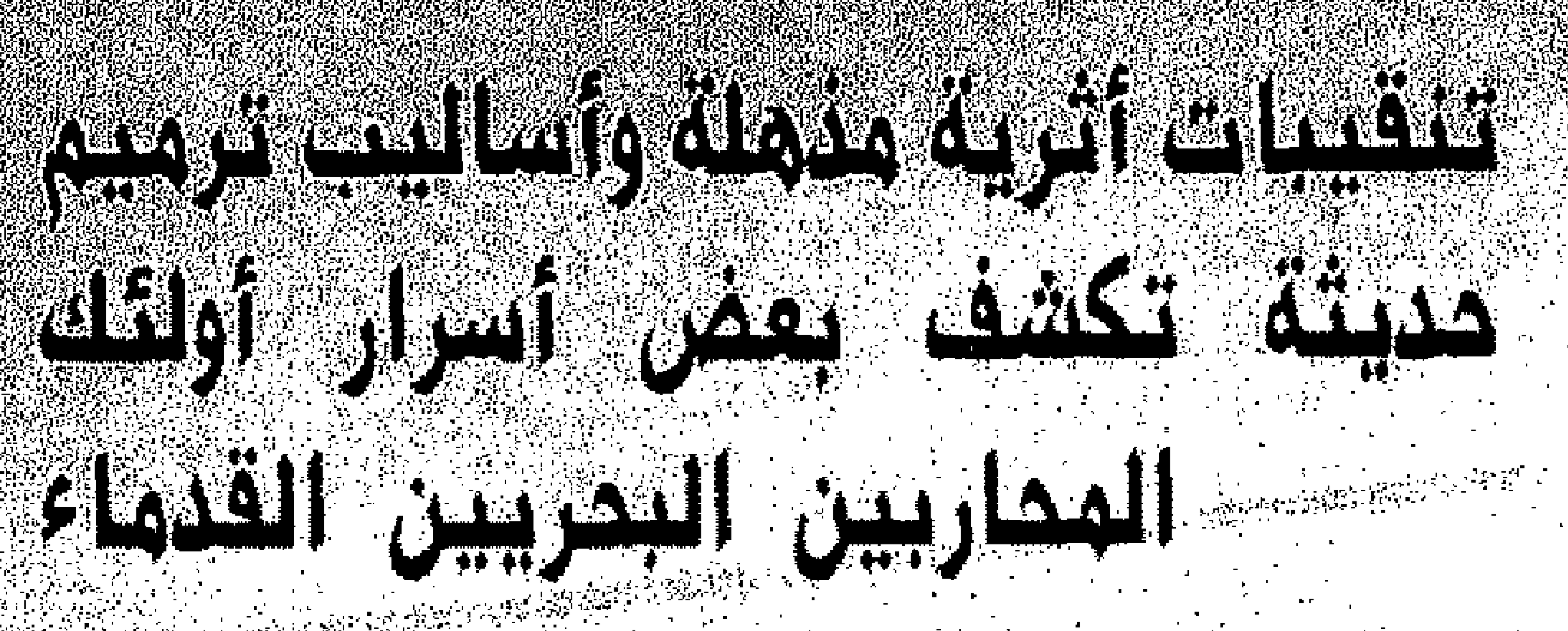
صامويل شراينر الابن ■



مراسلة بحرية

كريستوفر هاينز صبي في الثامنة يعيش في بلدة بيتربورو البريطانية. رمى الى الامواج المتكسرة على شاطىء شيرينغهام قنينة داخلها رسالة يطلب فيها صديقاً يراسله. وبعد بضعة أسابيع تلقى جواباً من مواطن هولندي وجد القنينة في خليج زاندفورت في "الاراضي الواطئة"، يقول له فيه ألّا يطرح أبداً بعد الآن أوساخاً في البحر!

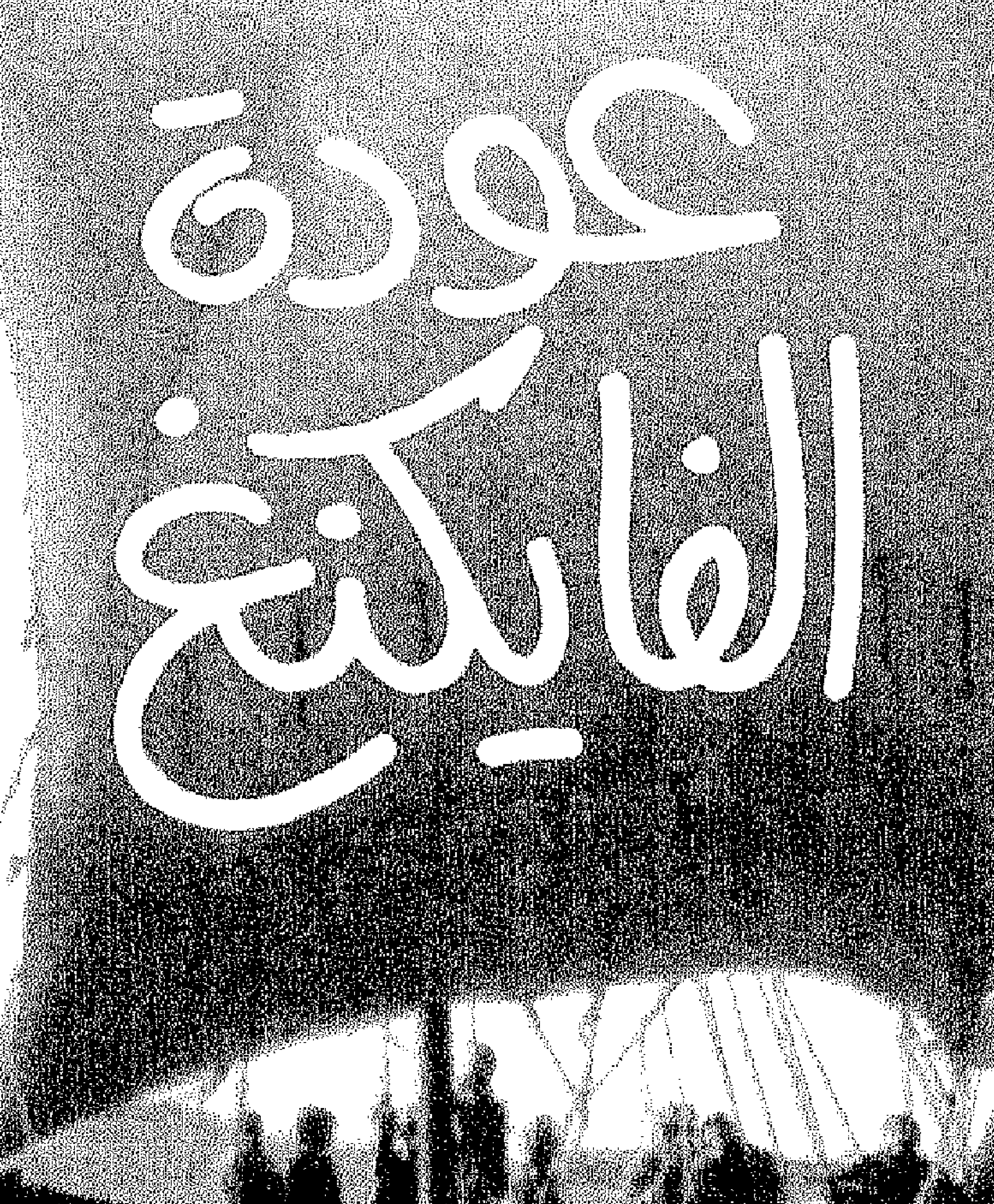
صحيفة "دايلي تلغراف" اللندنية



تنقيبات أثرية مذهلة وأساليب ترميم حديثة تكشف بعض أسرار أولئك المحاربين البحريين القدماء

السماء الدانمركية رصاصية والضباب الذي يحجب الشاطىء يتمزق فوق رؤوس الأشجار. وفي الخليج أسطول من السفن ينتظر الرحيل. المياه هائجة بفعل الريح وقد بدأت السماء تمطر رذاذاً. وفي سفينتنا "روريج" نقف مبتلين والبرد ينخر عظامنا ونبدأ التجذيف نحو مياه الزقاق البحري (★) المفتوحة.

وعند وصولنا الى هناك يجذب البحارة الحبال بعنف فتنتفخ الاشرعة محدثة فرقعة. تندفع "روريج" الى الامام، وفجأة



(★) Fjord . وهو ممر بين صخور وجرف بحرية. وتكثر هذه الازقة في السواحل الاسكندينافية.

يختفي أي تفكير في البرد ليحل محله الابتهاج العارم. إننا نبحر في اسطول من سفن الفايكنغ.

السفينة الطويلة في الصدارة ومقدمها الذي في شكل تنّين يسير في خطوط متقنة، تتبعها سفينة حربية أصغر منها ثم خمس سفن شحن أخرى منتفخة الاشرعة، جميعها مسرعة وكل منها مزود صارياً واحداً وشراعاً واحداً. وبكل هدوء نقطع المياه الضحلة نحو روسكيلد مدفن العائلة المالكة في الدانمرك والمقر القديم لملوك الفايكنغ.

تتضمن سجلات التاريخ الانكلوسكسوني التي تتناول تاريخ تلك الحقبة ما يأتي: "في الثامن من يونيو (حزيران) عام ٧٩٣ دمرت الهجمات التخريبية التي شنها رجال وثنيون دار العبادة في ليندیسفارن. ورافقت ذلك عمليات نهب وذبح." هكذا بدأ عصر الفايكنغ. كانت الدار مقاماً معزولا على جزيرة ليندیسفارن في بحر الشمال، وتعتبر حصينة لا يمكن اختراقها. وهؤلاء الوثنيون كانوا شعب الفايكنغ، البحارة المحاربين الذين عاشوا من القرن الثامن الى القرن الحادي عشر في ما يسمى اليوم اسكندينافيا. لقد قطعوا البحر الخطر ونهبوا المقام وقتلوا وانتهكوا الحرمات أينما ذهبوا.

سفينة مُغرقة. على مدى ما يقارب ثلاثة قرون لم تكن هنالك أرض تبدو بعيدة عن متناول الفايكنغ. لقد أبحروا غرباً في محاذاة ساحل الاطلسي متغلبين على بريطانيا ونورمنديا ومهاجمين اسبانيا البربرية في طريقهم حول مضيق جبل طارق متجهين الى افريقيا. هاجم النروجيون شواطىء بريطانيا الشمالية والغربية ثم استكشفوا غريندلاند وأمريكا الشمالية. ومن أسوج (السويد) توغل الفايكنغ شرقاً عبر البلطيق وعبر الأنهار العظيمة في روسيا موسعين نفوذهم حتى القسطنطينية نفسها.

كانت حرفتا الفايكنغ التجارة والفتح، وهما اعتمدتا على شيء واحد: سفنهم، كانت مراكبهم الرائعة التي تردد ذكرها في قصص البطولات، معياراً لأهمية الانسان والتعبير الأسمى عن فنه وحياته. وعندما كان الموت يدعو ملوكهم وشيوخهم كانوا يدفنون أو يحرقون في سفنهم كي لا يفترقوا عنها أبداً.

أما اليوم فإن بناة هذه المراكب بدأوا يكسبون احترام علماء الآثار والمهندسين وصانعي السفن العصريين. ومن خلال الاكتشافات المذهلة وأساليب الترميم الحديثة تتكشف أسرار الفايكنغ في صناعة السفن وعلم الابحار.

بدأ كل ذلك مع صيادي الأسماك في سكولدیلیف، وهي قرية تقع على زقاق روسكيلد البحري غرب كوبنهاغن. وتقول الاسطورة ان سفينة أغرقت في قناة الزقاق بأمر من الملكة مرغريت لمنع الاعداء من الوصول الى روسكيلد. كان متر واحد من الماء يغطي حافة المركب الطويلة، وعلى مر القرون ظل المستحمون وصيادو الاسماك يبحثون بفضول بين أخشابه والصخور التي تملأ هيكله.

ولكن لم يعطَ حطام هذا المركب أهمية تذكر الى العام ١٩٥٦، عندما أخرج

Photos: Grethe Schantz, The Viking Ship Museum



السفينة التجارية الصغيرة، الأسلم بين السفن المحطمة، اختيرت لتكون نموذجاً يحتذى.

غطاسان شابان رافدة سليمة من المركب، تمّ فحص الخشب في المتحف الوطني الدانمركي في كوبنهاغن ووجد أن السفينة كانت أقدم كثيراً مما كان يُظن اذ كانت تعود الى عهد الفايكنغ.

اعادة بناء. في الصيف التالي بدأ غطاسون استكشاف قعر المركب، يقودهم أولاف أولسن الذي كان أميناً للمتحف الوطني. وبعد سنوات من البحث اكتشفوا أن خمس سفن، وليس سفينة واحدة، اغرقت بأطنان من الصخور بغية سد الزقاق البحري. فهناك سفينتان حربيتان وسفينتان تجاريتان ومركب صيد تعود جميعها الى قرابة العام ١٠٠٠ وهي أكبر مجموعة لحطام السفن في أوروبا مما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر.

وفي العام ١٩٦٢ وضع جدار من الصفائح الحديد في القناة حول مساحة تبلغ ١٦٠٠ متر مربع، وضخت المياه خارج هذه المنطقة بغية ايجاد جزيرة اصطناعية. ثم بنيت ممرات ضيقة متحركة على ارتفاع بضعة سنتيمترات فوق الحطام. وعلى مدى أكثر من ثلاثة أشهر ظل أولسن وزميله المهندس البحري أول كروملين - بادرسن وفرق من الطلاب منبطحين على ألواح خشبية يزيلون بأيديهم أطناناً من الطمي والصخور كانت تغطي السفن.

لم يكن في استطاعتهم استعمال الآلات على القطع الخشبية السريعة العطب. ويقول أحد المنقبين: "كانت الاخشاب كقطع البسكويت المنقوعة في الشاي،" اذ بعدما حطمتها الصخور وبقيت في الزقاق البحري زهاء ٩٠٠ سنة أصبحت ماء بنسبة تراوح بين ٨٠ و٩٠ في المئة. ولمنعها من الجفاف كان الموقع يُرش بالماء على الدوام.

كانت القطع توضع بعد نزعها في أكياس بلاستيكية مختومة ثم ترسل الى المتحف لقياسها وتصنيفها. وقد حفظت في الماء عدة سنوات، ثم أبدل الماء بشمع مركب خاص لاختراق الخشب وتجميده.

بدأت عملية اعادة بناء السفن في روسكيلد عام ١٩٦٨ في مبنى على وشك الاكتمال لمتحف سفن الفايكنغ المشرف على الزقاق البحري. كانت عملية اعادة البناء اشبه بأحجية ثلاثية الابعاد للصور

المقطعة، اذ كانت هناك ألوف القطع، بين كسر صغيرة وألواح كبيرة، تحتاج الى تصنيف وتركيب. وتبين بعد ذلك أنه بقي الشيء الكثير لتعلمه عن بناء سفن الفايكنغ. وباعتماد طريقة التجربة والخطأ، أكبّ فريق من خبراء الصيانة وعلماء الآثار وصناعة السفن الى تغيير الاشكال مرة تلو أخرى حتى توصلوا الى وضع القطع في أمكنتها وتطابقت ثقوب المسامير في الالواح مع الثقوب في رافدات المراكب.

وسادة هواء. أعيد بناء السفن، فكانت النتيجة خمسة أعمال فسيفسائية غير مكتملة لكنها، مجتمعة، تظهر الجمال الكامل للسفن. ويبلغ طول السفينة التجارية العميقة ١٦،٥ متراً وهي مصنوعة من خشب الصنوبر والسنديان. وفي أيامها أبحرت الى آيسلاند آيسلندة وغرينلند. أما السفينة التجارية الاخرى ذات اللون القاتم والتي لا يزال مقدمها المسنن سليماً فربما بقيت راسية في المياه الدانمركية أو أبحرت عبر البلطيق الى روسيا. وأما السفينة الحربية التي يبلغ طولها ١٨ متراً والتي تبلغ من الخفة درجة تمكنها من الابحار على الشواطىء، فهي من النوع الذي استعمله وليم الفاتح في اجتياح بريطانيا عام ١٠٦٦. والسفينة الحربية الثانية هي الاطول بين هذه السفن وتتسع لمئة رجل. وصغرى هذه السفن معدية أو مركب صيد.

كشفت السفن بعد انجاز تركيبها أن الفايكنغ كانوا أسياداً في الهندسة. فكل سفينة تخضع للمبادىء الاساسية ذاتها. وكقرون البازيلاء المضغوطة لتتفتح كانت السفن هياكل ملساء منتفخة في الوسط ومتقوسة الى الداخل لترتفع عند المقدم والمؤخر. يقول يان سكامبي مادسن مدير متحف سفن الفايكنغ: "قد يكون بناة السفن العصريون طوروا تكنولوجيا مذهلة، لكنني أعتقد أننا لم نصمم مركباً أرفع تقنياً من سفن الفايكنغ."



بناء "روريج": نحتت العارضة الرئيسية لقعر السفينة من جذع واحد يبلغ طوله تسعة أمتار.

وبعد دراسة أدق التفاصيل في سفن سكولديليف تبين للعلماء أنها كانت ثابتة وسريعة. لقد كانت أبدانها متراكبة الألواح والصفائح، اي ألواحها متشابكة بدلا من أن تكون مثبتة باستواء بعضها مع بعض. وقد ساعد هذا الاسلوب السفن على الانزلاق على الامواج بدلا من شقها.

والصفة الاكثر اثارة للفضول وجود أخدود على كل من جانبي بدن السفينة يمتد من مقدمها الى مؤخرها. وقد فسر كروملين - بادرسن هذه الظاهرة كما يأتي: "كلما تقدم المركب الى الامام كان يدفع الهواء لولبياً وباستمرار تحت بدنه مما يشكل وسادة هواء جزئية تخفف الاحتكاك وتزيد السرعة."

وبذلك تحدى الفايكنغ أحد مبادىء الابحار المعروف بقانون "فرود" والذي يحدد سرعة المركب القصوى بناء على حجمه.

عمل محموم. بعد تحليل تصميم المراكب أصبح الخبراء جاهزين لبناء نموذج طبق الأصل مستعملين المعدات والاساليب التي اعتمدها الفايكنغ. ودُبِّر حوض لبناء السفن في منطقة المرفأ عام ١٩٨١ وقدمت هبة خاصة بقيمة مليون كرونر دانمركي، مما جعل تحقيق المهمة ممكناً. واختيرت السفينة التجارية الصغيرة لبناء نموذج مشابه لها اذ كانت الأسلم. وباشراف كروملين - بادرسن المتحمس تم تجنيد نحو عشرين متطوعاً شاباً لبنائها.

وفي المتحف الوطني صنع الحدادون مساحج بدائية وفؤوساً وأزاميل وسكاكين، مستندين الى ما وجد منها في المدافن. وقطعت فرق البحث ١١ جذعاً ضخماً كاملا من غابات السنديان القديمة في زيلندة الشمالية حيث قص الفايكنغ أخشابهم في الماضي.

بدأ العمل بلهفة في حوض روسكيلد في ربيع ١٩٨٣. وكانت المشكلة الكبرى المهارة اليدوية، خصوصاً في استعمال الفأس. ولكن خلال أسابيع بدأت الاشكال الضخمة المنقوسة في المقدم والمؤخر تنبثق من الجذوع الخشبية الجامدة. ونحتت العارضة الرئيسية لقعر المركب، وهي عموده الفقري، من جذع واحد يبلغ طوله تسعة أمتار. ولداخل المركب استعمل الفريق أشجاراً ملتوية تتطابق طبيعياً مع أجزاء من السفينة ذات أشكال غير منتظمة. فإن جذعاً مع غصنه، مثلا، يصبح واحداً من الاضلاع ذات الشكل «V» التي تدعم بدن المركب.

وعندما شارف المركب الاكتمال انصب الاهتمام على شراعه المربع الوحيد. حيك الشراع الأول من الكتان الاسكتولندي. بعد ذلك حل محله شراع مصنوع من صوف الغنم المنقوع بشحم الخيل. وجدلت مئات الامتار من حبال القنب والكتان ثم غمست بقار الخشب لتصنع منها حبال السفينة.

اسرار مخبوءة. سميت السفينة الصغيرة التي بلغ طولها ١٤ متراً ووزنها ٤٥،٢ طن "روريج" تكنياً بالملك الدانمركي المحارب الذي أسس روسكيلد كما تروي الاسطورة. وفي يوم مشمس من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٨٤ أطلقت

في زقاق روسكيلد البحري، تماماً حيث أبحرت سالفاتها قبل ١٠٠٠ سنة. وكان خشبها الجديد يلمع وساريتها ترتفع بفخر وحبالها مشدودة بأناقة.

ولتعليم البحارة أسلوب الابحار شبه المنسي بشراع مربع واحد، استدعى المتحف الاخوين التوأمين إريك وبنت أندرسن (٤٩ عاماً) الخبيرين العالميين بهذا الموضوع. يقول أريك: "تبحر هذه السفن جيداً هذه الايام، لكنها كانت تبحر على نحو أفضل أيام الفايكنغ، لقد كان مجتمعهم مجتمع إبحار. وعندما يفكر المرء في غزو الفايكنغ لبريطانيا، عليه أن يفكر في مئة سفينة أو مئتين تحمل كل منها ما بين خمسين رجلا ومئة رجل يستطيعون الابحار من الدانمرك الى بريطانيا في فترة أربع وعشرين ساعة. لقد كانوا خبراء."

ومنذ وضع "روريج" في البحر أبحرت بانتظام في رحلات تجريبية في وجهة الريح وعكسها، في طقس ملائم وفي طقس عاصف، للتأكد من مدى جودة سفن الفايكنغ في الابحار. وأتت النتائج مثيرة بحيث أن صانعي السفن العصريين يأتون الى المتحف ليتعلموا تصميم الفايكنغ بغية تحسين سفنهم. إنهم قلة من بين ١٨٠ ألف شخص يزورون المتحف سنوياً لمشاهدة سفن الفايكنغ.

لقد أصبح نبش سفن الفايكنغ هاجس الدانمركيين. ففي العام ١٩٨١ تعثر مزارع كان يعمل في حقله في فولستر ببقايا ألواح خشبية تعود الى الفترة ما بين ١٠٥٠ و١٠٥٥. وخلال الاعوام السبعة الماضية وجدت بضع مئات من قطع السفن والمعدات القديمة، مما قاد علماء الآثار الى استنتاج أن هذا المرج كان في الماضي حوضاً لبناء السفن، وهو الاول من نوعه تم اكتشافه.

لكن منطقة فولستر ومياه اسكندينافيا وتربتها الوعرتين لا تزال في أول الطريق بالنسبة الى كشف أسرار الفايكنغ القدماء. ويبقى الكثير ليكتشف عن طريقة معيشتهم وعلاقاتهم والأمكنة التي تركوا فيها آثاراً، فهذه لا تزال مخبأة عبر المسرح العظيم الذي خاضوا غماره في تجوالهم.

بعد يوم شاق من الابحار بانت لنا أخيراً الابراج المزدوجة في روسكيلد. شد قبطاننا ذراع الدفة ومالت "روريج" مع الريح وقد بدا شراعها أرجوانياً في وهج المساء.

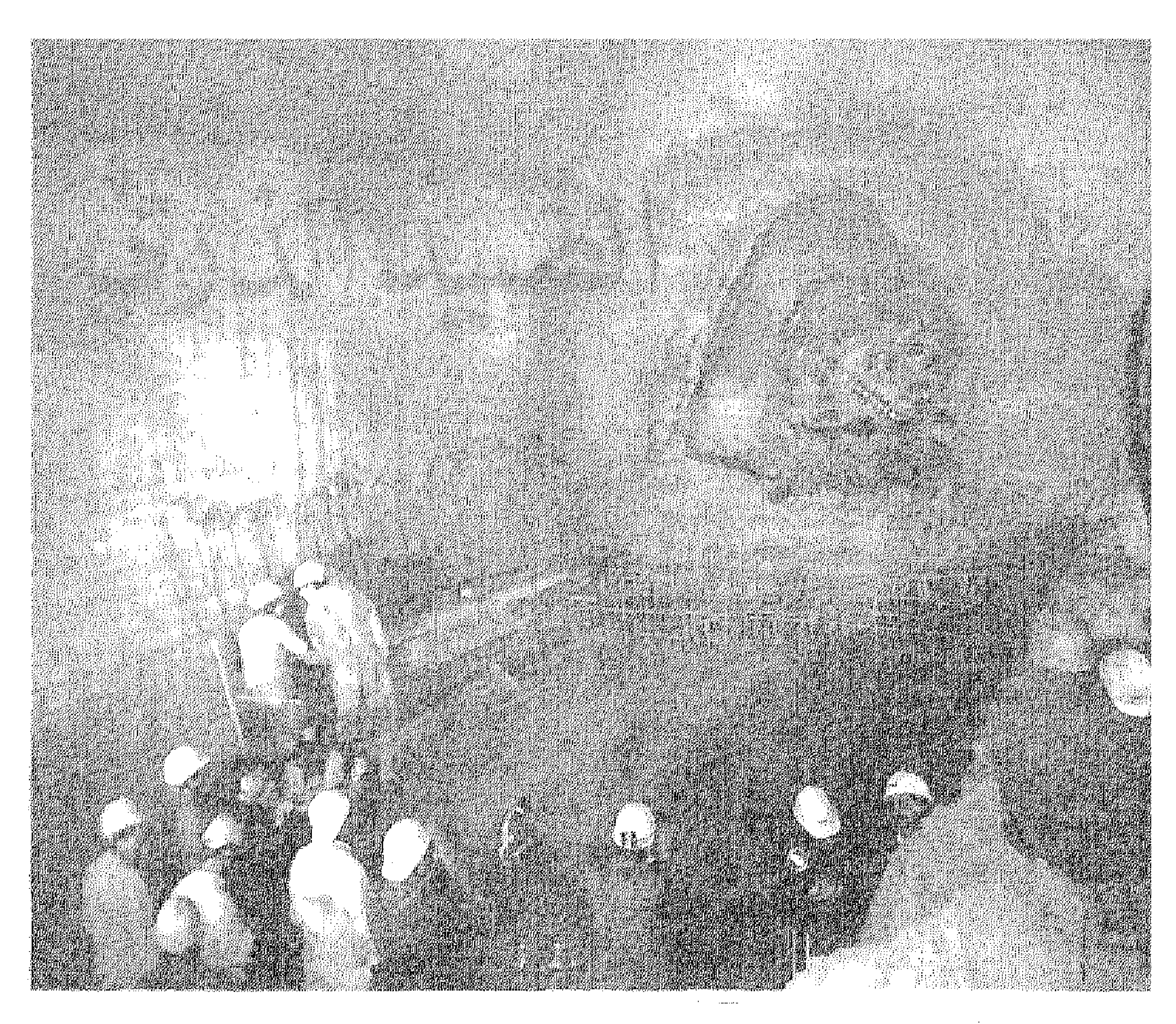
لقد انتهى حكم الفايكنغ قبل زمن بعيد وحصرت أعمالهم البطولية في الملاحم والاساطير. أما الان فقد عاد عالمهم المحفوف بالمخاطر الى البروز من خلال أعظم انجاز لهم: سفنهم ذات الرهبة والجلال.

بريسيلا باكلي ■



إياك أن تهمل المعرفة لحساب الحكمة. فالاولى تساعدك على العيش والثانية على الحياة.

س.ك.



حفر النفق لمصادم الالكترونات والبوزيترونات الكبير.

الاكتشاف المدهش لجسيمين ذرّيين أحدث ثورة في النظرة العلمية الى القوى التي تتحكم بالكون

حين يسمع العلماء ضجة في الرواق خارج مكاتبهم في "المختبر الاوروبي لفيزياء الجسيمات" في جنيف بسويسرا، يلتفتون بعضهم الى بعض ويقولون: "ها هو كارلو قد رجع." وهم بذلك يعنون كارلو روبيا العالم الفيزيائي الايطالي الذي قد يكون راجعاً من رحلة ألقى خلالها خطاباً في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة او من مؤتمر دولي حول فيزياء الجسيمات في طوكيو أو من مدينة لابلاتا في الارجنتين حيث منح شهادة فخرية. وقد تكون الاصوات الصادرة عنه تعليقات أو توجيهات، لكنها في الغالب صادرة بكامل قوة رئتيه الضخمتين. ان روبيا رجل انفعالي متصلب في آرائه وله أعداء بمقدار ما له أصدقاء وقد أصابه من الاخفاق مقدار ما أحرزه من نجاح. ومع ذلك فالجميع متفقون على أنه عبقري.

Photos: Photo Cern

والعبقرية لا تخرج عن المألوف في "مختبر المجلس الاوروبي للابحاث النووية" المعروف باسم "سيرن"(١). أنشأت هذه المؤسسة عام ١٩٥٤ اثنتا عشرة دولة لدراسة الجسيمات والانظمة الطبيعية التي تضبط الاجزاء المتناهية في الصغر من المادة والطاقة داخل الذرة، تلك الاجزاء التي تشكل بنية الكون. وتستخدم "سيرن" أكثر من ٣٠٠٠ من ألمع الادمغة في الحقل العلمي.

وما يميز كارلو روبيا عن الآخرين مواهبه المتعددة المميزة. فهو ليس فقط متضلعاً من الفيزياء الاختبارية يتنقل بسهولة في ضباب جسيمات الهادرون والفيرميون والتولبتون والباي ماسون(٢) الدقيقة التي، بحسب ما يؤكد لنا العلماء، يتألف منها الكون. لكنه يعرف كل أجزاء الآلات البالغة التعقيد التي يستخدمها الفيزيائيون في اختبار نظرياتهم.

والى ذلك فانه يعرف كيف يحمل فرقاً من العلماء البارزين على العمل معاً ١٥ أو ١٧ ساعة يومياً في مشروع كبير. فهم، بحسب قول أحد الفيزيائيين الاداريين، يخضعون لاسلوب روبيا الفريد الذي يقرن أعذب الترغيب بأشد الترهيب. وهو استخدم هذا الاسلوب لاقناع مسؤولي "سيرن" بتخصيص ٢٠٠ مليون فرنك سويسري لما كان سيصبح أحد الاحداث العلمية العظيمة في عصرنا: البحث عن جسيمات «W» و «Z».

ان جسيمات «W» و «Z»هي من عائلة جسيمات متناهية في الصغر تعرف بجسيمات "بوسون الموجّهة" (تنتسب تسميتها الى عالم الفيزياء الهندي ساتياندرا ناث بوس). ولشرح جسيم بوسون الموجّه في اللغة العامية يستخدم رينهارد بود أحد علماء "سيرن" الفيزيائيين هذا التشبيه: "عجز العلماء دائماً عن معرفة كيف يمكن جسمين - كالارض والشمس أو كالبروتون والالكترون داخل الذرة - أن يتدافعا أو يتجاذبا من دون أن يكونا متلاصقين. وفي دراستنا لهذه الظاهرة نبدو كمراقب في سفينة فضائية ينظر عبر مرقاب (تلسكوب) قوي مركز على ملعب كرة مضرب على سطح الارض. وقوة مرقابه تتيح له فقط رؤية نقطتين صغيرتين جدا، أي اللاعبين وهما يندفعان أماماً وخلفاً وجانبياً. يفوته القصد من حركات اللاعبين الى أن يدرك أنهما محكومة بشيء أصغر يروح ويجيء بينهما. انها كرة المضرب! فاذا أزيل هذا الشيء المتبادل - كرة المضرب - فان القوة بين الجسمين تزول. ولن يبقَ هناك أي تجاذب."

انه لشيء أن نستنتج أن كرات المضرب هي هناك، وشيء آخر أن نبرهن أنها كائنة. ان البوسونات «W» و«Z» كانت جزءاً من نظرية وضعها ثلاثة علماء فيزيائيين في الستينات والسبعينات. والافتراض هو أن القوة المغنطيسية الكهربائية وما يسمى القوة النووية الضعيفة، اللتين تسببان التلاشي الاشعاعي، ليستا قوتين منفصلتين انما

(١) Conseil Européen pour la Recherche Nucléaire «CERN»
(٢) Hadrons, fermions, tau leptons and pi mesons
(٣) Vector bosons

هما مظهران مختلفان لقوة كهربائية ضعيفة (٤) واحدة. فاذا كان ذلك حقيقة فان النظرية تعني أن هناك ثلاث قوى، لا أربعاً، تضبط الكون. والقوتان الاخريان هما الجاذبية والقوة النووية الشديدة التي تبقي نواة الذرة متماسكة.

نصّت النظرية أن القوة الضعيفة تنقل بواسطة جسيمات بوسون «W» و «Z». ويقدر العلماء أن هذه الجسيمات تتدافع حولنا في كل الاوقات لكنها صغيرة جداً وعمرها قصير الى درجة تعجز معها أي آلة عن مراقبتها في الاحوال العادية. لكنهم ارتأوا أنه اذا ولّدت في المختبر طاقة كافية لاطلاقها بدفعات هائلة، فيحتمل التقاط رؤية قصيرة لهذه الجسيمات.

طاقة رهيبة. كان الرأي سائداً أن التكنولوجيا المطلوبة لتوليد هذه الطاقات الهائلة لن تتوافر قبل حلول القرن الحادي والعشرين. ولكن في العام ١٩٧٦ كان لكارلو روبيا رأي آخر. كانت "سيرن" فرغت لتوها من بناء "سينكروتون البروتونات المتفوق"(٥) وهو نفق دائري تحت الارض يبلغ محيطه سبعة كيلومترات، يمكن داخله تسريع شعاعات من البروتون الى غاية ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية، أي أقل قليلاً من سرعة الضوء. اقترح روبيا أن تصدم البروتونات المسرّعة في نفق السينكروتون بشعاعات من البروتونات المضادة(٦) تتحرك بالسرعة ذاتها في الجهة المضادة. والبروتون المضاد هو شكل من المادة المضادة(٧) شبيه بالبروتون، الا أن فيه شحنة كهربائية سالبة بدلا من شحنة موجبة. أما عمره فقصير جدا لانه عندما يصطدم بجسيم مادة عادية يختفيان كلاهما، فيتحول طاقة خالصة قد تتحول بدورها جسيمات جديدة.

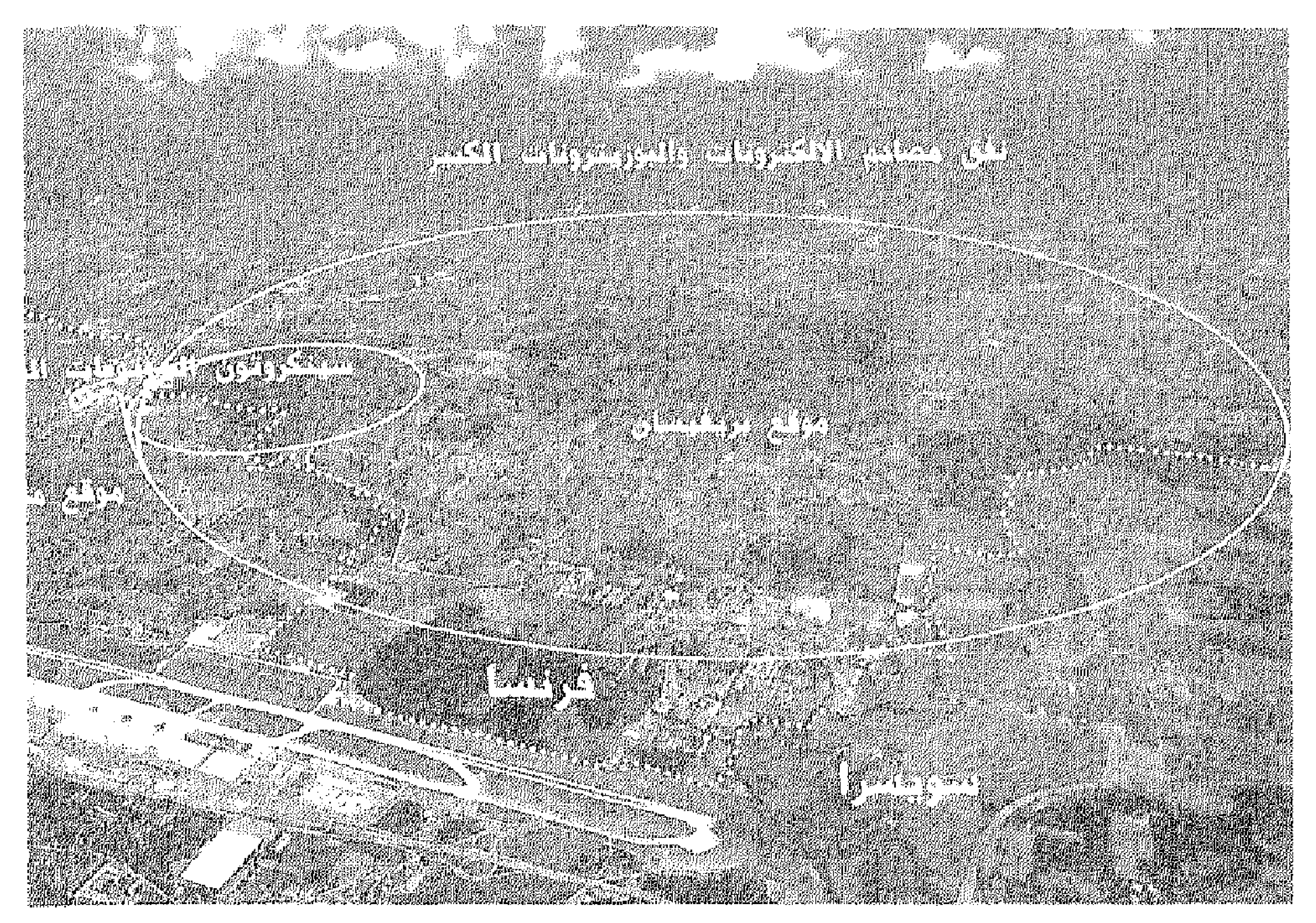
وفكّر روبيا في أنه لو اصطدمت البروتونات والبروتونات المضادة بسرعة عالية فان الطاقات المولّدة تبلغ ٥٤٠ مليار الكترون فولت، أي عشرة أضعاف أي طاقة ولدت سابقاً. فعلى هذا المستوى قد تتسنى مراقبة أحد جسيمات البوسون المتملّصة في واحد من كل مئة مليون اصطدام تقريباً. وهناك كاشف معقد بحجم بناء من أربع طبقات يركز على النقطة حيث ستتم الاصطدامات ويسجل جميع التفاصيل.

كان ذلك برنامجاً يبعث الرهبة في النفس. أولا، لانه لم يكن هناك أي تأكيد على أن جسيمات «W» و «Z» هي كائنة حقيقة. وكيف يؤمّن روبيا مليارات البروتونات المضادة التي يحتاج اليها؟ وان يكن توليد الجسيمات سهلا في المختبر فانه من الصعب الاحتفاظ بها لانها تندفع في كل الجهات وتختفي حين تلامس جدران غرفة خوائية (اي مفرّغة من الهواء).

كان روبيا اطلع على مقالة لأحد مهندسي "سيرن" وهو هولندي يدعى سيمون فان دير مير، يقترح فيها استخدام أسلوب ثوري جديد يدعى "التبريد الستوكاستي"(٨). فبحسب

---

(٤) «Electroweak» force
(٥) Super Proton Synchroton
(٦) Antiprotons
(٧) Antimatter
(٨) Stochastic cooling



منظر جوي لمؤسسة "سيرن"، ويبدو موقع نفق المصادم الكبير الذي يبلغ محيطه ٢٧ كيلومتراً.

الطريقة النظرية يمكن تجميع كميات كبيرة من البروتونات المضادة الى أن تصبح جاهزة لاطلاقها داخل نفق السينكروتون. وكان روبيا على ثقة بنجاح هذه الخطة.

تصميم غير منظور. عام ١٩٧٨ بدأ روبيا البحث عن البوسونات بمعاونة ١٣٠ من العلماء المكرّسين. وكان على الفريق ان يستنبط الوسائل الكفيلة بالنجاح نظراً الى أنه ما من أحد أقدم في السابق على معالجة أمر معقد كهذا. فقد كانت المشاكل الهندسية لوحدها مذهلة، وهناك "جبال" من التجهيزات الغامضة يجب تأمينها وزجّها في فسحة ضيقة يتقاطع فيها ١٢ ألف سلك.

وحصلت كل الاخطاء التي كان حدوثها محتسباً. فقد هبّت النار في المحولات وحدثت ثقوب في الغرف الخوائية. ورُبط أحد الخراطيم مرة الى الانبوب الخطأ، فأصيبت كل المعدات الثمينة برشاش من الماء الملوّث. وكان هناك عشرات الالوف من الاجزاء الدقيقة والاسلاك التي يقتضي نزعها وتنظيفها وتجفيفها ومن ثم اعادة جمعها.

ولكن في صيف ١٩٨١ كانت الجسيمات تدور في النفق بكثافة منخفضة. وفي نهاية شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢ أصبح كل شيء جاهزاً. وبدأ العد العكسي الالكتروني بواسطة جهاز "ميكروبروسسور" (٩) وأطلقت داخل النفق حزم الجسيمات الاولى في كتل ضبابية بحجم ابهام اليد، موجهة

(٩) Microprocessor

بمغنطيسات جبارة ومسرّعة بحقول مغنطيسية كهربائية ضخمة. وحدث تصادم الجسيمات بمعدل ٤٠ ألف تصادم في الثانية. وكانت ابتدعت برامج الكترونية معقدة لشطب الحوادث الروتينية. وفي أقل من واحد من عشرة آلاف اصطدام قد ينتج أمر خارج عن المألوف، فتسجل هذه المعلومات بواسطة دماغ الكتروني على شريط مغنطيسي يوضع في متناول المختبرات في أنحاء العالم. وحين لا يحصل الا تصادم واحد كل ثلاث ثوان أو أربع فسيكون ذلك أمراً فريداً جداً، وهنا يمكن العثور على الجسيمات «W» و «Z». وسيعاد بناء هذه المعلومات نظرياً على شاشة "ميغاتيك" التي تظهر تصادم الجسيمات في ثلاثة أبعاد.

درس العلماء صوراً مختلفة الاشكال لنقط وخطوط متعددة الالوان على شاشة الميغاتيك، وواظبوا على ذلك ٢٤ ساعة يومياً. وكانت المشكلة تحديد جسيم البوسون لدى نشوئه لانه ما من أحد يقدر أن يراه فعلاً. ولكن اذا بان جسيم بوسون «W» فانه ينشطر الى جسيمين آخرين ربما كانا الكتروناً وانتينيوتروناً ينطلقان بسرعة عالية في اتجاهين مضادين. وفي الامكان تعيين هوية الالكترون بكونه خطاً مستقيماً، وسيكون الانتينيوترون (النيوترون المضادّ) غير منظور. لكن وجوده يستنتج من حصول اختفاء الطاقة من جانب واحد من الانفجار.

جائزة نوبل. راقب العلماء صور الدماغ الالكتروني وانتظروا، ولكن لم تبدُ أي علامة تدل على جسيمات البوسون الهاربة. وأخيراً بعد مرور أربعة أسابيع بدأ الحظ يحالفهم. فمن بين ١٥٠ الفاً من الجسيمات المرشحة التي عرضت تكراراً على الشاشة كانت هناك ستة ترتجى منها نتيجة مثيرة. وفيما تعاقبت الاختبارات اخذت تسيطر على العلماء حماسة جماعية. في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ سُمع كارلو روبيا يردد مبتهجاً: "منظرها مثل جسيمات «W»، وملمسها مثل جسيمات «W»، فيجب أن تكون جسيمات «W»! وبعد ثلاثة ايام أعلن روبيا في مؤتمر صحافي مؤثر وجود جسيمات «W» في الكون. وبذلك ثبتت صحة نظرية القوة الكهربائية الضعيفة التي ترجع الى ٢٠ سنة خلت.

هذا الاكتشاف مهّد الطريق للبحث عن الجسيم «Z» الذي هو أندر من الجسيم «W» وخالٍ من أي شحنة كهربائية. وكان تحديد هويته أكثر صعوبة، ولكن في ٤ مايو (أيار) في مختبر في أنيسي التي تبعد ٤٠ كيلومتراً، كانت الباحثة الفرنسية ماري نويل مينار تستمع بواسطة دماغ الكتروني الى تسجيل التصادم في نفق "سيرن" في ٣٠ ابريل (نيسان). فلاحظت أمراً غير عادي، فانتزعت النسخة من الآلة وأسرعت بها الى سويسرا.

في "سيرن" جرى الاستماع الى شريط التسجيل بواسطة جهاز فائق الدقة. وبعد شهر من التدقيق والتحليل قرر العلماء أن هذا التسجيل وتسجيلات اخرى كشفت وجود جسيمات «Z» حقيقية.

وساد جو من الغبطة والثقة في مقر

"سيرن" اذ تم احراز تقدم كبير في معرفة الانسان جوهر عالمه. ومنح كارلو روبيا وسيمون فان دير مير جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٨٤.

عهد جديد؟ كان جهاز "سينكروتون البروتونات المتفوق" تهيئة لجهاز أكبر هو "مُصادِم الالكترونات والبوزيترونات الكبير"(١٠) الذي خطط ليبدأ العمل فيه أواسط ١٩٨٩. في ذلك الوقت تكون أسندت الى روبيا وظيفة مدير عام "سيرن." أما نفق المصادم حيث تتدافع الجسيمات فيبلغ محيطه ٢٧ كيلومتراً، وهو محفور في الصخر بعمق يراوح بين ٥٠ و١٧٠ متراً تحت تلال بايي دو جيكس خارج مدينة جنيف. وسيكون هناك أكثر من ٤٠٠٠ مغنطيس من مختلف الانواع، ويصل وزن بعضها الى ١٠ أطنان، تستخدم لتوجيه الجسيمات.

قد يدشن المصادم الكبير عهداً جديداً في الابحاث. ففي الانبوب الخوائي وسط النفق ستدمر الالكترونات والبوزيترونات بعضها بعضاً فتتولد من ذلك طاقات تناهز ١٢٠ مليار الكترون فولت. فعلى هذا المستوى قد يحدث عدد من الظواهر الجديدة التي قد تؤدي الى حل ألغاز أخرى في الكون. هل يمكن أن تنحلّ البروتونات؟ هل يمكن ان تكون للنيوترينات كتلة ووزن؟ هل هناك قوة مفردة أساسية تضبط تحركات كل الاشياء المادية؟

وماذا عنك وعني؟ هل يمكننا التطلع الى تغيرات في حياتنا اليومية استناداً الى وجود أجهزة السينكروتون والمصادم الكبير؟ فالمحاولة الاخيرة لتوحيد قوتين في الطبيعة حققها مايكل فاراداي. ففي لندن، قبل ١٥٠ سنة، حاول فاراداي أن يكتشف ما اذا كانت الكهرباء في القضيب المانع الصواعق مظهراً آخر من المغنطيسية التي تجذب بُرادة الحديد الى قطب مغنطيس. ونتيجة أبحاثه تم ابتكار المولدات والمحركات الكهربائية وأجهزة الراديو والتلفزيون والأشعة السينية (اكس) وماكينات الفليبرز وأشياء أخرى مألوفة اليوم.

فلا غرابة اذاً في أن يؤدي اكتشاف كارلو روبيا للجسيمات «W» و «Z» الى ابتكار منتجات في القرن الحادي والعشرين تغني حياة الاشخاص العاديين في العالم.

روبرت فرنيك ■

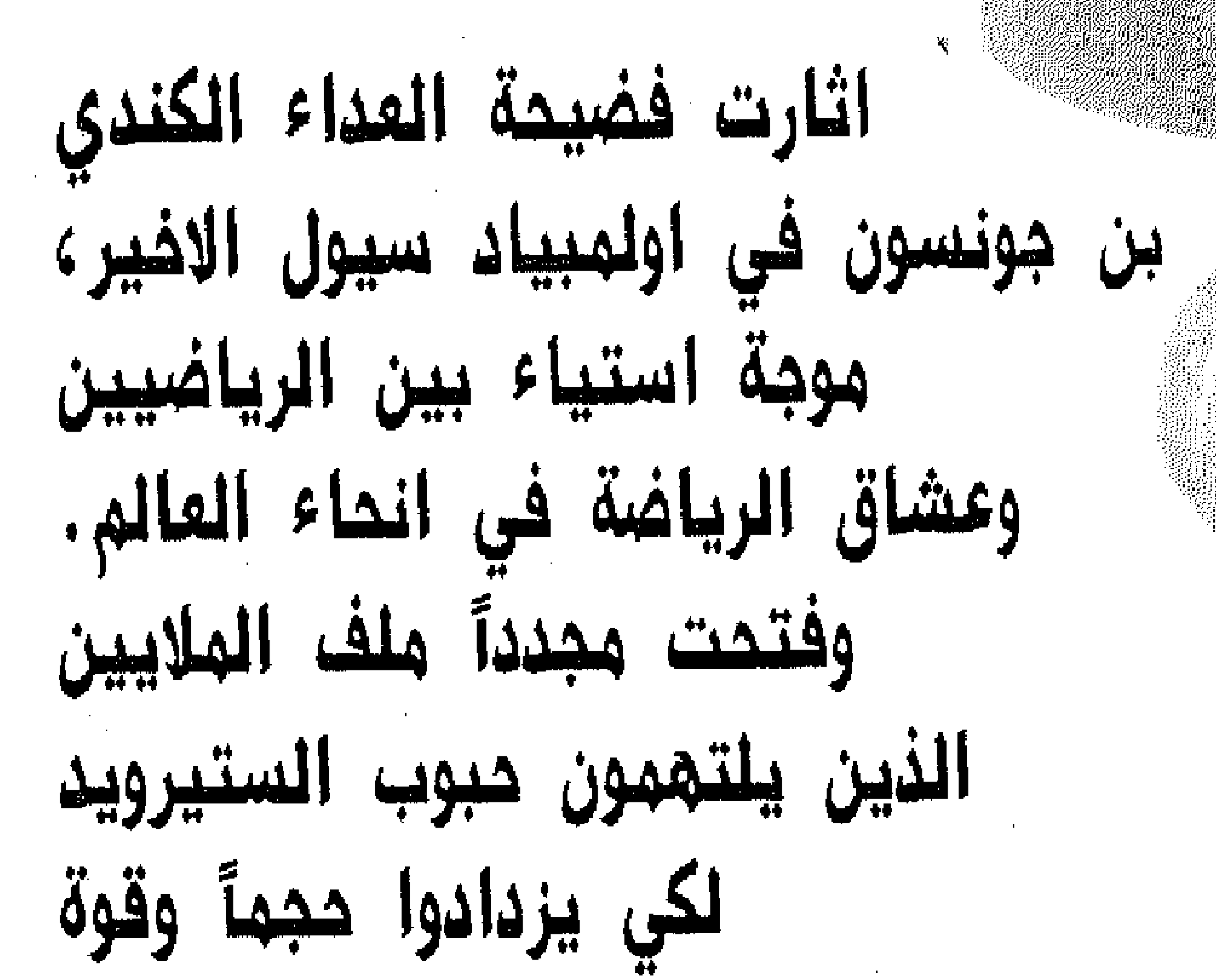
(١٠) Large Electron — Positron Collider



الهاتف الصامت

لاحظتُ ذات مساء ان ابنتي تكلّمت على الهاتف اطول من المعتاد. وكان يبدو انها لم تكن تتكلم بل تكتفي بالاستماع. فسألتها اخيراً عمّا يقوله الطرف الآخر بحيث تجمدّت طويلا لا تنبس ببنت شفة، فاجابت: "لا شيء فنحن متخاصمان."

ك.ش.



اثارت فضيحة العداء الكندي بن جونسون في اولمبياد سيول الاخير، موجة استياء بين الرياضيين وعشاق الرياضة في انحاء العالم. وفتحت مجدداً ملف الملايين الذين يلتهمون حبوب الستيرويد لكي يزدادوا حجماً وقوة

□ رغب فتى يافع في أن يكون شاباً مفتول العضل قوياً كبيراً يلفت النظر بدلاً من كونه ولداً ضعيف البنية ناحلاً لا يزيد وزنه على ٥٥ كيلوغراماً. فدخل صيدلية وحصل على زجاجة حبوب زرقاء قيل له انها تساعده في تحقيق رغبته.

□ في غرفة الاستراحة في ناد رياضي حقنت امرأة فخذها بمحلول يستخدم لتقوية أجسام جياد الاستعراض. وكانت المرأة، وهي كثيفة العضل وذات صوت عميق أجش، على قناعة بأن العقار سيساعدها في نيل مرتبة أعلى في مسابقات كمال الاجسام.

□ في نادٍ للصحة يبيع معلم اللياقة البدنية أقراصاً لمحام شاب يشعر بأن تمارينه الرياضية لا تنمّي بنيته بسرعة كافية. ويأمل المحامي أن يحصل على نتيجة أسرع بواسطة هذه الاقراص.

لقد أبرم هؤلاء الثلاثة عقداً جهنمياً مع مركّبات الستيرويد(١) التي هي نسخة اصطناعية فاعلة للهرمون الذكري "تستوسترون." ومع أملهم أن يصبحوا أكبر حجماً وممتلئي الاجسام، مع شعور

(١) Steroids

بالاعتزاز والثقة بالنفس، فانهم يعرّضون أجسادهم وشخصياتهم لاضرار مخيفة.

في هذه الايام يواجه الملايين هذا الخطر. فالبعض يزوّرون وصفات طبية أو يشترون العقار من دون وصفة طبيب من صيادلة فاقدي الضمير. والاكثرية تطلبه بالبريد على نحو غير مشروع، أو من طريق باعة يترددون على النوادي الصحية والرياضية والمدارس الثانوية. وفي الولايات المتحدة نحو مليون شخص، على الاقل، يستعملون الستيرويدات. وبحسب "مديرية الغذاء والدواء" يتجاوز حجم ما يباع منها في السوق السوداء مئة مليون دولار سنوياً.

يحذر الدكتور وليم تايلور عضو برنامج مكافحة المخدرات في أوساط الرياضيين الاولمبيين، من أن استخدام هذه العقاقير القوية بلغ "درجة الوبأ،" اذ لم يقتصر تناوله على الرياضيين. فقد عاين تايلور وزميل له ما يزيد على مئة عضو في ناد للصحة في اتلنتا بولاية جورجيا، وتبين لهما أن تسعين في المئة منهم يتناولون، أو كانوا يتناولون، عقاقير ستيرويد، وبينهم محاسبون وأساتذة وعمال وشرطيون. يقول تايلور: "لم تعد القضية رياضية فحسب، بل أصبحت اجتماعية. والذين يستعملون العقار يبدون كأنهم يلعبون بالديناميت." ويعرف بيل لوماس ماذا يحدث عندما ينفجر هذا الديناميت. فقبل بضع سنوات كان نحيف البنية يزن ستين كيلوغراماً. فعزم على أن يكبّر حجمه ويقوي عضلاته، فبدأ يمارس رفع الاثقال ويأخذ حبتي ستيرويد يومياً. لم تمر ستة أشهر حتى زاد وزنه الى خمسة وسبعين كيلوغراماً وبات "يحسّ بالقوة." لكنه أحسّ أيضاً أنه بات عدائياً ومحباً للسيطرة. فبدأ يتشاجر مع زوجته مهدداً: "سأحطم وجهك بقبضتي." وتقول زوجته: "كنت مرتاعة، لقد تحول زوجي وحشاً ضارياً."

وذات ليلة أحس لوماس ألماً حاداً في بطنه، فنقل بسرعة الى المستشفى حيث نزع الاطباء من كبده ورماً بلغ وزنه كيلوغرامين. ويؤكد لوماس الذي قطع عهداً على نفسه بعدم تعاطي الستيرويد بعد ذلك، أنّ العقار هو الذي سبّب الورم وأيقظ فيه النزعة العدوانية.

لم تكن الستيرويدات مشكلة في بادىء الامر. فهذه الهرمونات التي تنتج في المختبر طورت في الثلاثينات وكانت تستخدم في معالجة سوء التغذية وفقر الدم ومشاكل العمود الفقري، ولاحقاً لمقاومة أعراض الاشعاع والمعالجة الكيميائية.

ولكن في الخمسينات برز هدف آخر مختلف تماماً حين بدأ فريق من الرياضيين تناول هذه الهرمونات، التي هي كناية عن "تستوسترون" مركّب اصطناعياً، ويسيطرون على المباريات الدولية في ألعاب القوى. يقول هارولد كونولي اللاعب الاولمبي السابق الذي حاز ميدالية ذهبية: "في الالعاب الاولمبية عام ١٩٦٨ كان اللاعبون في كثير من المباريات يتناولون حبوب الستيرويد والمنبهات." وفي هذه الايام، يضيف الدكتور بوب غولدمان مؤلف كتاب "الموت في حجرات اللاعبين،" تستبد بالرياضيين رغبة في الفوز حتى انهم

يأخذون أي شيء ويفعلون بأجسادهم أي شيء في سبيله."

التأثير في الجنس الناعم. اكتشف لاعبو كرة القدم الستيرويدات في وقت مبكر. واعترف لاعب سابق في سان دييغو بأن المدربين كانوا يعطون اللاعبين حبوب ستيرويد حتى في العام ١٩٦٣. ثم جاء دور الصغار. وفي دراسة عن تعاطي العقار في المدارس الثانوية تبين لمؤسسة "هازلدين" في مينيابوليس بولاية مينيسوتا أن نسبة الطلاب الذين استعملوا ستيرويدات في وقت ما بلغت اثنين في المئة. وفي مدرسة ثانوية في ميشيغان أفاد ثمانية في المئة من طلاب الصف النهائي أنهم تناولوا حبوب ستيرويد. وتقول برندا ديلون الاختصاصية بموارد الكحول والادوية في مدارس مقاطعة بروارد بولاية فلوريدا، ان في نصف المدارس في المقاطعة مجموعات صغيرة من الطلاب الذين يدعون أنفسهم "الرؤساء الستيرويديين."

ويزعم آل فرونتمان، منسق التربية البدنية والرياضة وشؤون تعاطي المخدرات في مدارس غلنديل في كاليفورنيا، أن الرياضيين في المدارس الثانوية يتعاطون الستيرويدات بموافقة ضمنية من مدربين تواقين ووالدين مضلَّلين. ويضيف: "أولئك المدربون الذين يتوقون الى تضخيم الجسم ولا يدركون التأثير السلبي للستيرويد الذي يصفونه للطلاب. ويتجاوب الآباء معهم إذ يبلّغون أن ولدهم سيصبح شاباً كبيراً قوياً وسيحصل على منحة دراسية."

لكن كثيرين من طلاب المدارس الثانوية يتناولون الستيرويد لا ليؤثروا في المدرب بل ليثيروا اهتمام الفتيات. في فلوريدا رأى أحد المراهقين أنه نحيف جداً ولا يليق به أن يلبس سروال سباحة. فأخذ يتناول حبوب الستيرويد. وبعد ثمانية أشهر زاد وزنه ثلاثين كيلوغراماً وأخذ يتباهى بسرواله في المسابح وسمّى نفسه "الدكتور رويد."

عقوبة الموت. هل تنمّي الستيرويدات العضل كما تعد؟

ان الجواب هو "نعم." فالذين يستعملونها يكثفون تمارينهم وتزداد قوتهم بسرعة أكبر. لكن الخطر يكمن في تناول الستيرويد من دون وصفة طبيب وبكميات كبيرة قد تفوق المطلوب عشرين ضعفاً. فيصاب الرجال بضمور في الخصيتين وضخامة في الصدر وعقم وعجز جنسي، وتتعرض النساء لخطر الاسترجال فيتخن صوتهن وينبت الشعر في أجسامهن ووجوههن ويضمر الثديان ويختل انتظام دورة الحيض.

أما الاخطار الكامنة على المدى البعيد فمنها أورام الكبد وتلف الكلى والسكتة الدماغية (الفالج) وأمراض القلب والاوعية الدموية. عام ١٩٨٣ حدثت أول وفاة موثوقة بسرطان الكبد منسوبة الى تعاطي الستيرويد، لشاب رياضي كامل الصحة. كان عمره ٢٦ عاماً، ويدعى دانيال بارودي من بنسلفانيا، ظل طوال أربع سنوات يتناول الستيرويدات بقصد بناء عضلاته.

أما المراهقون الذين يتعاطون العقار

كابوس رياضي

اضطجع فلتشر ماكلين في فراشه وقلبه يخفق بشدة والالم يخترق جسمه وهو ما زال يفكر بالستيرويد. ولما هدأت نوبة الالم في صدره بعد ساعات نهض متهالكاً الى المرحاض وأفرغ فيه كل ما لديه من حبوب ستيرويد.

كان ماكلين لاعب كرة قدم في مدرسة ثانوية، وزنه ٧٥ كيلوغراماً وطوله ١٩١ سنتيمتراً. فحولته الحبوب مجنوناً يزن ١٢٥ كيلوغراماً. بدت رقبته كأنها جذع شجرة، وفي وجهه ندوب من حب الشباب، وملأت البثور يديه ورجليه وتكسّرت اسنانه بسبب شجاراته المتكررة. ولا يزال ضغط دمه مرتفعاً اليوم وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره وترك الستيرويد الى غير رجعة. وهو يقول: "أتمنى لو أعود الى السن السابعة عشرة وأعرف ما أعرفه الآن. لقد خسرت كل شيء الا حياتي."

ظل ماكلين يلعب كرة القدم بعد دخوله الجامعة. وفي عطلة فصل الصيف انضمّ الى ناد رياضي للجمباز. وهناك عرف الستيرويد. لم يعد الى الجامعة، ومضى يحقن جسده بهرمون التستوستيرون الذي حصل عليه من السوق السوداء. وفي نهاية السنة ارتفع وزنه الى ١١١ كيلوغراماً وطرد من نادي الجمباز لانه كان يحطم كل شيء، من حديد رفع الاثقال الى براميل النفايات.

كان يتوق الى ممارسة نزعته العدوانية في كرة القدم. فانضم الى فريق كلية مونت سيناريو في ليديسميث بولاية وسكونسن. لكنه هنا لم ينشر الدمار في ملعب كرة القدم، انما نهب قاعة النوم فطرد من الكلية.

في بيته اقتلع باب البراد وأحدث ثقوباً في الجدران ورشق السيارات بالقرميد. ثم زاد جرعاته من العقار وازداد وزنه الى ١٢٥ كيلوغراماً. وذات يوم هاجم زميلاً سابقاً وأصابه بأذى كبير فقبض عليه. وهو يقول: "عندئذ عرفت انني واقع في ورطة، فأقسمت أن أتوقف عن تناول حبوب الستيرويد، ولن أعود اليها."

امتنع ماكلين عن العقار لتسعة أشهر ثم عاد الى تعاطيه. وبعد عشرة أيام أخذ صدره يرتجف. بعد ذلك امتنع كلياً عن تناول أي شيء منه. وهو يقول: "يكفي أن أرى شخصاً منتفخاً يدخل نادي الجمباز لأعود الى التفكير في الستيرويد. انه الادمان. لكنني مصمم على ألا أعود الى هذا الكابوس."

غاري فرمان في صحيفة "ميامي هيرالد"

فهناك خطر خاص يواجههم. ففيما يكتسبون قوة وعضلاً، فقد تتوقف الستيرويدات نموّهم من خلال تحويل غضروف الرجلين والذراعين عظماً قبل الاوان فيتوقف نمو العظم بعد ذلك. ومن الاعراض الجانبية الاخرى: انتفاخ الوجه وانتشار العُدّ (حب الشباب) واليرقان والارتجاف وانتفاخ القدمين والساقين وتحول الجلد الى لون قاتم. وهناك أيضاً تأثيرات نفسية: هبّات من الاهتياج والغضب تتعذر السيطرة عليها. ويؤكد الدكتور تايلور: "انني لا أعرف أحداً يتعاطى الستيرويد لم تتغير شخصيته."

وأحياناً تبرز أسوأ أعراض الستيرويد حين يتوقف المرء عن تناوله، لان الشعور بالنشاط والخفة والاعتداد سرعان ما يزول

بعد التوقف ويحل الانحطاط والغفلة وفتور الهمّة.

ان اغراء الستيرويد كبير جداً وسيكون من الصعب احتواء موجة استعماله. غير أن هناك ثلاثة سبل وقائية يمكن - ومن الواجب - اتخاذها، وهي: تطبيق القانون، والتربية الصحيحة، والتنظيم الذاتي.

الستيرويدات عقاقير قوية لم تحظ بالاهتمام الجدي اللازم. والدكتور جون زيغلر هو أول من قدمها الى الرياضيين قبل أن يُعرف مدى خطورتها. لكنه ندم على ذلك الدور المبكر الذي أداه. وقبل وفاته عام ١٩٨٣ قال متفجعاً: "ليتني لم أسمع بكلمة ستيرويد في حياتي. ان هؤلاء الصبية لا يدركون الثمن الباهظ المخيف الذي سيدفعونه."

لكننا لن نضطر الى دفع هذا الثمن اذا بدأنا الآن اتخاذ مزيد من التدابير الفاعلة.

كارل روان وديفيد مازي ■

العودة الى النكهة

كتب الطاهي بول برودوم، من نيو اورلينز في الولايات المتحدة، عن الطعام وأساليب طبخه:

"الناس هنا يحبّون الطعام الطيّب المذاق، وعدد وافر منهم كان يعيش في المزارع قبل سنوات قليلة. ففي المزرعة حيث ترعرعت في اوبيلوزا بولاية لويزيانا لم نعرف اللحم الاحمر غير الناضج. والناس هناك لا يذبحون أبداً حيواناً منتجاً، واذا ما أكلوا أخيراً لحم أحد الحيوانات، كدجاجة مثلا، فبعد أن تشيخ ويخف بيضها ويعسر مضغها. وعليهم اذذاك أن يغلوها مدة طويلة حتى يرخص لحمها. لكن المرق الذي يحصلون عليه لذيذ رائع. يا له من مرق!

ولقد أمضيت معظم حياتي العملية في محاولة طهو أطعمة لذيذة تضاهي في نكهتها ما كانت تطبخه أمهاتنا في المزارع."

صحيفة "ساترن ماغازين"

تفاهة في محلها

تباهت امرأة امام صديقتها بالقول: "استطيع بفضل مسجلة الكاسيتات ان اسجل استعراضاً على احدى قنوات التلفاز فيما اشاهد برنامجاً على قناة اخرى."

- هذا لا يُصدَّق!

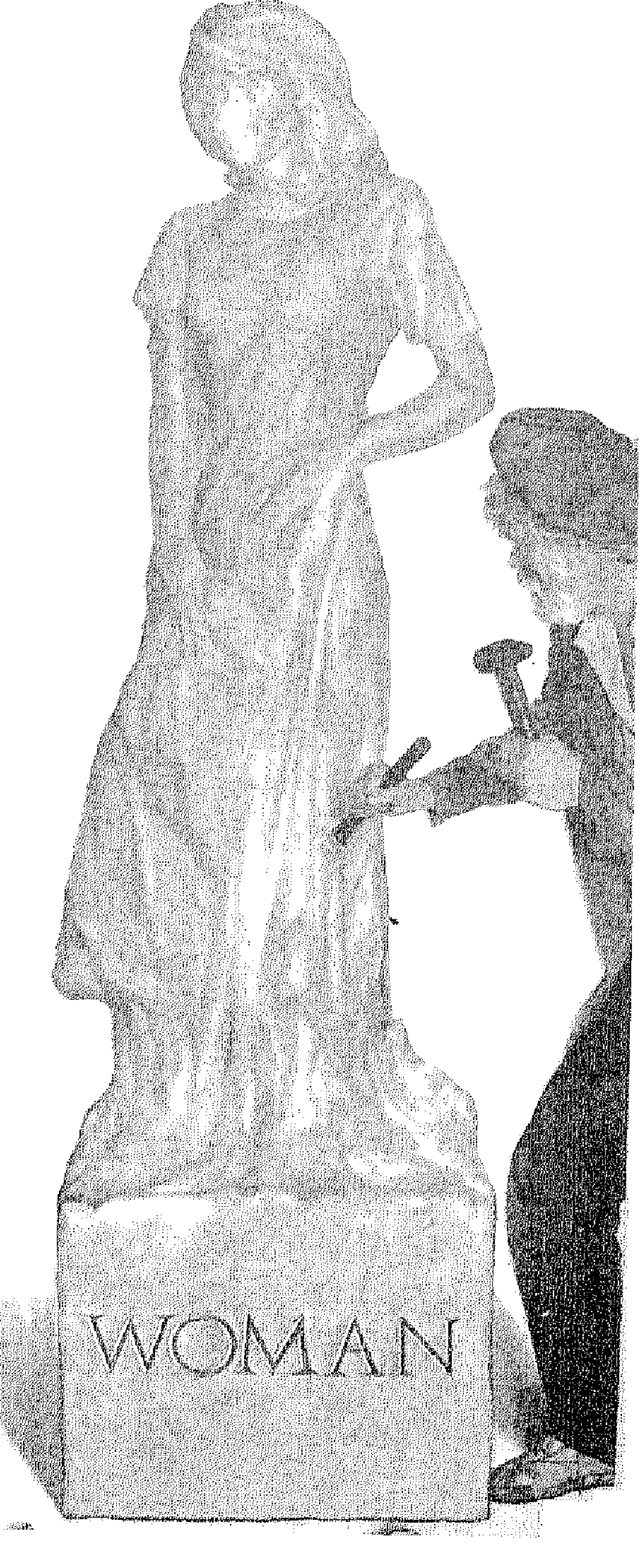
"بلى، فهذه الآلات رائعة حقاً."

- لم تفهمي قصدي! اعني لا يُصدَّق ان تستطيعي ايجاد استعراضين تلفزيونيين جديرين بالمشاهدة، في آن.

د.و.س.

كيف ينظر الرجال إلى النساء؟

قد تندهش
مما في فكر الرجال عن النساء



في احد المطاعم، حيث كنت اتناول العشاء بمفردي، كان المنظر المحيط بي شبيهاً بالمراسم الطقسية: فالى يميني طاولة يجلس اليها رجل وامرأة يتحدثان بهمس، والى يساري طاولة يشغلها ثلاثة شبان يتبادلون حديثا عن كرة السلة.

بدأت اتصفح الجريدة التي كانت معي وفجأة يرتفع الهمس الى يميني ويصير حاداً وينطق الرجل كلمات غير واضحة، ثم تنفعل المرأة وتقول له، وهي تكاد تبكي: "انت لا تفهم شيئاً عني. هل تنكر ذلك؟" ثم تقف بعصبية وترمي منديلا على الطاولة وتغادر المطعم. ويبدو الحرج على الرجل فيلتفت نحوي ويهز كتفيه استهجانا ثم يطلب فاتورة الحساب.

في هذا الوقت يتبدل الحديث حول الطاولة الاخرى وينتقل الى ما هو اصعب من موضوع كرة السلة.

احد الشبان الثلاثة يسأل: "ما هو الامر الذي يضايق النساء؟ ما اعنيه هل يمكن ان يقدم رجل ما على مثل هذا العمل؟

Condensed from Cosmopolitan (April '88)

فيرد عليه رفيقه: "لا مجال لذلك." ويضيف الثالث: "ان النساء يختلفن عنا واحياناً يخيل الي انهن من كوكب آخر."

وتستمر المناقشة بينهم لفترة حول مدى غموض هذا الجنس وصعوبة فهمه. وخلصوا الى وصف النساء بالطيش والعناد والنيق، وحتى بالقساوة والجشع احياناً.

ويبدو ان التعب قد حل بهم من كثرة الثرثرة التي دلت على مدى كرههم للنساء، فعادوا الى الحديث عن كرة السلة.

لقد سمعت مثل هذا الحديث المزعج، طوال حياتي، ولحسن الحظ اني عشت بما فيه الكفاية لكي اميز بين ما يقوله الرجال عن النساء وحقيقة تفكيرهم في هذا الشأن.

فعندما تتكلم بجدية مع الرجال حول موضوع النساء، تاركاً جانباً ما يحصل عادة في الحمامات وغرفة تبديل الملابس حيث يكثر الكلام الفارغ، يأتيك كلام واضح جداً حول عدد من النقاط. نبدأ بواحدة: ان الرجال يحبون فعلا النساء وان لا شك في ذلك اطلاقاً.

ولكن لمدى يزيد على العقد، خضع الرجال والنساء، على السواء، لسيل جارف من الحملات الفارغة الداعية الى تحقيق المساواة بين المرأة والرجل، والتي اوحت العكس.

ولطالما قيل لنا ان الرجال ينظرون الى المرأة على انها، في المقام الاول، خادمة غير مدفوعة الاجر ولا تعامل الا على اساس انها خاضعة.

وكان للمحاضرات الجافة الداعية الى تسلط الرجل على المرأة وتجريدها من حقوقها وخصائصها، الاثر الفعال في وصف الرجال بأنهم بلهاء ينقصهم الاحساس بالعدل مما ادى الى قيام موجة من الغضب وقيام مطالب جدية لمساواة اجتماعية، لكنها لم تتعدَّ نطاق الكلام الاجوف.

ومن حسن الحظ انه خلال تلك الحقبة التعسة تابع الرجال ابداء اعجابهم بالنساء. فاحبوهن وتشاجروا معهن وتزوجوهن وانجبوا منهن اطفالا. وقد ذهب بعضهم الى حد القيام بمحاولة شجاعة لفهمهن!

وفي اعتقادي اني اعرف الآن ماذا يريد الرجال من النساء. وقد توصلت الى ذلك من طريق دراسة عامة واقعية، اجريتها بين اصدقاء لي كنت قد طلبت منهم ان يناقشوا اهم الصفات التي تعجبهم في النساء ثم دونت ملاحظاتي واستخرجت منها قائمة بهذه الصفات سأعرضها هنا.

١ . الذكاء

اجمع كل اصدقائي على ان هذه هي اهم الصفات، فالنساء الجاهلات او الفاقدات العزم لا يثرن اهتمامهم.

وقد ابدى الرجال من مختلف الاعمار احتقارهم للمرأة الحذقة التي تتصرف بغباء خوفاً من ان يؤدي ذكاؤها الى ابتعاد الرجال عنها. وقال بعضهم: "اذا كانت المرأة تخبىء عقلها، فانها لا بد ان تخبىء اشياء اخرى ايضاً." وميز هؤلاء بوضوح بين الجهل والغباء، معتبرين ان الجهل ناتج من جهل للمعلومات يمكن

المرأة الذكية التغلب عليه بسهولة. وابدى معظم الرجال تحفظاً عن العيش مع المرأة الغبية.

غالباً ما يدرك الرجال ان الضحك والفكاهة هما افضل ترويح عن مصاعب الحياة اليومية، وان الظرف يستحق التقدير. وقال صديق لي: "انا في الحقيقة احب زوجتي لانها تجعلني اضحك واشعر بالانشراح معها". وقال آخر عن زوجته: "لم اشعر بانقباض منذ التقينا."

وقد ثبت ان الرجال لا ينجذبون الى النساء العابسات الخاليات من الروح المرحة كما ان هذا صحيح بالنسبة الى النساء.

الا ان صديقاً اخبرني انه عاش مع امرأة مرحة فترة من الوقت ثم تركها لتعذر قيام تفاهم بينهما نتيجة ردها اللاذع كل مرة يبدي سروره بفوز فريقه المفضل في الكرة على فريق الخصم. فكانت تقول: "ايوه، لكن الصحراء تنتقل جنوبا بمعدل ١٦ كيلومترا كل سنة."

٣. الاعتماد على النفس

في ايامنا، تستهوي الرجال فكرة المرأة الشريكة لا التابعة. ويتحدثون باعجاب عن المرأة التي تبني مستقبلها بنفسها، ولها دخلها الخاص، وتظهر ثقتها بقدرتها على العمل وتبدي اهتماما بما يقوم به الرجل فلا يكون لغيرتها تأثير سلبي على وقته ونشاطه. اي ان تكون مثال "المرأة التي تعتمد على نفسها."

والاعتماد على النفس هنا ليس ببساطة مسألة اقتصادية. فالرجل لا يستسيغ المرأة الضعيفة التي لا يمكن ان تأتي اي عمل من دون مساعدة الرجل على رغم التغيير الذي طرأ على دور المرأة في المجتمع.

ليس جديداً القول ان معظم الرجال يميلون الى النساء الجميلات، فيتبادلون معهن الاحاديث ويسترقون النظر اليهن ويشرئبون باعناقهم لدى رؤيتهن يدخلن اي مكان.

ولكن هذا لا يخرج عن كونه ردة فعل طبيعية تجاه الجمال تماما كالنظر الى لوحة جميلة في احد المتاحف، فهي تلفت انتباهك وتثير اعجابك من دون ان تثير لديك الرغبة في الحصول عليها او اخذها الى المنزل.

وقد طرأت جملة تغييرات على مواصفات الجمال الجسماني في المرأة. فالرجال يفضلون المرأة التي تمتاز بالصحة والجسم القوي المتكامل التكوين ويهزأون من تلك التي تظهر انوثتها في شكل فاضح والتي تتبذل في مظهرها ولبسها وطريقة تصفيفها لشعرها ومن تلك التي تغالي في استعمال مستحضرات التجميل، وقليل من الرجال لديهم صبر لتحمل النسوة المولعات بانظمة الحمية وارتياد نوادي الصحة باعتبار ان الصحة شيء والافتتان بالنفس شيء آخر.

والآن، ما دامت لدى معظم الرجال فكرة واضحة عن النساء، فلماذا يتكلمون

عنهن بهذه الطريقة المحيرة؟ ان ذلك يرجع الى غموض المرأة في تعاملها مع الرجل فيأتي تصرف الرجال غامضاً كذلك.

فقبل عقد ونصف عقد من الزمن، طلبت النساء ان يكون لهن حق ارتياد الفضاء فمنحن هذا الحق. ثم طلبن الحق في الحرية الجنسية. وبعد الحاح طويل على الحرية، ثارت ثائرة النساء على الرجال الذين لم يعطوا اي التزام في هذا الشأن وكانت النتيجة البلبلة والاستياء وخيبة الأمل.

ماذا تريد النساء تماماً؟ اعاد صديقي ترديد ما سأله العالم النفساني سيغموند فرويد يوماً: "ماذا تريد المرأة؟"

انه، كغيره من غالبية الرجال، ينتظر الجواب. لقد طال الحديث بين النساء، وحان الوقت لكي تتحدث النساء الى الرجال. لا ضدهم بل معهم. وهذا لا يعني ان الحديث سيؤدي حتما الى نتائج مثالية بينهما ولكن على الاقل سوف يقضون معاً اوقاتاً ممتعة جداً.

بيت هاميل ■



امّ جاهلة!

طالما حاولتُ ان اكون منفتحة على اطفالي وصادقة معهم كلما اتوا اليّ باسئلتهم، غير ان مروان ابن الست السنوات فاجأني ذات مساء قبل العشاء بالسؤال: "ماما، عندما تزوجتِ هل جعلك ذلك حاملا؟"

فاجبت: "لا، فليس احتفال الزواج ما يجعل المرأة حاملا."

فاصر على السؤال: "حسناً، فكيف اذاً صرتِ حاملا؟"

ولعدم رغبتي في الخوض في محادثة جدية حول هذا الموضوع قبل العشاء، اجبت: "يا مروان إنها ضرب من القصص الطويلة."

فرمقني بنظرة عفريتية من وجهه الصغير ومال برأسه هازئاً: "قولي انك لا تعرفين، أليس الامر كذلك؟"

د.ت.

طب الجرة على فمها...

انتقلت من بيت والدي الى مدينة أخرى حيث استأجرت شقة خاصة بي، وبعد سنتين طارت امي لتزورني للمرة الاولى، فرحت اجول بها باعتزاز في المنزل. قلت: "اعطتني شقيقتي الأريكة الصغيرة، واهداني الوالد جهاز التلفاز، واشترى لي اخي السجادة بمبلغ زهيد، وانتِ امّنتِ لي خزانة الكتب، اما المِصباح فكان هدية من صديقة."

فعانقتني امي بشدة وقالت: "طالما عرفتُ انكِ تستطيعين ان تتدبري امورك بنفسك!".

ر.ب.

اصيب رون شاندران دادلي بالعمى في عامه التاسع عشر فأقسم أن يلقن فاقدي الاهلية - والعالم - ان تجاوز الإعاقات الجسدية يحتاج الى اكثر من قضاء العمر في اليأس والتبعية

بطل فاقدي الأهليّة

في يوم دبق من ايام الربيع الرطبة في سنغافوره، وتحديداً في ابريل (نيسان) من العام ١٩٥٣، كان رون شاندران دادلي وهو فتى في التاسعة عشرة من عمره اصيب حديثاً بالعمى وهو يلعب "الركبي"، يصعد الدرج المرتفع والضيّق في المبنى القديم الذي كان يأوي "جمعية سنغافوره للعميان" (المعروفة اليوم باسم جمعية سنغافوره للمعاقين بصريا). فتوقف ليقول للسيدة البريطانية المعنية بالمتطوّعين: "بودي ان اساعد." فكان ردها: "حسناً... نِعمَ القرار." وهي فوجئت بعض الشيء. فلم يتفق من قبل ان عرض شخص اعمى نفسه لمساعدة اناس عميان. وجعلت المرأةُ رونَ "زائراً بيتيا،" اي متطوّعاً يوزع الطعام والثياب والالعاب على عميان سنغافوره. وافهمته أنه يتعين عليه ان يتدبر بنفسه امر تنقله "لان المؤسسة لا تؤمن النقل."

رافق رون سائق العائلة الى منزل متسوّل اعمى في فناء بشارع جالان اونوس. ولقد وجد صعوبة في ايجاد منزل الرجل. فالعناوين المحددة عشوائياً كانت مثبتة في اشجار جوز الهند، وكانت طيور البط والدجاج تسرح جامحة بين منحدرات السطوح المتداعية وعبر الطريق الموحل. واخيراً بلغا كوخ الرجل.

سأل رون زوجة المتسول باللغة المالاوية: "أفي البيت زوجك ام في العمل؟"، لعلمه بان "عمل" الرجل يجري على الارجح امام صالة سينما "الكابيتول."

فاجابت: "هو في زيارة اصدقاء. هل ترغبان في شراب قبل ذهابكما؟"

فردّ السائق بصوت عال: "لا!"

لكن رون اصرّ على القبول.

بعد تناول الشراب حث السائق رون على الاسراع الى السيارة ومسحَ يديه بقطعة قماش قائلا:

"كانت يدا تلك السيدة مصابتين بتقرُّحات مفتوحة راشحة!"



رون شاندران دادلي مسترخياً مع عائلته.

تمالك رون نفسه فما اظهر وَهَن عزم ولا اشمئزازاً. وبعد بضعة ايام التقى المتسول الذي كان بالفعل يستعطي تحت ظلّة صالة السينما. وكانت ساقاه منتفختين من بثور الداء العلّيقيّ. فاستهلّ رون محادثة معه وعرض ان يحصل على مساعدة طبية له ولزوجته. كما وعد بمعاودة الزيارة. وعاد رون الى منزله كئيباً مُحبَطاً من جرّاء ما صادفه من فقر ويأس.

وازدادت مشاعر الاحباط في داخله عندما زار صبياً اعمى يعيش في غرفة ضيّقة مع جدته وشقيقاته الست ووالده صياد السمك. وناشد رون العائلة ان ترسل الصبي الى مدرسة خاصة بالعميان حتى يتسنى له، في يوم، ان يحصل على عمل. لكن الجدة مانعت بشدة وسألت: "لماذا ارساله الى المدرسة؟ انه في احسن حال هنا في البيت حيث يعرف كيف يتجول بأمان، وهو ليس في حاجة الى فعل ايّ شيء."

تساءل رون: هل نكتفي بتزويد الاعمى عصاً بيضاء وشارة مميزة وطعاماً وكسوة وعناية طبية؟ ألا يجدر بنا ان نعيد الى الاعمى كرامته؟ ولماذا لا ندرب العميان على فعل شيء مفيد يدفعهم الى التخلي عن الاستعطاء ويعلّمهم ان يكونوا مستقلين؟ عليّ ان افعل شيئاً ما يغيّر الامور – وأيمُ الله – وان اثقف الجمهور حتى يتقبل المعاقين كأعضاء قابلين للحياة في المجتمع.

قسم الحياة. وُلد رون شاندران دادلي في ابريل (نيسان) ١٩٣٤، ابناً وحيداً لواحد من اوائل السنغافوريين الذين تبوّأوا مركزاً حكومياً بارزاً، وحفيداً لاول ماليزي ينشىء مزرعة للكاوتشوك الطبيعي في جزيرة سيلان (سريلانكا حالياً). عاش ستة عشر ربيعاً في رخاء. وبعد دراسة اكاديمية خارقة في مؤسسة "رافلز" في سنغافوره قبل لدراسة الطب في بريطانيا.

في العام ١٩٥٣ توقفت خططه الرامية الى التخصّص بجراحة المخ عندما تلقى، في ملعب "الركبي" رفسة عارضة في رأسه اتلفت بصره وتركته اعمى تماماً خلال اربع سنوات.

في البدء كان رون مشوشاً وكئيباً

Photo: Jane Kohen Winter

وغاضباً. وكان من عادته ان ينتظر حتى يغادر اهله البيت ليأخذ في الصياح تكراراً: "انا اعمى! انا اعمى!" مجبراً نفسه على قبول واقعه. اخيراً، وبفضل تشجيع والده الصبور، توصل الى تفاهم مع نفسه في شأن عماه، معتبراً انه اجترّ اشفاقه على ذاته اطول مما ينبغي، واقسم ليجعلن من حياته جديرة بالعيش. فتطوّع لتقديم خدماته المجانية في "جمعية سنغافوره للعميان"، وفي وقت لاحق تسجل في معهد لندن الرفيع لعلم الاقتصاد. وبمساعدة قراء، وما تيّسر من مصادر مكتوبة بطريقة "برايل" للعميان، تدبّر رون امره ليبرز في دروسه.

وفوجىء رون بتطوّعه لترؤس لجنة لمعالجة مشاكل الشابات الآسيويات يأتين الى بريطانيا لتعلّم اللغة الانكليزية في اثناء اقامتهن وعملهن عند عائلة بريطانية. فبعضهن قد استُغِلّ وتعرّض لمضايقات كثيرة. لذا ساعد رون على تنظيم دورات دراسية لتلقينهنّ حقوقهن الشرعية الأساسية وتعليمهنّ اللغة والادب الانكليزيين. وقد اثار الانهماك في العمل حميته، وكتب في احدى مقالاته: "انه لشعور عظيم ان تحس بانك تعمل شيئاً ما، واني اختبره بعد زمن طويل طويل."

وسرعان ما التقى رون رينا، الممرّضة في طبابة الاسنان، وتزوجها. تقول رينا: "التقينا في موعد اول حقيقي." وعاد الزوجان الى سنغافوره بعد تخرُّج رون الذي اصبح الامين العام لجمعية سنغافوره للعميان.

كانت هذه الجمعية قد عملت منذ نشأتها بادارة اناس مبصرين لا ينقصهم حُسن النيات ولكنهم اداروها بذهنية الواهب المحسن العطوف. وقد سكن عدة اولاد عميان المباني التابعة لها، حيث لازموا المدرسة مع اولاد آخرين معاقين بصرياً، غير انهم تعلموا القليل من المهارات المهنية. ونتيجة لذلك نموا عالة على غيرهم ووجدوا صعوبة في الاندماج في المجتمع التقليدي.

يقول باتريك سيم هاك كنغ المدير التنفيذي الحالي للجمعية: "لقد نقلها رون من حال الى حال. كان منافحا لاعطاء الاعمى صوتاً، واعتمد سياسة تقرر ان نصف اعضاء اللجنة التنفيذية على الاقل، فضلا عن رئيس الجمعية، يجب ان يُختاروا من بين المعاقين بصرياً."

طوّر رون نظاما يتيح للاولاد العميان ان يعيشوا في منازلهم ويلازموا المدرسة الابتدائية في مقر الجمعية ثم يندمجوا كلياً في النظام المدرسي العادي على المستوى الثانويّ. ومهد لهم الطريق كي يشاركوا بشكل كامل في المجتمع كعاملي هاتف وباعة او كتبة في محلات تجارية، وعملاء تأمين ومعلمين وعاملين مهرة على الدماغ الالكتروني، بخلاف الجيل الاكبر سناً من العميان الذين ظلوا أميين وعالة على المجتمع. وترك رون الجمعية بعد خمس سنوات ليدرس الاستشارة المهنية والعلاج النفسي اللازمين لاعادة التأهيل المهني، بموجب منحة من "مؤسسة فولبرايت" في جامعة ولاية نيويورك بمدينة الباني.

في العام ۱۹۷۱ عاد الى سنغافوره، وخلال السنين العشر التالية وزع نشاطه

على حقول اخرى من الخدمة الاجتماعية. عمل مستشاراً يقدِّم النصح للمفرطين في تعاطي المخدرات، ودرّب موظفين لملاحقة المعالجين لمصلحة "جمعية سنغافوره لمكافحة المخدرات"، واصبح نائب رئيس "جمعية سنغافوره للسلامة العقلية" ومستشارها المتطوع. وحتى العام ١٩٨٠ ظل رئيس جمعية سنغافوره للمعاقين بصرياً.

الانجازِ الكبير. من الانجازات الكبرى التي تسجَّل لرون اشتراكه في تأسيس "المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية"، المنتسبة الى الامم المتحدة والمموَّلة من مختلف الهيئات الدولية والمؤلفة من العاجزين عن العمل الذين ينافحون لتغيير المواقف السلبية ازاء ٥٠٠ مليون عاجز في العالم وإبدال السياسات التي تمليها هذه المواقف.

انشئت المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية خلال المؤتمر العالمي الثالث عشر لإعادة التأهيل الدولي الذي انعقد في كندا في العام ١٩٨٠ عندما شعر رون، ومعه ١٣ مندوباً آخرين من فاقدي الاهلية، انهم لا يحصلون على حق في إصدار القرارات موازياً للحق الذي تمارسه هذه المنظمة المؤلفة من محترفين في اعادة التأهيل. فقرر الـ١٤ عقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة الدولية لفاقدي الاهلية في سنغافوره في السنة المقبلة.

خلال الاشهر الثمانية السابقة للمؤتمر، عمل رون مع فريق من المتطوعين حتى الانهاك. وتستعيد المداوية الطبيعية جيرالدين تاي تلك الاوقات: "ألهَمَنا رون فعلا المثابرة. ولم تتوافر لنا اموال التأسيس الا في اللحظة الاخيرة، وكنا كلنا قلقين. غير ان رون ثابر على القول إن المال سوف يتوافر بطريقة ما."

كانت احدى كبرى المهمات التي واجهت رون ايجاد فندق يحوي تسهيلات تناسب الحاجات الخاصة بهذا الفريق من المؤتمرين. ولقد اختار فندق "هيات"، ولكن كان عليه اجراء مقدار ضخم من التخطيط والتجديد قبل ان يتمكن المندوبون من العيش والعمل في المباني الملحقة به. وترجَّحت الترتيبات من تجهيز ازرار المصاعد بكتابة "برايل" النافرة الى شحن رئة فولاذية من اوستراليا لمندوب يعاني مشاكل تنفسية جسيمة.

التأم المؤتمر في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ في حضور ٤٠٠ مندوب عن فاقدي الاهلية - بعضهم عميان والبعض الآخر مقعدون فوق كراسٍ مدولبة، والقليل لا يقدر على تحريك اكثر من إصبعٍ واحدة. وكانت المعنويات مرتفعة.

انتخب رون رئيساً للمنظمة التي تكرست لإعادة الكرامة الى فاقدي الاهلية بتخويلهم الحصول على التدريب والتربية اللذين يحتاجون اليهما من اجل ان يكونوا مسؤولين عن حياتهم الشخصية. ذلك كان حلماً بدأ يراود رون منذ اليوم الذي التقى فيه المتسوِّل الاعمى.

رأى مندوبون كثيرون أن تأسيس المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية هو نقطة تحوُّل بالنسبة الى هؤلاء. ويقول بنغت

ليندكفيست الوزير الاسوجي للشؤون العائلية: "إن المنظمة اعطت فاقدي الاهلية شعوراً ووعياً أنَّ لهم الحق في الوصول الى مختلف شرائح المجتمع مثل اي انسان آخر." ونقل المندوبون الى بلدانهم التوجه الثوري للمنظمة فاثروا بالتالي في توجيه السياسات المتعلقة بفاقدي الاهلية في حقول التربية والعمل والتوظيف في عدد من البلدان، بما فيها اوستراليا وماليزيا وسريلانكا وكندا واسوج والفيليبين.

وساهم رون ايضاً، مساهمة ذات مغزى، في تأسيس "مركز سنغافورة للتقويم المهني والتوظيف الملائم،" حيث يعمل فريق متعدد الاختصاصات قوامه اختصاصي بالمعالجة المهنية وعامل اجتماعي وعالم نفسي، على تقدير المهارات عند طالب العمل المعاق وعلى مساعدته على ايجاد العمل الملائم. ومنذ انشاء هذا المركز في العام ١٩٨٤، امّن وظائف لـ٣٣٠ شخصاً.

وبمساعدة المركز توصل عامل ميكانيكي على رافعة، بُترت ساقُه نتيجة سرطان، الى تأمين عمل كمسؤول عن تشغيل مصعد كهربائي. وفي ذلك يقول: "لقد اعاد اليّ ثقتي بنفسي كوني قادراً على معاودة العمل بعد سنتين من العجز."

رجل ظريف. لا يضارع طاقة رون التي لا تنضب وتفانيه حيال قضايا فاقدي الاهلية، الا اخلاصه وفصاحته وحماسته. ويتأتى ايضاً قسم من سحره وقدرته على التأثير في الناس من ظرفه وروح الفكاهة عنده حتى على حساب شخصه. ففي عشاء في جنوب الهند خُصِّصت لكل مدعو ورقة موز كمفرش صحن، ووُضعت فيها تشكيلة من الكري(*) باكوام صغيرة. وطال الامر برون الى نهاية الوجبة تقريباً حتى يكتشف انه اكل نصيبه عبر ورقته وتجاوزها الى نصيب جاره. وقال رون في ما بعد وهو ينفجر بضحكته المُعدية: "لم ادرك اين تنتهي حدود ورقتي وتبدأ حدود ورقة جاري!"

كانت قدرة رون على إضفاء شعور بالراحة على المتعاملين معه ركيزة ثمينة في ممارسته الاستشارة التي اخذها عن اهل بيته. وكان يحيل زبائنه على تنظيمات الخدمة الاجتماعية.

كان رجل اعمال صيني مضطرباً من جرّاء شعور بالنقص وعدم الجدوى، وخوف من الفشل وعدم قدرة على حب احد ما – حتى نفسه وزوجته وولده. وظل سنين عدة يستشير محللين نفسيين وعلماء نفس ومرشدين اجتماعيين ورجال دين، وحتى "البوموه" (الاطباء الملاويين التقليديين.) وكان رون اول شخص اصغى اليه فعلا وحاول ان يغوص الى جذور مشكلته. وبعد ثلاث سنوات من العلاج على يدي رون، الذي يُعتبر اصغاؤه بعناية التقنية العلاجية الاكثر فاعلية، توقف الرجل عن تناول الادوية وبرز في عمله. واكثر من ذلك، تعلم ان يحب نفسه. وهو يقول: "من هذا النوع من احترام الذات تولدت قدرتي على محبة عائلتي."

واستنجدت برون، في يأس، مراهقة مصابة باعياء نفساني جسيم وعاجزة عن

(*) بهار هندي او رز منكّه به.

التحدث الى اهلها، ولاسيما الى والدتها. وفي ذلك تقول: "شدِدت الى رون بسبب لطفه وحدسه. فقد ساعدني على ادراك ما في الطبيعة من روعة وجمال يُهديان الينا كل يوم. وهو يشعرك أن العالم يبدو افضل فيغدو هذا الشعور جزءاً من نفسيتك."

منذ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٤ عمل رون بلا كلل على هدم الحواجز المعمارية والمواقفية. وسافر في العام ١٩٨٦ بمفرده الى كوريا والهند واليابان وكندا واسوج ليلقي خطباً حول مواضيع تراوح بين بدائل انظمة النقل ومساعدة الناس الذين كانوا مصابين بالبرص على ايجاد عمل. وفي اغسطس (آب) ١٩٨٧ منحته الامم المتحدة جائزة قيّمة - هي الاولى من نوعها - لما كرّسه من خدمة في دعم برنامج الامم المتحدة المتعلق بالاشخاص الفاقدي الاهلية. وعلى رغم سيطرة الخرافة القائلة بان فاقد الاهلية لا يستطيع ان يكون مستقلا فلا يزال رون يواجهها محطماً وهم عجزه. اما رسالته فبسيطة: لا يعيق فاقدي الاهلية الا محيطهم.

جين وينتر ■



بومة لتخفيف الوزن!

راقبتُ بدهشة الرجل المتجه نحوي على مزلجة تندفع عجلاتها الاربع فوق مجاز الدراجات الهوائية. كانت بومة منبسطة الجناحين تتشبث بقطعة جلد مدبوغ فوق كتفه. وعندما اقتربا مني اكثر تأكدت ان الطائر الضخم كان فاقداً جزءاً من احد جناحيه. فتوقف المتزلج لاستعادة انفاسه وقال لي: "نخرج مرتين في النهار بحيث يتسنى للبومة ان تدّعي انها طائرة." فقلت: "انا متأكد انها سوف تفيك دينك لو هي استطاعت ذلك."

– لقد سبق لها ان فعلت ذلك، فقد ساعدتني على خفض ١١ كيلوغراماً من وزني كما جعلتني اقلع عن التدخين. قال هذا، وانطلق مجدداً مع طائره.

ج.ا.

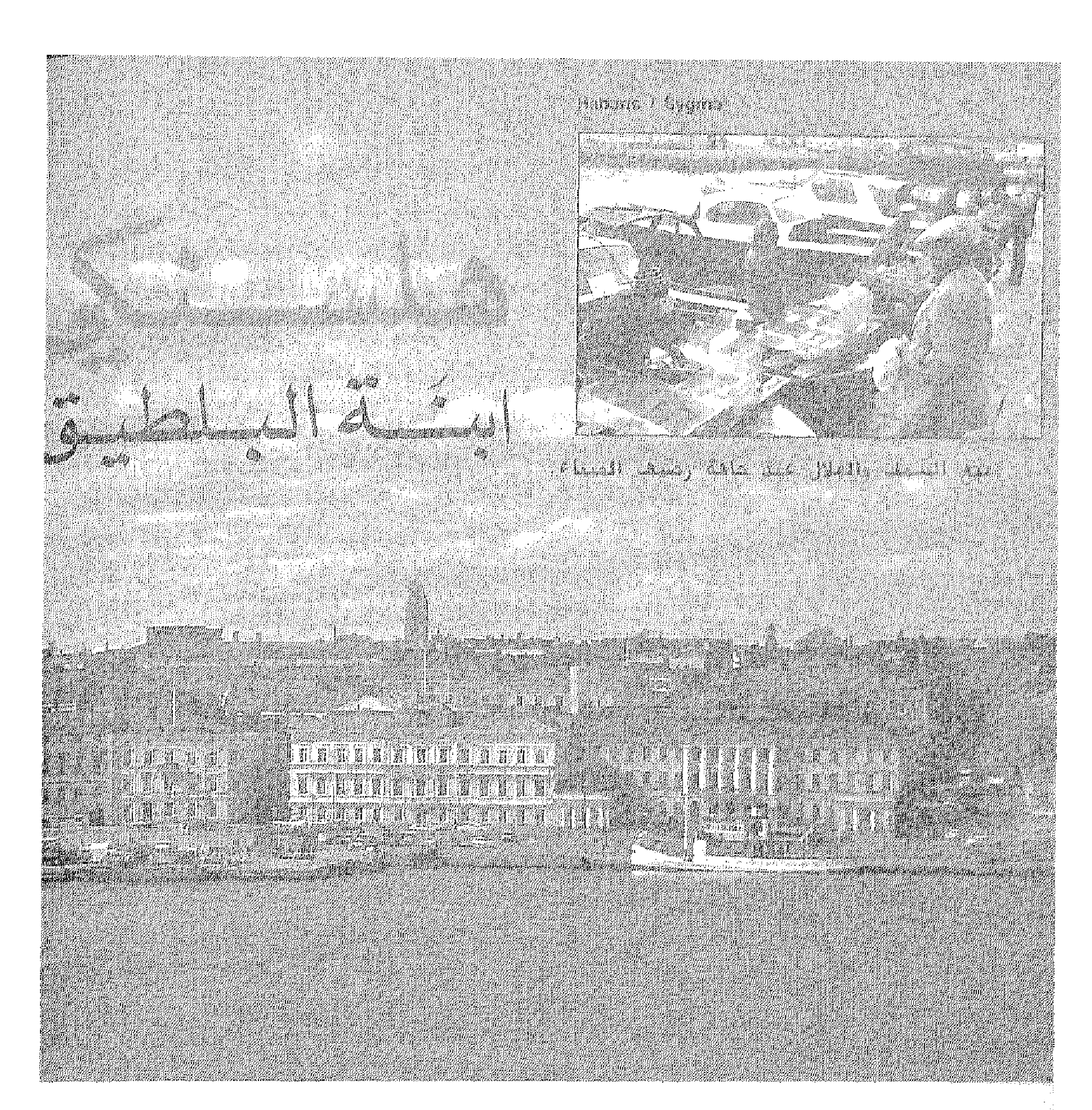
غريزة البقاء

احتفظ في فِناء منزلي بخمسة كلاب في خمس حجرات مختلفة الاحجام. ذات يوم، في اثناء عاصفة ممطرة عنيفة، خرجت اتفقد كلابي المدللة. كان كلب واحد يحتل الحجرة الكبيرة، وكانت الحجرة المتوسطة تأوي كلبين، والحجرات الصغيرة يضم كل منها كلباً واحداً. ثم دخلت المنزل وانا مطمئنة الى ان الكلاب ناعمة بالدفء والجفاف.

وبعد قليل لمع البرق في السماء ودوّى هزيم الرعد. وعندما اختلست النظر الى الفناء، من الباب الخلفي، كانت كل الحجرات فارغة باستثناء اكبرها حيث تجمعت الكلاب كلها.

ج.ك.

ابنة البلطيق



بيع السمك والغلال عند حافة رصيف الميناء.

انها مزيج من اسكندينافيا وروسيا، من التقليدي والعصري، من الريفي والمتكلّف. هذه المدينة الفنلندية هي ذات مزية يصعب اكتناهها: هي الروح...

طريقك إلى وسط هلسنكي تبلغه بحراً. والرحلة البحرية عبر البلطيق تمر بجزر سماقية اللون رمادية أصبحت ملساء من ارتطام كتل الجليد العائمة، وترتحل خلال ندف من ضباب الصقيع الى حدود اوروبا الغربية. سكان العاصمة الفنلندية يسمونها "ابنة البلطيق" وهي تسفر عن نفسها، اذ تدنو منها، على الافق قبالة سماء شمالية متوهجة.

شمس الصباح تومض في سماء تعكس

النظرة العجلى كافية لكشف الصراع التاريخي بين الشرق والغرب على روح فنلندا. واذ يدنو بك القارب اكثر فأكثر، تشاهد أيضاً مباني حديثة من الأسمنت والفولاذ والزجاج الملون، وأوثان تتخذ رموزاً لسعة العيش، حيث تعرض هذه الأمة حريتها الناهضة من أغلال الماضي.

تدفع قاربك عبر المياه الراكدة في المرفأ الجنوبي، وانت مدرك ان هذا آخر ميناء رئيسي تعرّج عليه في طريقك إلى ذلك الشيء المعمّى المترامي الاطراف، واسمه الاتحاد السوفييتي. هذه الفكرة قد تبعث الرهبة في النفس غير ان هلسنكي تشع بأحاسيس وطنية انسانية. انها مزيج من العنصر الريفي البسيط والعنصر المتكلف وتتسم بمزية يصعب ادراكها، هي الروح.

وإنك لتشعر بها منذ البدء. تمشي عبر الواجهة المائية المرصوفة بالحصى إلى كوباتوري حيث السوق. هناك ترتفع سقوف الدكاكين المشمّعة برتقالية اللون اذ يداعبها النسيم تحت صخرة زوجة القيصر، وهي مسلة حجرية يعلوها عقاب برأسين من عهد آل رومانوف، آخر سلالة حكمت الامبراطورية الروسية.

هذه هي سوق المدينة التي انشئت رسمياً عام ١٨١٢، واعلنت فيها هلسنكي عاصمة فنلندا. لكن جذورها ترقى إلى العام ١٦٤٠ حيث لم تكن المدينة سوى مجموعة من المباني الخشبية والأزقة الموحلة. واليها يفد الناس مبحرين من الجزر الساحلية لبيع السمك والفاكهة والخضر إلى سكانها البالغ عددهم ٣٥٠ شخصاً. ولا يزال هذا التقليد المأثور

صورة ظلية لكاتدرائيتين، واحدة لوثرية ذات طراز كلاسيكي محدث تقبع بفخار فوق واجهة مائية من قصور القياصرة المنحوتة برشاقة والمظللة بالاقلام الطباشيرية الملونة، وواحدة ارثوذكسية اكثر قتامة وغموضاً، ذات قرميد احمر، فتقع على مسافة ابعد شرقاً، ويتلألأ النور من قبيباتها الثلاث عشرة المذهبة كثمار البصل. وهي تبوح بالاساطير البدائية الفجة التي تكتنف روسيا.

سارياً بعد اكثر من ثلاثة قرون وبعدما تزايد عدد السكان فبلغ ٤٩٠ الف نسمة.

كل صباح - عدا ايام الآحاد - يصل سكان الجزر الى حافة رصيف الميناء وبحوزتهم اسماكهم والغلال. ها هنا، تقف لينيا غرانكفست القادمة من جزيرة كومسالو، في صدر مركبها وتزن سمك الفسيخ المدخن في ميزان بدوي يبدو عليه اثر الزمن، ممازحة زبائنها باقتضاب.

انها تنهض في الرابعة والنصف فجراً وتشرع في تدخين الأسماك التي يصيدها زوجها هنري، في وقت متقدم من ذلك الصباح. واذ تغدو ألوانها كالذهب الصقيل، تذر ملح البحر عليها وهي تحمّلها في صناديق وترفعها من ثم لتضعها على ظهر مركبها. وهي تقول عن ذلك: "ما أقوم به يرقى إلى غابر السنين. لقد فعلته أمي من قبلي. انها ليست بالحياة السهلة، لكنها تحقق الذات وتمدنا بنقود اضافية."

ولينيا، كسائر سكان الجزر، تتكلم اللغة الاسوجية (السويدية). وهي إرث من ايام السيطرة الاسوجية التي دامت من نحو ١١٥٠ بعد الميلاد متخللة فترات وجيزة من الحكم الروسي حتى العام ١٨٠٩ حين دمجت فنلندا مع امبراطورية القيصر كدوقية مستقلة كبرى.

واذ انتهزت فنلندا قيام الاضطرابات الثورية في روسيا لتعلن استقلالها عام ١٩١٧، تضاءلت اهمية اللغة الاسوجية باطراد. واليوم يتكلم هذه اللغة ٦،١ في المئة من سكان البلاد الذين يعدّون ٤،٩ مليون نسمة، وبذا تكون لينيا غرانكفست متحدرة من سلالة بائدة لولا انصاف الفنلنديين للأقليات. وتنتج من ذلك آثار خصامية، فثمة برامج تلفزيونية متعددة وقناة اذاعية بالاسوجية، وافلام سينمائية بعناوين فرعية واشارات في الشوارع بالاسوجية والفنلندية.

غير ان السائح الذي يطوف بسوق المدينة، سرعان ما يقع على اصحاب اكشاك يتكلمون الانكليزية. تجار القطع التذكارية والملابس والجلديات يستغلون افتتان السياح الغربيين بمجاورة فنلندا للاتحاد السوفييتي. وتعرض جورما فيلجاكانين مثلا قبعات مصنوعة من إهاب الذئاب. وحسب قولها: "الجلود مصدرها روسيا، لكن القبعات تصنع في فنلندا، وهي لذلك أرخص واجود من اي سلعة تلقاها هناك" مشيرة بإبهامها شرقاً.

ولدى مغادرتك السوق مشياً، تعرّج على حوانيت تطل منها اسماك السلمون والتروتة فاغرة أفواهها من بين طبقات الثلج المهروس، إضافة إلى أكوام يسيل لها اللعاب من الكشمش الأحمر والأسود، والفريز (الفراولة) وتوت العليق الأحمر الملطخة بالألوان. ويفضي بك المسير إلى نافورة "هافير آماندا"، وهي تمثال ملفز لحسناء جرمانية في سن الزواج يستغرقها التفكير، وهي مكملة لحورية الماء الصغيرة في كوبنهاغن.

وبعد بضع خطوات تلفي نفسك في "اسبلانايد" وهي ممشى شجري عام يمتد من الواجهة المائية إلى مانرهيمينتي المجاز الرئيسي لهلسنكي. ها هنا الأرصفة مزدحمة بالمتسوّقين الأنيقين،

ونوافذ المخازن محشوة بالبضائع الاستهلاكية. ومعظم المباني الحكومية مصفوفة على طول هذه الجادة المسماة باسم الماريشال الفنلندي كارل غوستاف مانرهايم (١٨٦٧ - ١٩٥١) قائد الجيش الفنلندي في "الحرب الشتوية" للعامي ١٩٣٩ - ١٩٤٠ وحرب ١٩٤١ - ١٩٤٤. وقد حارب الفنلنديون في كليهما ببسالة عجيبة ضد جموع السوفييت الطاغية على نحو كاسح.

وتنلطى تحت ستار الترف هذا، خصيصة جرمانية يدعوها الفنلنديون "سيسو" وترجمتها "الشجاعة" أو "الجسارة" وهذه المزية مكنت الفنلنديين من أسر تسعة من الروس في مقابل كل فنلندي في الحرب الشتوية، وأن يتعافوا بسرعة بعد السلام المذل المفروض عليهم من السوفييت عام ١٩٤٤، وهذه السجية ايضاً تبقي اهالي فنلندا ذوي شعور وطني راسخ إلى يومنا.

شعب اساطير. انهم شعب آتٍ من اساطير كاليفالا الغريبة، وهي مصائد الملاحم الشعبية التي تحكي عن ابطال يقارعون الايائل الحدب الضخمة والدببة والأسماك. وللتأثير صداه في مكان لا يخطر في البال. في الكسنتيرنكاتو، أحد الشوارع التجارية الرئيسية حيث تحرس أشكال كاليفالا الحجرية الضخمة، أبواب الخشب المزوقة المغطاة بالحديد في مصرف كبير.

وعلى مسافة ابعد من ذلك، تفضي الجادّة إلى ساحة المجلس الاشتراعي التي صممها المهندس المعماري س.ل. انجيل الالماني الاصل، وهو مصمم عدد من الابنية في سان بطرسبرغ. ونجم عن ذلك تماثل يلفت الانتباه بين لينينغراد وهلسنكي. وعلى نحو مغاير لقلب المدينة التقليدي هذا، فإن طراز البناء الحديث في المدينة مفرط في الغرابة. ففي محطة آليل سارنين ذات الصوان الزهري، يندفع المسافرون عبر مدخل فخم مقوّس تحت نظرات اربعة عمالقة من السلاف يحدقون بتجهم ممسكين بمصابيح كهربائية.

ويفاجأ زوّار البورصة وشركة الهاتف المجاورة، بشكلين يبدوان كحصنين من القرون الوسطى. والأغرب من هذا كله، المتحف الوطني الذي يحرسه دب حجري ضخم، ويعلوه برج يذكر بعفريت يعتمر قبعة. وعبر الطريق من المتحف تبدو قاعة فنلنديا التي صممها آلفار آلطو، المهندس المعماري الشهير. هذا البناء البارق الابيض ككسف الثلج، يستعمل قاعة للاجتماعات وللحفلات الموسيقية.

في الصيف يهجر سكان هلسنكي مدينتهم مبحرين اسراباً الى الأرخبيل أو للتردد على اكواخ العطلة التي يملكونها. في امكانهم ان يرقبوا مغيب الشمس من الرواق. وقد ابتكر الفنلنديون علاجاً شافياً لمتاعبهم هو حمام البخار المعروف بـ"السونا."

ولدى "جمعية السونا" في جزيرة لونا ساري، ضمن حدود مدينة هلسنكي، اربعة حمامات بالبخار توقد بالخشب حيث يسع المرء ان يجلس في درجات حرارة تبلغ نحو ٩٠ درجة مئوية، ويقذف الماء على حجار ساخنة لتوليد البخار فيما هو يدلّك جسمه برفق بحزمة من قضبان ليّنة من

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت:

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

شجر البتولا المورق. بعد ذلك يمكنك، ان كنت ذا شجاعة كافية، ان تقفز في الشتاء إلى حفرة في البحر، المكسو بالثلج، خارجاً كي تبرد.

ويشرح بيركو فالتاكاري الامين التنفيذي في جمعية السونا للزوار المتشككين، وبينهم الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا: "من النافع جداً لك، اذا كانت صحتك جيدة، أن تقصد السونا لإنعاش الذهن بالإسترخاء واكتساب النقاء الجسماني والروحاني سواء بسواء."

ولا يمضي الفنلنديون اوقات فراغهم مستحمين بالبخار فقط، فالحياة الثقافية في هلسنكي تشمل ١٧ مسرحاً وثلاث جوقات سمفونية وفرقة باليه. وقد ذاع صيت اوبرا المدينة منذ عهد ليس ببعيد، ترفدها هتافات الترحيب التي حازتها "الفرقة الفنلندية الوطنية" في انحاء العالم. وثمة دار أوبرا جديدة قيد الانشاء وتتسع قاعة الحضور الرئيسية فيها لـ١٤٠٠ شخص.

والفنلنديون قراء نهمون ايضاً، يتباهون بنسبة متعلمين تبلغ ٩٩ في المئة من عدد السكان. وهم يستهلكون نحو ٣،٢ مليون نسخة من الصحف كل يوم وهي من كبرى نسب القراء الافراد في العالم. و"هيلسنجت سانومات" الفنلندية اليومية هي كبرى صحف الصباح في المنطقة الجرمانية وقد تأسست عام ١٨٨٩.

وثمة مكتبة في "اسبلانايد" صممها آلفار آلطو، وهي كبرى المكتبات في العالم، يؤمها سنوياً قرابة ٥ ملايين زبون وفيها مخزون من مليون كتاب. ويقول المدير الاداري فيها جورما كايميو: "غايتنا ان نكدس كل الكتب ذات الأصل الفنلندي وغالبية الكتب المطبوعة باللغة الاسوجية".

واذ يسعك أن تستقبل البرامج السوفييتية على التلفاز الهلسنكي، فإن المشي في احياء المدينة يومىء ايماءة خفيفة إلى الجار الشرقي العظيم. وأحد المدركين لهذا الأمر هو هانو بانتيللا، مدير "ستوكمان" المتجر التنويعي الاكبر في فنلندا وهو كنز من البضائع للعالم بأسره. وهذا المتجر هو الوحيد الذي جعل حياة الغربيين في موسكو محتملة عدداً من السنوات. ويقول بانتيللا في ذلك: "ان جماعة السلك الديبلوماسي هناك يحسبون ان عاصمة فنلندا اسمها "ستوكمان" لأنها تتردد على مسامعهم باستمرار. ونحن نزودهم كل الأشياء من زجاجات الحليب اليومي إلى السيارات."

ويستشعر المرء الوجود السوفييتي في نواح أخرى. فمن بين ٣،٢ ملايين سائح يؤمون هلسنكي سنوياً، يجيء ٣٥ ألفاً من الاتحاد السوفييتي.

ولا شك في ان كثيرين من السياح السوفييت يشعرون في فنلندا شتاء كأنهم في موطنهم، اذ تغدو المدينة جحيماً أبيض من عواصف الثلج والازقة التي يتغشاها الجليد. وفيما تنخفض درجة الحرارة احياناً إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر وادنى من ذلك، يأخذ البحر بالتجمد في شهر يناير (كانون الثاني). وتبقي السلطات المسؤولة عن المرفأ المجازات البحرية الرئيسية مفتوحة. وعندما يبلغ الجليد ثخانة معينة، يجري

التأشير الى طريق طولها ثلاثة كيلومترات (بسرعة اقصاها ٤٠ كيلومترا في الساعة) على البحر المتجمد الممتد من البر الرئيسي إلى سومينلينا حيث يعيش ألف شخص على مدار السنة. ويقول الجاس مورينن مدير الهيئات المسؤولة عن المرفأ: "المشكلة أن الطريق (المتجمدة) مناسبة جداً للسير، ولذا تصبح مرغوبة. وكم نعاني صعوبات في زجر الناس عن استعمالها اذ تشير ابحاثنا الى أن الجليد غير سليم."

هلسنكي لا تنسى في الشتاء. وثمة شعور موحش بالمكان له روعته: يجيء نور النهار ويمضي في أقل من ست ساعات، وتخفق قباب الكاتدرائيتين وبتقطع اذ تغمرهما الانوار الساطعة عبر الثلج المدوّم الذي يكتم كل صوت، عدا الريح بعويلها وهزيمها كأشباح أبطال "كاليفالا."

واذ تسير قاصداً المعدّية، يكوي الهواء حلقك ورئتيك فيما يجذب الصقيع بعنف نعلي جزمتك وكأنه يناشدك البقاء. تقف على سطح المركب مراقباً المروحة الدافعة تحرّك الجليد فتقطعه كِسَراً صغيرة، وتحرّك المركب الضخم عبر منشار منحنيات في البحر المتجمد. واذ تخبو انوار هلسنكي وراء المركب، تكون وحيداً مع البرد القارس ومعك ذكرياتك ومودة فضولية ملحاحة لابنة البلطيق تلك.

كريس موزي ■



نداء... نداء...

عندما توجهت الى المطار لاستقبال ابنتي وعائلتها، كان ازدحام السيارات ممتداً مسافة كيلومترين تقريباً من الطريق المؤدية الى منطقة الوصول. وفيما رحت اقود ببطء في الدوار الاخير شاهدت احفادي منتظرين عند المهبط الاوسط على مسافة غير بعيدة. وإذ توقف السير مجدداً مددت رأسي خارج السيارة وناديت باعلى صوتي: "ليلى! فادي!" سمعني الولدان فاقبلا راكضين. عندئذ انزلت امرأة زجاج سيارتها ورائي وسألت: "هلا تكلفتِ نداء ياسمين؟"

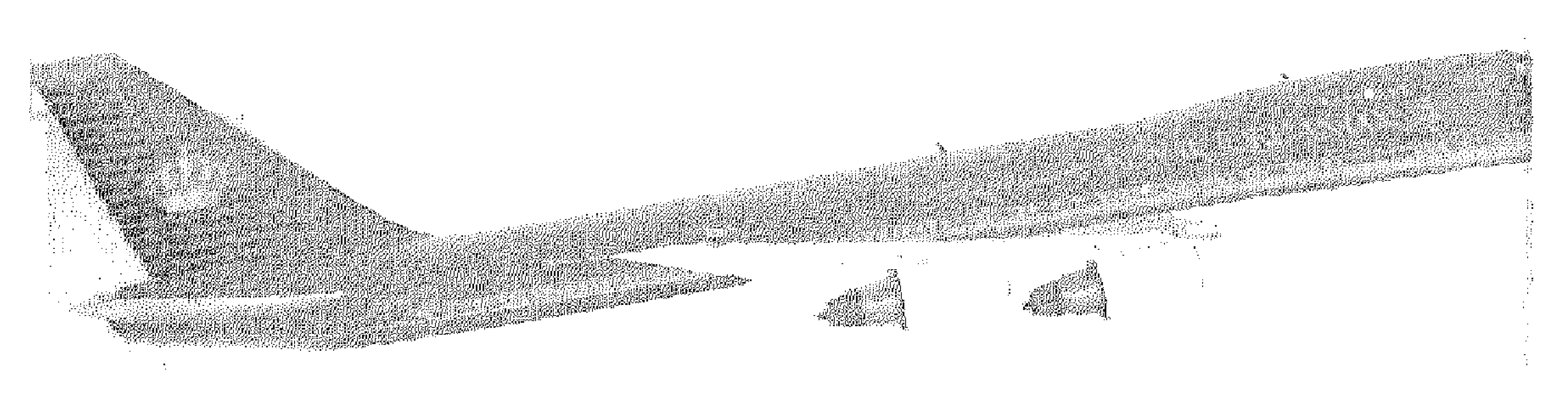
ب.ف.ا.

اجتماعات الاساتذة

عادة، تكون اجتماعات الهيئة التعليمية في جامعتنا طويلة ومملة. وذات يوم سمعت أستاذاً للرسم يحاول أن يُقنع مُدرِّس موسيقى بمرافقته الى أحد هذه الاجتماعات. قال: "قد لا يدوم الامر طويلا، وقد يحدث شيء مهم." فوهنت مقاومة الزميل وقال: "حسناً، سأذهب معك، ولكن بشرط أن نجلس في مؤخر القاعة وأن ترسم صوراً مضحكة كما فعلت في الاجتماع الاخير."

ب.ا.

تقدّم متواصل نحو آفاق جديدة



Flight		Time	Information
LOS ANGELES	RJ 265	15.45	ON TIM
SINGAPORE	RJ 182	16.10	
LONDON	RJ 111	17.30	

ان الدقة في المواعيد هي إحدى الميزات التي جعلت الملكيّة الأردنيّة تنال ثقة مسافريها.

فمن الشرق الأوسط إلى أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأقصى، تحملك طائراتنا في جو من الراحة والرفاهيّة، وتوفر لك مستوى عال من الخدمة والرعاية.

سافر على طائراتنا الحديثة من طراز بوينغ ٧٤٧، وترايستار وآرباص، تجد الراحة التي تنشدها في مقاعد النوم الوثيرة والمطبخ العالمي الفاخر والضيافة التقليدية الأصيلة.

سافر مع الملكيّة الأردنيّة إلى كافة أرجاء العالم، وثق من أنك ستجد الترحيب الحار دائماً في موعده.

تجدّد لا يتوقّف

أبوظبي • أمستردام • العقبة • أثينا • بغداد • البحرين • بانكوك • بيروت • بلغراد • بروكسل • بوخارست • القاهرة • الدار البيضاء
كوبنهاغن • دمشق • الظهران • الدوحة • دبي • فرانكفورت • جنيف • استانبول • جدة • كراتشي • كوالالمبور • الكويت • لارنكا • لندن
أنجلوس • مدريد • موسكو • مسقط • نيويورك • باريس • الرياض • روما • صنعاء • سنغافورة • طرابلس الغرب • تونس • فيينا

مدينة الملاهي

في ركن عابق بالسحر من ذاكرتك، مكان للطفولة وحدها حيث تشرق الشمس دوماً وتذوب الهموم ككوز مثلجات على اسفلت ساخن. مدينة الملاهي هي بوابة العبور الى ذلك الركن...





سأل طفل في السابعة اباه: "هل جئت هنا طفلا؟"

- لا لم آتِ الى هنا. لكن الملاهي متشابهة دوماً. لقد ركب جدك الدولاب الدوّار وجدي ايضاً.

الدولاب اختفى الآن، فقد زاحمته القناة المزخرفة، وهي اشد اغراء.

"يا للعظمة!" يقولها الولد اذ يغادر المركب على شكل جذع شجرة عند نهاية المنزلق. الأب وابنه منتقعان بالماء.


واذ يمضي النهار متطاولا، تبرز صور خاطفة لاوقات بعد ظهر أواخر الصيف طفل دارج ينظر شزراً من عربته الى الأراجيح الطائرة، فيما يومىء اخوه: "انظر، ماما في السماء"، حلوى "غزل البنات" من ألياف السكر المنفوش، السجق المتبل، المياه الغازية، ثمار التفاح المغلفة بالسكر المحروق أو المتبلر تمسكها عيدان قصيرة."

وعند منحدر خروج القطار الحديد المصغر، صبي محملق العينين يهتف بأمه: "هذا افضل ما ركبته في حياتي. كدت أقذف ما في جوفي".

وفي برودة الممر المسقوف المقنطر يدمن الصبية العاب الدبابيس حيث آلة فيها لوح مائل الى الأسفل تتدحرج عنه كرات



© Dahlgren / The Stock Market



lly Mcnamee / Woodfin Camp

D: © Jeffry W. Meyers / FPC / FPG:



© Michael Philip Manheim / The Stock Shop

© Craig Aurness / Woodfin Camp

مرتطمة بمسامير. تومض الانوار، ويزداد نقف "الفليبرز"، وتضج الغرفة بفوضى مستحبة من الطنانات والأجراس. الفتيات يراقبن المنظر. ألعاب الحظ لا يمكن التكهن بها. يقول احد الآباء مستغرباً: "ثمانية دولارات تُدفع للفوز بمشط للجيب؟!".

وعلى الدولاب الدوّار، نصل اخيراً الى ارتفاع كبير للمرة العاشرة، نشاهد شمساً برتقالية تلوّن ضباباً نائية، وتتصاعد الينا في الأعالي رائحة النقانق. وفي مكان ما تحتنا، دوّارة عملاقة قديمة الطراز من حيوانات خشبية يركبها الاولاد. ومعها طبل أعظم وصنّاجات تقرع لوحدها باعجوبة، وتجلجل موسيقى سمع جدك مثلها.

يقول الصبي اذ يتباطأ الدولاب. "ابتاه، ايمكننا ان نصعد ثانية؟ ارجوك...".

صدقوا اذ قالوا: "لا يركبن المرء عجلة الحياة الا مرة واحدة." لكن الدولاب الدوّار سيبقى على دورانه، صارفه النظر عمن يمتطيه...

تري دانكل ■



Background Photo: © Paul O. Boisvert / FPG



الـدّبـق
نبتـة الحظ السّعيـد

منافعه الطبية كثيرة وهو رمز للحب والحظ السعيد

قرابة آخر السنة، وكانت أشجار الزان والسنديان نثرت أوراقها والضباب ينتشر فوق الاودية، خرج سيمون كلامبفر الى الغابة في اقليم سالزبورغ في النمسا. هناك، في الصباح الباكر، وضع سلّماً طولها نحو خمسة عشر متراً على جذع صنوبرة قديمة وصعد الى أغصانها العليا. استعمل منشاراً يدوياً قطع به أماليد صغيرة بثخانة الابهام فيها شبه عناقيد من أوراق خضر بيضوية الشكل: انها أماليد الهدال(١).

وضع حزمة الاماليد في شاحنة وتوجه الى معرض سالزبورغ. هناك يباع الاملود الجيد الكثير الثمر الابيض بمبلغ يراوح بين مئتي شلن وما يزيد على ثلاثمئة.

اذا ما وضعت بذور ثمر الهدال في التراب العادي فانها لا تنبت أبداً. فهي لا تنبت الا اذا لامست لحاء شجرة. كتب سيغفريد لنز في روايته "أرض التمرين"(٢): "توزع الطيور هذه المادة. فهي اما تمسح مناقيرها بلحاء الشجرة مما يجعل البذور اللزجة تلتصق باللحاء، واما ترسبها على الاغصان حين تحط هناك. وطيور السماني هي المتقدمة بين الطيور الموزعة للبذور."

مهما يكن فالهدال الاوروبي(٣) لا ينبت على كل شجرة. فالهدال النفضي(٤) ينبت على الاشجار النفضية فحسب. والهدال الكرزي ينمو على الاشجار الكرزية. ونادراً ما ينبت هذا النبات الطفيلي على

(١) mistletoe أو الدبق.
(٢) The Exercise Ground
(٣) Viscum album
(٤) النبات النفضي هو الذي يسقط أوراقه موسمياً.

Photo: Erwin & Peggy Bauer

السلديان، كما أن بعض الاشجار، كالزان والقس، هو مقاوم له.

منافع طبية. تحتاج ثمار الهدال الى أكثر من سنة لتخترق لحاء الشجرة المضيفة بجذر مكيّف. وعندما يتم ذلك تسحب الماء والمعادن من الشجرة المضيفة. يقول هانس بيكر، الاستاذ في علم الصيدلة الذي ألّف مع الخبيرة في "الفن الجديد" هلغا شمول كتاب "الهدال في الطب: تقاليد وفن": "هذا الامر عادة لا يضايق الشجرة كثيراً، فقد رأيت أشجاراً مغطاة بالهدال."

كان السلتيون يحترمون الهدال ويجلّونه. وكان أبناء بلاد الغال(٥) يؤمنون بأنه علاج أكيد ضد كل الشرور في العالم.

في القرون الوسطى كان الهدال النامي على شجرة سنديان أمام المنزل يعتبر حماية فعالة ضد البرق، كما كان يُظن انه دواء أكيد لكل الامراض. وقد أثنى طبيب الاعشاب الشهير في القرن السادس عشر هيارونيموس بوك على خصائص الهدال الشفائية قائلا: "كمسحوق ممزوج بالشراب يساعد على الشفاء من الصرع والورم، وكشراب يشفي وجع الاذن."

ومن القرن الثامن عشر يذكر كتاب طبي: "اذا ما قطع الهدال رقاقات وقى من الفالج وداء المفاصل وما يرافقهما من توعك. انه يشحذ الحواس والذاكرة، ويقوي الدماغ، وينعش القوى العقلية، وينفع التلاميذ والمثقفين نفعاً عظيماً. والواقع أن خلاصة الهدال تحوي مواد تقوي مناعة الجسم. واذا ما شُرب كالشاي أو استعمل كقطرات فيقال انه علاج مفيد ضد ضغط الدم العالي وأمراض الشيخوخة. ومن الممكن أن يصنع من ثمار الهدال غراء لزج.

قبلة تحت الهدال. أثناء فترة "الفن الجديد" استلهم الحرفيون الفنيون هذا النبات. فتخصصت صناعة الزجاج في باريس ونانسي وبوهيميا بزخارف الهدال المصنوعة بالذهب والمينا. وأنتج الصاغة حُلياً ذهبية وفضية ذات حجار كريمة كعين الهر أو عين الشمس، ولآلىء شبيهة بثمار الهدال. وهنالك محترفات أخرى صنعت تماثيل من الخزف الصيني على مثال الهدال، ومصابيح من الحديد المطروق على مثال أغصان الهدال. هذا اضافة الى منتجات أخرى لا تحصى زينها الفنانون بالهدال، كعلب السجائر والمحابر وخشخيشات الاطفال وفُرَش الثياب وحلقات مناديل موائد الطعام وأمشاط الشوارب والحلي التي "تجلب الحظ السعيد."

من بريطانيا أو اسكندينافيا جاءت عادة التقبيل تحت الهدال في مواسم الاعياد. وفي مقاطعة بريتاني الفرنسية تعتبر القبلة تحت "باقة التقبيل" – وهي حزمة هدال أو اكليل من أماليده – وعداً لزوجين شابين بالسعادة والخصب. وفي المانيا تزان المنازل في عيد الميلاد بالنبتة الدائمة الاخضرار. توضع في آنية أو تعلّق فوق الابواب أو على الجدران جلباً للحظ في العام الآتي.

رايْنر كلنغولز ■

(٥) السلتيون شعوب قديمة في غرب أوروبا. وبلاد الغال هي فرنسا القديمة.



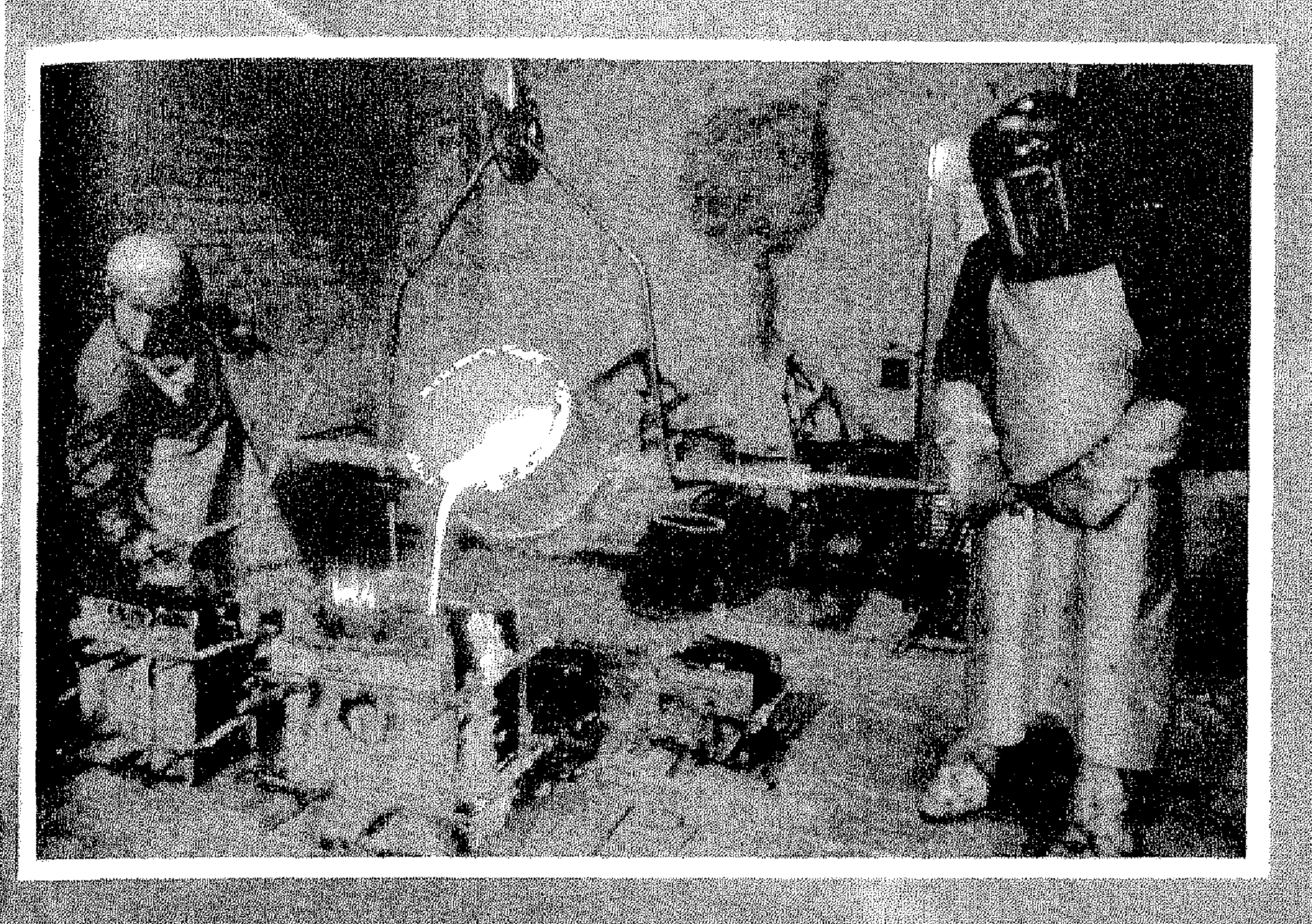
سيريلاك

الطعامُ الأول لِطفلكِ بالمِلعقة

عندمَا يَبْلغ طفلكِ شهرَه الرابع،
لايَعودُ الحليبُ وحدَهُ يكفيه.
عليكِ بوجبةٍ مِن سيريلاك.
سيريلاك متوفر بعدّةِ أنواع تلائم مذاق
طفلك. سيريلاك يحتوي على العناصِر
الغِذائيّة الأساسيّة التي تؤمّن
لِطفلكِ نموًا متناسِقًا
وَسليمًا.

Nestlé

تضمنه
نستله



نـــوالـك

ذروة الفـــن الألمـــاني

في العام ١٩٨١، عندما تفحّص النحّات البريطاني هنري مور قالبَيْ "التم
المنزلي" و"سكران" صدرت عنه، بعفوية، تحية تهنئة لهرمان نوالك صاحب "مس
نوالك للاعمال الفنيّة" في برلين الغربية. فقال: "انا مسرور منك جدا. فلقد حققت
اخرى عملا رائعا" وكان مور قد كلّف نوالك انجاز أكثر من مئة قطعة من اع
التشكيلية، الكبيرة الحجم والمنمنمة على حد سواء، منذ العام ١٩٥٩ حتى تا
وفاته في اغسطس (آب) ١٩٨٦.

تتضمن سجلات الطلبات في المسبك اسماء عدة نحّاتين مشهورين منهم ك
كولفيتس واوسكار كوكوشكا، ومنذ عهد أكثر قربا اليوناني اليكّوس كيرياك
والالماني اوتو هربرت هايك. وانجز نوالك مصبوبات برنهارد هيلغر، وهي ١٥ تا

هرمان نوالك يقدّم
هنري مور مع
المصبوب البرونزي
لمثاله "سكران"
الى اليمين
... البرونز
... مهور

من تزاوج كمال الصنعة مع روعة الفن برز نجاح مسبك "نوالك" للاعمال الفنية، هذه المؤسسة الحرفية العائلية في برلين الغربية وذات الشهرة العالمية

تجريدياً نافرا من الالومينيوم مخصصة لمقر البرلمان في مدينة بريمن. كذلك حملت توقيع نواك المداليات الذهبية، من عيار ٢٤ قيراطا التي كَرّمتْ بها "مؤسسة روبرت كوخ" العلماء من ذوي الجدارة الخارقة، و"دبٌّ برلين" وهو الجائزة السنوية التي تُمنح في مهرجان الفيلم الدولي. ويستطيع المرء في كل اقطار العالم – في المعارض والمتاحف الفنية كما في الحدائق والشوارع العامة – أنْ يُعجب بالتماثيل البرونزية التي تحمل دمغة "هرمان نواك، برلين".

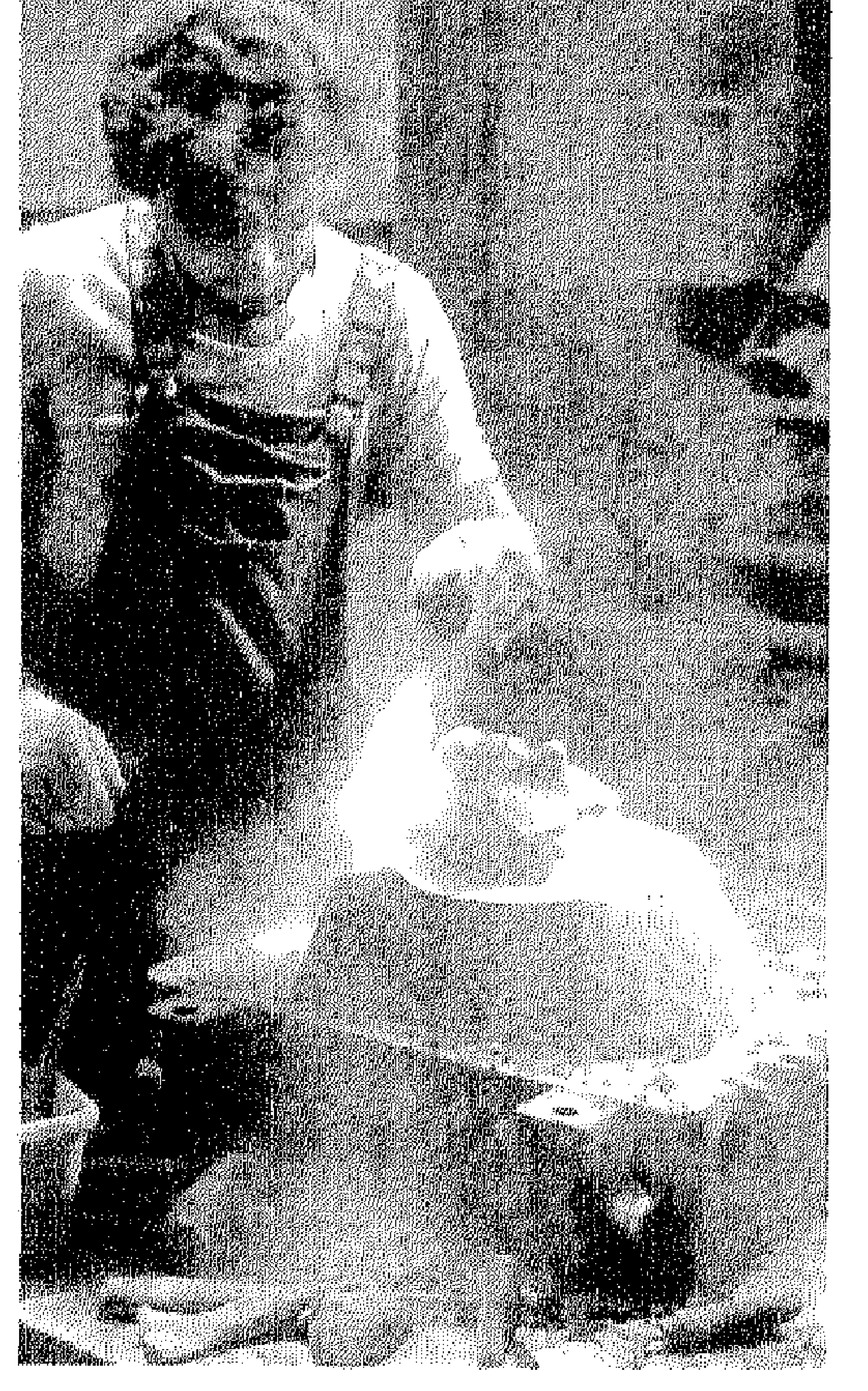
هذه المؤسّسة الحرفية العائلية التي تستخدم ٣٥ مقولباً وسابكا ونقّاشا، لا تزال تستخدم عملياً طرائق السبك ذاتها التي كانت شائعة في الالف الاول في مشغل هيلدسهايم، حيث كان يُصنع قالب سلبي لكل تمثال منحوت في الجصّ او الصلصال. بعد ذلك كان التمثال يُصبّ بالبرونز او غيره من الأشابات(١) المعدنية. ويستخدم هرمان نواك، اضافة الى ذلك، تقنيّات الانتاج الاكثر عصريّةً. وتملك الشركة فرنين للصهر يعملان بالدماغ الالكتروني، واربع غرف للتحميص وعشرة اجهزة للرفع. وهي واحدة من خمسين مسبكا فنياً ونيّف تعتبر الاكثر حداثة في المانيا الاتحادية وفي برلين الغربية.

فيما معظم منافسي نُواك يتجنبون الاشكال غير المعهودة او التماثيل البالغة الضخامة، فهو يجعلها من اختصاصه. وهكذا قبل فريقه التحدي وانتج اعمالا تشكيلية لفنانة مدينة كولونيا السّرّياليّة اورسولا شولتسه، وهي تتضمن قطعا من الفرو. وكذلك حضّر الفريق وجمّع الـ٧٦ قطعة من تمثال "الفراشة" لهنري مور. وهذا العمل الفني الجبار ـ بطول ثمانية امتار وارتفاع اربعة امتار ونصف متر، ووزن عشرة اطنان ـ نُصب قبالة مبنى مجلس الشيوخ القديم في برلين الغربية منذ يوليو (تموز) ١٩٨٧. ويقول النحّات البريطاني كينيث ارميتاج الذي كلّف نواك صب تمثاله الضخم "سنديانة ريتشموند": "أعجَب كثيرا بحذق الشركة الفنيّ، لاسيما عندما تتعاطى اعمالا ضخمة."

قصة طويلة. بدأت قصة نجاح الشركة قبل ٩٠ عاما. في ذلك الوقت كان هرمان نواك، جد المالك الحالي، يتعلم صب البرونز في مصنع لاوخهمر للحديد في منطقة لاوزتس. وكان في الثالثة والعشرين من عمره عندما أُرسل الى فيلادلفيا في الولايات المتحدة حيث اشرف على نصب تمثال جورج واشنطن. وقد ابلى بلاء حسنا في مَهمّته بحيث طُلب منه بعد ذلك بقليل ان يصنع تمثالا للحرية في انديانابوليس يزن ٣٣ طنا.

تزوج المقولب الشاب في العام ١٨٩٤، وبعد ثلاث سنوات بدأ يعمل لحسابه الخاص في فريدريشسهاغن في ضواحي برلين، صاهرا البرونز في موقِد المطبخ. وبالمال الذي جناه، سرعان ما توصّل الى انشاء مسبك صغير في إسطبل بضاحية فْلمرزدورف وكان اول عمل كبير نفذه سبك ثُريًّا رسمها الفنان فرتس كلمش لمتجر فْرتهيم التنويعي في برلين.

(١) الأشابة هي كل خليط من معدنين على الاقل.



فوق: جزء من المادة التشكيلية لتمثال "السكران" في الاستوديو.
تحت: يذر فوق رمل مدينة بوتروب غبار الغرافيت الدقيق تأمينا لالتصاق القطع الفردية بعضها ببعض.

واكتشف المشغل نحّاتون مثل فلهلم لمبروك، وبدأت اعماله تزدهر. وما مرّ عام واحد حتى كان في وسع نواك ان يشتري قطعة الارض التي يقوم فوقها المسبك الى الآن.

بعد الحرب العالمية الاولى تولّى ادارة العمل هرمان نواك الابن، البالغ ٢٥ عاما. وكان بين زبائنه فنانون مشهورون. وقد كتب رودلف بيلينغ، النحات التجريدي الاول في المانيا الغربية: "من دواعي السرور ان تعمل مع نواك، فانت تستطيع ان تناقشٍ معه التفاصيل، وهو جاهز دائما لينفذ رغبات الفنان الخاصّة."

في العام ١٩٤٣ سقطت قنبلة على المسبك، فهدمته وفيه آلاف من نماذج جصّيّة لفنانين وضعوها في عهدته. ولكنْ ما إن وضعت الحرب اوزارها حتى عاود فريق المسبك نشاطه، على رغم العقبات، وفي ظروف بديلة موقّتة. ووردت عليه طلبات جديدة معظمها من قوات الاحتلال. فالامريكيون مثلا طلبوا سبك تمثال لايزنهاور من صنع الفنان نيسون تريغور، ليوضع في اكاديمية وست بوينت الحربية. واوصى السوفييت على نُصُب حربية جبّارة.

بعد الحرب. بسبب خبرة الشركة واشتهارها بدقة العمل، قُدِّر لها ان تحمل عبء ترميم الانصاب المعدنية التي دمّرتها الحرب، فكُلِّفت تنظيف تمثال فردريك غليوم على متن جواده واصلاح اعطابه، واعادة تمثال الامير الجرماني الكبير في مدينة براندنبورغ الى سابق عهده، وكان الجرماني يوهن ياكوبي قد صبّه في العام ١٧٠٠ مستعملا طريقة الشمع، وهو غرق في العام ١٩٤٧ في بحيرة تيغيل، اما اليوم فينتصب في فناء قصر شارلوتنبورغ في برلين الغربية. ورمّمَ نواك ايضا تمثال "فكتوريا" ذا الخمسة والثلاثين طنا فوق عمود النصر والذي اصيب بآلاف الشظايا في اثناء معركة برلين الاخيرة.

بيد ان اضخم عمل وادقّه قام به نواك كان تجديد نصب "كوادريغا" فوق بوابة براندنبورغ. وكان النحات يوهن غوتفريد شادوف نفذ في العام ١٧٩١ هذا النصب الذي يمثل اربعة جياد تجر عربة "فكتوريا"، اي النصر. وفي اثناء الحرب اعطبت قذائف المدفعية هذا الاثر الفني حتى ان سلطات المبنى في برلين الشرقية اضطرت الى ان تفككه لضمان سلامته. ويبدو ان تلك الخطوة كانت نهايته.

ولحسن الحظ اكتُشفت بعد ذلك في غرف جانبية في اقبية متحف داهِلم، نسخة معكوسة عن النصب مؤلّفة من قالب مقطّع الفَ قطعة كان نُسخ في العام ١٩٤١. وبعد ان صنعت مشاغل متاحف الدولة في برلين الغربية نموذجا جصّيًّا له، بدأ نواك وفريقه تجديده. وبدلا من صبه بالبرونز، كما جرت العادة، زُيّن هذا النصب بالنقوش النحاسية النافرة – الامر الذي يشكّل انجازا متجددا لحرفيّي الشركة بالنظر الى ضخامة العمل الفني الذي يفوق وزنه ستة اطنان. فقد كان عليهم ان يطرّقوا ٣٠٠ صفيحة نحاس، تترجح ثخانتها بين سنتيمتر واحد وسنتيمترين، داخل الشكل المعدني السلبي المصنوع بعد النموذج الجصّيّ، ثم ان يزينوا المعدن بنقوش تُصنع باليد. وكان العمل بدأ بشق النفس عندما توفي هرمان نواك بعمر ٦٣ سنة، فتولى ادارته من بعده ابنه هرمان (٢٧ عاما) الذي كان انجز بنجاح فحصه كمعلّم مقولب، قبل شهرين، وظل مشرفا عليه حتى إكماله بعد سنة.

الجيل الجديد. منذ منتصف الستينات يعمل في المسبك جيل جديد من النحّاتين الجديرين بما احرزه من شهرة دولية. فالامريكي لاري ريفرز انجز هنا اثنين من

اعماله التشكيلية، كذلك فعلت النحاتة البرلينية كريستا بيدربك بمجموعة ينابيعها. وامتلأت مستودعات الشركة من جديد بنماذج ليواخم شمتاو وأريش - فرتس رويتر وكنود كنودسن والامريكي ادوارد كينهولز وغيرهم، تحت حراسة "الملاك العائم" لإرنست بارلخ الذي يزيّن قالب جصّيّ مأخوذ عنه سقف تلك المستودعات.

في واحد من مشاغل الشركة الاربعة راقبت معلم القولبة راندولف ماير يُعدّ نموذجا من السّليكا(٢) بالحجم الطبيعي لتمثال البطريق من صنع اوغست غاول. بعد ذلك وضع طبقة من الشمع في الجانب الاجوف من النموذج. اما المادة التي حشا بها الجوف فهي مزيج من جصّ خاصّ وصلصال حراري. وبعد ان ازاح غلاف السّليكا طلى النموذج بطبقة خارجية من الجص والصلصال ايضا. ثم وضع الكتلة بكاملها داخل احدى غرف التحميص حيث ستظل سبعة ايام تتلقى بالتدرج حرارة تصل الى ٥٠٠ درجة مئوية. حينئذ يذوب الشمع فيسكب رجالُ المسبك البرونزَ المصهورَ في الفراغ الحاصل من جراء ذوبانه.

امـا الاعمال الفنّيـة التي تحوي مساحات صقيلة او واسعة فيصنع لها نموذج من رمل بوتروب(٣) الأصفر، الذي يحوي جزئيات من الطين. وهذه الطريقة التي تستخدم الرمل، وكان نواك اعتمدها قرابة العـام ١٩١٠، تتطلب ثماني ساعات من الشّيّ.

بعد ان يملأ النقّاش كل الشقوق والثقوب في المعدن المصبوب وغير المصقول يزيل من جوف القالب الجص والصلصال بعد سحنه، قدر المستطاع، ثم يملس سطحه المقعّر بورق السّنفرة(٤) وفرشاة معدنية. اخيرا يستخدم إزميله ليمهر العمل الفني باسم الفنان، ولا يبقى بعد ذلك الا إحداث غشاء العتق(٥).

في مسبك نواك يعجل التأكسدُ الطبيعي الذي يعطي البرونزَ عاجلا ام آجلا لونه المخضرّ بوسائل كيمية. فقد شاهدت معلم النقش يورغن زيغت يحفّ بفرشاة مغمّسة في مزيج حمضي - تحتفظ الشركة بمقوّماته ومقاديرها حفاظا على سر المهنة - مصوبا لتمثال ارنست بارلخ "المنتقم". ثم راقبته يستخدم وابورَ لحام المعادن وفرشاة فولاذية يعالج بهما التمثال الى ان تدرّج لونه الى السّمرة الداكنة.

سر نواك. عن غشاء العتق حدثني نواك: "انتقل سرُّ إحداثه بشكل مميّز في عائلتنا ابا عن جد. وقديما كانت مسابك اخرى كثيرة تعرفه مثلنا، لكننا اليوم غدونا من بين القلائل الذين في وسعهم ان يضعوا في خدمة الفنان درجات لونية صفرا او خضرا او محمرة او رمادية بنية او شديدة السواد." وحتى لو اراد نحّات ان يختار لاحقا غشاء من لون آخر يستطيع نواك ان ينفّذ له رغبته.

وثمة سرّ آخر مصان هو صيغة أشابة

(٢) ثاني أوكسيد السليكون.
(٣) مدينة المانية في حوض الروهر، مشهورة بفحمها الحجري.
(٤) ورق الزجاج.
(٥) غشاء مخضوضر بلون الزنجار، تتخذه المعادن على مر الزمن بالتأكسد او يحدث فيها اصطناعيا بالاحماض.

البرونز التي طوّرتها الشركة في السبعينات من اجل اللحم المثالي لقطع القالب. يقول نواك: "قديما كانت حزمة اللحام تغيّر البرونز كثيرا حتى لتضفي عليه عروقا بشعة تزداد دكانة في الاحوال الجويّة السّيّئة." ولكن بعد استعمال الأشابة الجديدة لم تعد آثار اللحام ظاهرة حتى في الاشكال البلاستيكية العصرية البالغة الفخامة.

النحاتون الراغبون في فرصة للتعبير عن رأيهم او حتى للمشاركة في صنع تماثيلهم غالبا ما يحضرون يوميا الى مشاغل نواك. والفنانون الشباب المغمورون يتعلمون هناك كيف تتم قولبة الشمع والرمل وكيف يُضفى على مصبوب البرونز غشاء العتق. يقول النحات البرليني الغربي فالكو هام: "عندما كان غيورغ كولبه وريتيه زينتنس لا يزالان مغمورين حصلا على حِذق ذي قيمة في مسبك نواك، تماما مثلما نفعل نحن اليوم. ونواك يرحّب بنا دائما نحن الفنانين. وانا لا اقدر فقط فريقَ الشركة الحِرَفيّ وابداعها، بل ان هذا المسبك هو في نظري التوافق الكامل بين الصنعة والفن."

كلاوس غايدمن ■



بلسم سحري

ركبت سيدة كهلة احد اوتوبيسات مدينة نيويورك واسقطت بطاقة نولها نصف المجانية في صندوق الدفع، فطلب السائق فوراً التأكد من عمرها. فبان الامتعاض على وجهها ولوّحت له باستمارة النول المخفض لانتقال الكهول في الحافلات. في البدء رفعت عقيرتها بالشكوى الى احد الركاب: "عمري ٨٠ عاماً وهو يريد ان يرى اثباتاً لذلك!" غير ان تجهمها سرعان ما تحوّل ابتسامة رضى عريضة ارفقتها بالقول: "ومع ذلك، زرعت بادرته البهجة في نفسي."

وبعدما غادرت الحافلة التفت السائق الى سائر الركاب وقال: "افعل ذلك بين حين وآخر، فيأتي مفعوله كالبلسم السحري."

ت.ت.

خطر بارد

في مكان ما من بريطانيا طريق ضيقة متعرجة تنتهي الى مجاز، في أوله لافتتان تحذران السائقين: "حيوانات في الطريق" و"مجاز خَطِر." وتبين لنا كم أن القيادة خطرة هناك عندما بلغنا القمة وحدّقنا نزولا: مجاز موحل تتخلله منعطفات مستحيلة وجلاميد معلقة وقطعان ماشية. وفي دقة بريطانية كاملة برزت لوحة في القمة تقول: "لقد أنذرناكم."

د.هـ.

نحافة من دون حمية!

ان في امكانك خفض وزنك خمسة كيلوغرامات سنوياً، وربما اكثر، باتباع هذا البرنامج الصائب

ما هي أكثر الطرائق أماناً وثقة التي يعتمدها الباحثون في شؤون البدانة بهدف خفض الوزن وابقائه مخفضاً؟ أنها التمرين المنتظم وتعديلات غذائية بسيطة كالآتية:

- اذا عمدت يومياً الى ابدال القشدة في ثلاثة فناجين قهوة بحليب مقشود، ففي امكانك خسارة ستة كيلوغرامات في السنة.
- أبدلي الكعكة الهلالية المحلاة (كرواسّان) في الصباح بفطيرة من النخالة، فينقص وزنك نحو خمسة كيلوغرامات في السنة.
- توجي فطيرة النخالة بملعقة كبيرة من الجبنة القشدية كبديل من الزبدة، فتخفض من وزنك كيلوغرامين آخرين.

ان أفضل ما في هذا البرنامج الذي لا يعتمد الحمية لازالة البدانة هو أنه لا يتطلب أكثر من "دوزنة" عادات أكلك وخفض ٢٥٠ وحدة حرارية من استهلاكك اليومي. وهذه الكمية ضئيلة جداً بحيث لا تشعرين بأنك تتبعين برنامج حمية. وبذلك يتسنى لك أن تسقطي ربع كيلوغرام من وزنك في الاسبوع او ١٢ كيلوغراماً في السنة. واذا خفضت ٥٠٠ وحدة حرارية خفضت نصف كيلوغرام في الاسبوع و٢٤ كيلوغراماً في السنة.

ولكن لا تفترضي أنه اذا كان خفض الوحدات الحرارية باعتدال أعطى نتيجة

جيدة، فان الخفض الى أقل من ١٠٠٠ وحدة سيكون أفضل. فقد أظهرت الدراسات أن خفض الاستهلاك اليومي الى أقل من ١٠٠٠ وحدة حرارية لعدة أسابيع يبطىء عملية الايض(١) بنسبة تراوح بين ١٠ و٣٠ في المئة، مما يعني أن حرق الطاقة الحرارية يغدو أبطأ. وعندما يعود المرء الى عادات أكله السابقة يسترد الوزن الذي فقده وربما أكثر، لان أيضه، بحسب بعض الباحثين، يبقى في حال تباطؤ.

وما يشكل ضرراً أكبر هو أن مقداراً كبيراً من الوزن المفقود نتيجة حمية تعتمد استهلاك طاقة حرارية متدنية، يأتي من أجزاء الجسم الخالية من الدهن (كالعضل، بما فيه القلب) وليس من الدهن. وتجدر الملاحظة أن غالبية برامج الحمية لا تؤمن ما يكفي من الكربوهيدرات، أي المواد السكرية والنشوية، ويؤدي هذا النقص الى احساس المرء بضيق الخلق والتباطؤ والخمول.

ان الخفض الحاد للطاقة الحرارية قد يولد رغبة في الانغماس في الطعام، فيحاول الجسم خزنه لـ"المجاعة" التالية. يقول الدكتور واين كولاواي مدير مركز التغذية السريري في جامعة جورج واشنطن في واشنطن: "ان الحيوانات تأتي العمل ذاته. من هنا قد يكون ذلك استجابة بيولوجية." ان الشهية هي رد فعل نفساني على الحرمان: فالحلوى يصبح طعمها لذيذاً جداً حين تمتنع عنها لبعض الوقت، لذلك قد تدفعك شهيتك الى التهام ست قطع بدلا من واحدة.

تبين في دراسة لباحثين في كلية بايلور للطب في هيوستن، تكساس، أن متبعي الحمية الذين يمارسون التمرين الرياضي فقدوا ما معدله تسعة كيلوغرامات من وزنهم في السنة، وحافظوا على نحافتهم الجديدة. اما اولئك الذين مارسوا الحمية فقط من دون رياضة فقد استعادوا معظم الوزن الذي فقدوه. ان حمل العضل على العمل يحرق الوحدات الحرارية ويساعد في كبح الجوع. ويلاحظ جون فوريت مدير عيادة التعديل الغذائي في بايلور: "نحن لا نتكلم عن ساعات من التمارين تتضمن كثيراً من النفخ واللهاث. تكفي ٤٥ دقيقة من المشي النشيط للحصول على النتيجة المتوخاة."

ان التمرين يساعد على خفض الوزن ويسهّل الحصول على نتائج مرضية من الحمية. فبدلا من اقتطاع ٥٠٠ وحدة حرارية من طاقتك في اليوم، اقتطعي ٣٠٠ وحدة فقط وامشي لمدة ٤٥ دقيقة تنشطي فيها نبض قلبك (وهذا يعادل خفض ٢٠٠ وحدة حرارية لشخص وزنه ٥٤ كيلوغراماً يمشي بسرعة ستة كيلومترات في الساعة).

يستهلك الانسان العادي من الدهن يومياً ما يعادل "إصبعاً" من الزبدة، أي ٨٠٠ وحدة حرارية أو ٤٠ في المئة من مجموع الوحدات المستهلكة. والدهن، بالمقارنة مع البروتيين والكربوهيدرات، يحتوي على ضعفي الوحدات الحرارية. والى ذلك ربط الخبراء الدهن باصابات السرطان وأمراض القلب.

(١) Metabolism

اخفضوا الدهن، لا اللذائذ

استخدموا اللائحة المدرجة ادناه لخفض ٢٥٠ الى ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً تؤمن خفضاً ثابتاً في الوزن بمعدل يراوح بين ربع كيلوغرام ونصف كيلوغرام في الاسبوع، أي بين ١٢ كيلوغراما و٢٤ كيلوغراماً في السنة!

في العمود الاوسط لائحة بالاطعمة القليلة الطاقة والقليلة الدهن لاستعمالها كبدائل من مثيلاتها التي تحتوي على كميات مرتفعة من الطاقة والدهن (في العمود الايمن).

في العمود الايسر، مقابل كل طعام يحتوي على كمية مرتفعة من الدهن تبدله بآخر قليل الدهن، قارنوا عدد الوحدات الحرارية التي تقتصدونها، ثم اجمعوا هذه الارقام في نهاية كل يوم لمعرفة مجموع ما خفضتموه من هذه الوحدات. مثالا على ذلك، اذا تناولتم لحم دجاج من دون جلدة بدلا من لحم دجاج مع الجلدة فانكم تقتصدون ٤٠ وحدة. واذا اخترتم الحليب المثلج بدلا من الجيلاتي (آيس كريم) الغنية بالقشدة، فانكم توفرون ٨٥ وحدة. وبذلك يكون مجموع ما وفرتم بسهولة وراحة ١٢٥ وحدة حرارية.

	وحدات حرارية		وحدات حرارية	وحدات حرارية مقتصدة
همبرغر (٨٤ غراماً)	٢٣٠	لحم بقر مطحون (١٧٪ دهناً) (٨٤ غراماً)	٢١٥	١٥
صدر دجاج مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٩٠	صدر دجاج من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٥٠	٤٠
فخذ دجاج مع الجلدة (٨٤ غراماً)	٢١٥	فخذ دجاج من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٧٥	٤٠
صدر ديك رومي مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٧٠	صدر ديك رومي من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٣٥	٣٥
فخذ ديك رومي مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٩٠	فخذ ديك رومي من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٦٠	٣٠
سمك مكسو بالعجين ومقلي (٨٤ غراماً)	١٧٥	سمك مشوي (٨٤ غراماً)	٨٠	٩٥
سمك التن بالزيت (٨٤ غراماً)	١٦٥	سمك التن بالماء (٨٤ غراماً)	١٣٥	٣٠
جبن حلوم (٤٪ دهناً) (نصف كوب)	١٢٠	جبن حلوم (١٪ دهناً) (نصف كوب)	٨٠	٤٠
جيلاتي دسمة (١٦٪ دهناً) (نصف كوب)	١٧٥	حليب مثلج (نصف كوب)	٩٠	٨٥
حليب كامل الدسم (كوب)	١٥٠	حليب مقشود (نصف كوب)	٨٥	٦٥
كريما كثيفة (ملعقة كبيرة)	٥٠	كريما نصف كثيفة (ملعقة كبيرة)	٢٠	٣٠
حليب مخفوق مع الشوكولاتة او الفانيليا (كوب)	٢٦٠	لبن مخفوق مع الفواكه (كوب)	١٤٠	١٢٠
زبدة (ملعقة كبيرة)	١٠٠	زبدة مخفوقة (ملعقة كبيرة)	٧٠	٣٠
جبنة قشدية (ملعقة كبيرة)	٥٠	جبنة قشدية مخفوقة (ملعقة كبيرة)	٤٠	١٠

(Values rounded to nearest five. All data from the Nutrient Data Research Branch of the USDA)

ويحضنا خبراء الحمية على أن نلتزم بحمية تؤدي الى حال صحية افضل وتعتمد نسبة أقصى من الدهن تراوح بين ٢٥ و٣٠ في المئة (تكون نسبة الكربوهيدرات ٦٠ في المئة ونسبة البروتيين بين ١٥ و٢٠ في المئة).

خففي من الطعام الذي يحتوي على الدهون اللذيذة (قطعة بسكويت او اثنتان، وليس حفنة). وأبدلي الطعام الذي يحوي نسبة مرتفعة من الدهن بآخر

يحوي نسبة متدنية، ولكن من دون أن يؤدي ذلك الى انتفاء النكهة اللذيذة (لان تقليص النكهة قد يثير الرغبة في الانغماس في الاكل). واليك حيلاً تؤدي الى خفض عدد من الكيلوغرامات من وزنك:

□ اقتصري في أكل الطعام المقلي على مرة أو مرتين في الاسبوع. عندما تقلين الطعام لا تستعملي أكثر من ملعقة من الزيت أو الزبدة، فتخفضين عن كل ملعقة لا تضيفينها ما يجاوز ١٠٠ وحدة حرارية.

□ قلّصي ما يزاد من الدهن (مارغرين، مايونيز، زبدة، زيت) بعدم استعمال أكثر من ٣٥ غراماً يومياً، اي نحو ٧ ملاعق صغيرة، في تلبيس الحلوى ومرق السلطة والطبق اليومي.

□ اقتصدي في استعمال المنكّهات. فكل جوزة توفرينها مثلا توفر عليك ٢٥ وحدة حرارية. استعيضي بالاعشاب والتوابل عن النقص في المنكّهات.

□ أبدلي الحليب الكامل الدسم ومشتقاته بحليب مقشود ومشتقاته.

ان اللبن القليل الدهن هو بديل حسن من القشدة الحامضة(٢) ويقتصد ٣٥٠ وحدة حرارية في كل كوب. وبابدال الحليب الكامل الدسم بحليب يحتوي على قليل من المواد الدهنية، بنسبة واحد في المئة، تقتصدين ٥٠ وحدة حرارية في كل كوب.

□ تأكدي أن يكون نصف استهلاكك من الوحدات الحرارية من كربوهيدرات مركبة: كالحبوب والمعكرونة والبطاطا والخبز والفواكه والخضر.

فاذا باشرت الآن اجراء هذه التبديلات، فستخفّضين بدانتك وتأكلين على نحو صحي أفضل.

كمبرلي هاملتون ■

(٢) Sour cream



من جراب الطلاب

في ما يأتي بعض الاجوبة "العبقرية" المسلية لتلاميذ السنة الابتدائية الاخيرة عن بعض الاسئلة العلمية، مستقاة من فروضهم وفحوصهم وتسميعاتهم الشفهية:

"يمكنك الاصغاء الى صوت الرعد بعد البرق فتعرف كم هي قريبة منك ضربة الصاعقة. أما اذا لم تسمع الرعد فتكون الصاعقة ضربتك." "الذبذبة حركة لم تقرّر بعد في أي طريق تنطلق."

"يشرح علم الوراثة لماذا تشبه والدك واذا لم تكن كذلك لماذا ينبغي لك أن تشبهه."

هـ.د.

لن تجد مولَعاً بالاسرار اكثر ممّن لا يُعنى بكتمانها.

ك.ك.ك.



شعاره أن الناس سيشترون سلعة ما اذا قل ثمنها عن ٥٠ دولاراً. وها قد أصبحت شركته في طليعة منتجي برامج الادمغة الالكترونية

نَجم الأدمِغَة الإلكترونيّة

خلال نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الاول) ١٩٨٣ انهالت الطلبات على شركة "بورلاند انترناشونال." وكانت هذه الشركة، على رغم اسمها الكبير، تشغل غرفتين متواضعتين فوق دكان لاصلاح السيارات في وادي سكوتس بكاليفورنيا على بعد حوالى ١١٤ كيلومتراً من جنوب سان فرنسيسكو. وهذا السيل من الطلبات كان استجابة لاعلان الشركة الناشئة في احدى المجلات المتخصصة بالدماغ الالكتروني عن انتاجها الاول والوحيد لبرنامج "توربو باسكال"(١) بسعر ٤٩،٩٥ دولاراً. وكان ثمن برنامج مماثل من انتاج شركات أخرى يراوح بين ٣٠٠ و٥٠٠ دولار، فلم يسع مستخدمي الادمغة الالكترونية أن يتجاهلوا هذا العرض المغري.

والحقيقة أن الاعلان وسعر البرنامج أثارا اهتماماً فاق توقعات فيليب كان، الرئيس المؤسس للشركة، وهو شاب فرنسي عالم بالرياضيات. فكاد يعجز وشريكه سبنسر أوزاوا عن تلبية طلبات برنامج "توربو باسكال" التي بلغت ١٥ ألفاً في الاشهر الاربعة الاولى. كانا يتلقيان الطلبات في النهار ويتوليان

(١) Turbo Pascal

Photo: Borland International, Inc.

توضيبها وشحنها ليلاً. وعلى رغم انهماكهما خلال هذه الفترة فقد كانا يخططان لابتكار برامج جديدة.

لا يزال مقر شركة "بورلاند" في وادي سكوتس، لكن مكاتبها تحتل بناية زجاجية فخمة. ولدى بورلاند الآن ٣٢ نوعاً من البرامج الالكترونية و٦٠٠ مستخدم ومكاتب في باريس ولندن وكوبنهاغن. وبلغت عائداتها في السنة المالية التي انتهت في مارس (آذار) ١٩٨٨ نحو ٨١،٧ مليون دولار.

لكن المال لم يفسد فيليب كان الذي يندمج بارتياح في محيط وادي سيليكون مقر المشاريع الكثيرة للادمغة الالكترونية. في هذا العالم المثير حيث النجاح مرهون لاصحاب المواهب والمبادرة، يعقد هذا "المتمرد" اجتماعات عمل في المطاعم الصينية ويلبس قمصاناً من جزر هاواي في المكتب، ويملك مركباً شراعياً يبلغ طوله اثني عشر متراً وسيارة "بورش" ومنزلاً فخماً. ولا شك في أن هذا الترف يليق بشاب أنشأ شركة من العدم وهو في الحادية والثلاثين من العمر، وفي أقل من أربع سنوات بلغ بها قمة صناعة البرامج الالكترونية المصغرة وأصبحت احدى كبرى الشركات في العالم.

أثبتت أسعار كان المخفوضة - بين ٩٩ دولاراً و٤٥٠ دولاراً - أن خطته في التسعير كانت أشبه بالضرب في الرمل. فحين هبطت مبيعات منتجي البرامج الالكترونية الآخرين ازدهرت صناعة "بورلاند." والى ذلك كانت منتجات الشركة تحوز اطراء وجوائز في المنشورات الخاصة بالادمغة الالكترونية.

يقول كان بجفاء: "كل الشركات تحاول تأدية العمل ذاته وهو التسويق، فيأتي انتاجها رائع المظهر لكنه ينطوي على برامج ضئيلة الجودة." وهو يؤكد أن مستخدمي الادمغة الالكترونية ليسوا أغبياء، فمعظمهم يعرف أن انتاج البرامج ليس باهظ الكلفة، والزيادة التي تراوح بين ٥٠ دولاراً ومئة دولار على الثمن الاساسي هي فاضحة. ويضيف كان أن هناك برامج تباع بـ٥٠٠ دولار ويجدر أن يخجل بها أوقح المنتجين.

مبدأ ناجح. ولد فيليب كان في باريس عام ١٩٥٢. وكان والده شارل هنري مهندساً ميكانيكياً ووالدته كلير مغنية أصبحت لاحقاً مخرجة ومنتجة لبرامج تلفزيونية. عزف كان على الساكسوفون والناي وهو صبي، لكن امّه ثنته عن ذلك لأنها، كما يقول، "عرفت ما يعانيه الموسيقيون من مصاعب في تأمين عيش لائق."

التحق كان عام ١٩٧١ بالمعهد الاتحادي للتكنولوجيا في زوريخ بسويسرا. وكان أجاد في الرياضيات واستهوته منجزات الدماغ الالكتروني، فالتحق بصف مستحدث لدراسة البرمجة بطريقة "باسكال." وكانت تلك مصادفة رائعة، اذ ان أستاذ ذلك الصف كان نيكلاوس فيرت الذي طوّر برنامج "باسكال."

ترك كان الجامعة بعد ثلاث سنوات

وحاول كتابة القصص القائمة على الخيال العلمي، لكنه أخفق وأدرك أن عليه الرجوع الى الجامعة لاكمال دروسه كي يستطيع كسب معيشته. وبمنحة حكومية تابع علومه العالية في الرياضيات. ثم تزوج وبات رب عائلة وبدأ تعليم الرياضيات في منطقة نيس جنوب فرنسا. وفي المساء كان ينفخ في الساكسوفون في النوادي.

أجرى كان أيضاً اختبارات تربط الموسيقى بالادمغة الالكترونية. فوصل جهازاً الكترونياً لضبط الصوت بدماغ الكتروني من طراز "آبل"، واستخدم الجهاز المركّب أثناء عزفه في النوادي. والى ذلك كتب برامج ألعاب فيديو وابتكر برامج أعمال خاصة وعمل مستشاراً لاحدى شركات تسويق البرامج الالكترونية. في احدى مهماته زار وادي سيليكون، وعرف للحال أنه اذا أراد أن يشق طريقه بنجاح في صناعة الادمغة الالكترونية فان وادي سيليكون هو المكان.

عام ١٩٨٢ قدم الى كاليفورنيا مع زوجته مارتين وابنتيهما وفي جيبه ٢٠٠٠ دولار. وكان يحمل تأشيرة دخول، لكنه لم يستطع قبل مغادرته فرنسا الحصول على "البطاقة الخضراء" التي تخوله حق الاقامة. ومن دون هذه البطاقة لا سبيل الى العمل لدى شركة كبرى. والى ذلك فهو غير قادر على العودة الى فرنسا حيث منزله، لافتقاره الى المال اللازم للسفر.

اقامة غير مشروعة. بدافع اليأس تفتق لكان حل عملي رائع: سينشىء شركة خاصة به. وفي مايو (أيار) ١٩٨٣ أسس شركة "بورلاند انترناشونال." وصعب عليه في بادىء الأمر تدبر المال الضروري للتأسيس، لكنه وجد شريكاً بارعاً اسمه سبنسر أوزاوا، وهو أمريكي ياباني هاجر جده الى الولايات المتحدة. كان أوزاوا يبيع الادمغة الالكترونية في النهار ويساعد ليلاً في ادارة مطعم. كما عمل في بيع زيت السمسم عبر طلبات بريدية. ورأى الرجلان أن نظام الطلب بالبريد قد ينجح اذا اعتمد في ترويج البرامج الالكترونية. فبدأ كان يدرس السبل الممكنة، فلفت انتباهه ما ذكره أحد المؤلفين عن الدافع النفساني الى الشراء، موضحاً أنه من المرجّح أن يشتري الناس سلعة مسعّرة بأقل من ٥٠ دولاراً أو بأقل من ١٠٠ دولار. وأصبح هذا المبدأ أساس خطة التسعير في شركة "بورلاند."

كانت "بورلاند" في حاجة الى دعاية للانطلاق في البيع وتسليم الطلبات بواسطة البريد. لكن صفحة الاعلان في مجلة خاصة بالادمغة الالكترونية تكلف نحو ٨٠٠٠ دولار. فتعين على كان وأوزاوا اقتراض المال لكي يتمكنا من الاعلان عن مشروعهما. وفي سبيل ذلك أجريا عملية تمويه قديمة. فدعوَا مندوب احدى المجلات المتخصصة بالادمغة الالكترونية الى مكتب الشركة وطلبا من بعض الصديقات أن يمثلن دور السكرتيرات كما سألا اصحابهما أن يجروا اتصالات هاتفية وهمية خلال وجود ممثل الشركة لديهما، وحضّرا لائحة بأسماء مجلات الدماغ الالكتروني الكبرى مع بيان بخطة اعلان

كاسحة، ووضعا اللائحة والبيان على طاولة بحيث تُرَيان جزئياً.

وصل المندوب فبادره كان محتجاً بصوت عال أن ٨٠٠٠ دولار للصفحة سعر مرتفع جداً. واذا به يدعى لتلقي "اتصال من طوكيو" في الغرفة المجاورة. فاختلس كان النظر من خلال ثقب الباب، فرأى المندوب يحاول قراءة اللائحة الزائفة.

رجع كان فقال له المندوب: "سنعطيك سعراً خاصاً." لكن كان رفض العرض. وفي النهاية وافق البائع على أن ينشر أول أعلان لشركة "بورلاند" على الحساب. وقد أتاحت الطلبات التي انهالت على "بورلاند" نتيجة الاعلان دفع ثمنه وتغطية جميع النفقات الاخرى وإرصاد قسم من الارباح للعمل والتطوير.

ركّز نجاح "بورلاند" الانتباه على فيليب كان وسلوكه المثير وكلامه القتالي. وكشفت الدعاية أن اقامته في الولايات المتحدة مخالفة لقوانين الهجرة. لذلك صمم في أوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ على معالجة هذا الامر. فتعاقد مع "أشهر محامي شؤون الهجرة في سان فرنسيسكو" واصطحبه الى باريس التي رجع اليها وعائلته. وطمأنه المحامي الى أن القضية لا تتعدى تعبئة بعض الوثائق في السفارة الامريكية هناك.

مصادفة سعيدة. يوم الجمعة في أواخر الشهر أبلغت المسؤولة في السفارة الى كان أن عليه انهاء معاملاته قبل الحادية عشرة من صباح الاثنين، والا اضطر الى البقاء في باريس لثلاثة أشهر.

وتفحصت الموظفة أوراقه ثم قالت: "أرى أنك عشت في سويسرا، فأين شهادة دائرة الشرطة؟" وهذه الشهادة هي للاثبات أن كان لم يرتكب جرائم خلال اقامته في سويسرا. حدث ذلك في وقت متقدم بعد الظهر. وعلم كان من القنصلية السويسرية أن وصول الشهادة من طريقها يستغرق ثلاثة أسابيع. ولكن في وسعه الاتصال هاتفياً بمكتب القنصلية في برن الذي سيقفل بعد دقيقتين.

استبد الهلع بكان فاتصل بسويسرا، فرد عليه موظف مرهق كان على وشك الانصراف الى بيته لكنه قبل على مضض أن يدقق في سجلات الشرطة بالدماغ الالكتروني. وسأله الموظف: "ما اسمك؟" فلما أجاب: "فيليب كان"، صمت الموظف لحظة ثم سأله: "فيليب كان؟ من شركة بورلاند؟ أنا أحد مستخدمي برامجك!" ووعده بابتهاج ان ينتظره في برن الساعة الثامنة صباح الاثنين ومعه الشهادة المطلوبة، ولكي يضمن كان عودته الى باريس قبل الحادية عشرة صباحا استأجر طائرة خاصة. كما أنه لم يتوانَ عن صرف المحامي القدير.

كادت هذه الهفوة القانونية أن تكلف رئيس شركة "بورلاند" غالياً. ويؤكد كان أن شركته تحتفظ بطابعها المميز واستقلاليتها حتى في فترة نموها وتطورها. ويضيف: "ان البرامج الالكترونية لا تصنعها لجنة، بل عدد قليل من الناس." وانسجاماً مع هذه الفكرة يعهد كان دائماً الى أقل من خمسة أشخاص في وضع تصميم لمشروع واحد.

شركة مساهمة. ان منتجات شركة "بورلاند" سريعة وسهلة الفهم ومفيدة، وهذا هو السبب الرئيسي لنجاحها. ومن برامجها الجديدة الاكثر اثارة برنامج "توربو لايتننغ"(٢) وهو تركيبة من قاموس ومصحح أخطاء مطبعية ومستودع معلومات يمكن طلبها بكبسة مفتاح. وهناك أداتان سهلتا الاستعمال هما "سايد كيك"(٣) و"ترافلنغ سايد كيك"(٤) توضعان على طاولة المكتب فتغنيان عن دفاتر الملحوظات والحاسبات ومفكرات أرقام الهاتف والمواعيد. ويمكن طبع المعلومات بواسطة "ترافلنغ سايد كيك" وحملها أثناء السفر ثم اعادتها لاحقاً الى مكانها. ويستخدم "توربو باسكال" على نطاق واسع كأداة للبرمجة بلغة "باسكال." وقد بيع منه نحو مليون برنامج حتى فبراير (شباط) ١٩٨٨.

ان فيليب كان في غاية السرور لأن الاثرياء الذين يوظفون أموالهم في المشاريع رفضوا أن يمدوه بالمال اللازم للتأسيس. انما لكي تنمو شركته وتتبوأ مركزاً مرموقاً فهو يحتاج الى رأس مال اكبر مما يستطيع اقتطاعه من الارباح. لذلك قرر أن يجعل من "بورلاند" شركة مساهمة للعموم في يونيو (حزيران) ١٩٨٦، وطرح ١٢،٥ مليون سهم للشراء في بورصة لندن. وأحد الاسباب التي حملته على طرح أسهمه في لندن الدعاية الاوروبية الممتازة التي عززت تسويق برامجه في القارة الاوروبية. ومكتب "بورلاند" في باريس هو المقر الرئيسي لتوزيع منتجاتها والعمل على زيادة مبيعاتها.

وينظر كان بكثير من التفاؤل الى مستقبل صناعة البرامج والادمغة الالكترونية. وفيما يتابع انتاج برامج مبتكرة قليلة الكلفة يتألق نجمه كاسفاً منافسيه. ولا يخفي كان غروره الذي يباهي به مازحاً أمام الصناعيين في وادي سيليكون. انها الجرأة التي يتسم بها "الولد الرهيب" في صناعة البرامج الالكترونية.

جاي ستولر ■

(٢) Turbo Lightning
(٣) SideKick
(٤) Traveling SideKick



سبحان الخالق!

برزت على وجه المحيط واحدة من اكثر ظاهرات غروب الشمس روعة وجمالا. جلسنا مسلوبي اللب فيما الالوان تتغير وتمتزج سويّة. وفي ذروة العرض الطبيعي مرّ بنا زوجان آخران. وقال الرجل متأملا: "عندما ينتهي هذا العرض قد تحدوكم رغبة على الوقوف والتصفيق للفنان."

فرفعنا ابصارنا الى السماء وصفّقنا.

أ.س.

أَكْبَرُ سَمَكَةٍ فِي البَحْرِ

قد يكون كتاب "جوز" اكبر قصة بطلتها سمكة ...امنا. وحيث تثير اهتمامنا اعاجيب الاعماق هذه تأتي ...لحقيقة لتفوق الخيال غرابة

كان الغطس الآلي في اعماق بحر المرجان، بعيداً من الرصيف الاوسترالي الكبير، نزهة ممتعة قبل محاولتي الماشرة، إذ قرش املس اشهب، يربو طوله على مترين ونصف متر، انبرى لي فجأة من اللجة الزرقاء الشفافة على عمق عشرة امتار. كان فمه كبيراً بحيث يقطع رأسي بضربة، وعيناه البالغتا الصغر تتوهجانِ بلمعان مخيف. فتملكني الذعر وانكفأتُ راجعاً نحو الرصيف وقد اخذ قلبي بالخفقان الشديد.

لم تُعِرْني البهيمة المخيفة انتباهاً وهي تنسل قربي بتكاسل. فوجدتني منشدهاً بإزاء جمالها ورشاقتها. فامامي اكثر الوحوش فتنة رأتها عيناي، وفهمت أن عليّ ان اكتشفه اكثر.

سرعان ما استبنتُ أن القرش مختلف جداً عن ذلك الذي تصوّره الكتب والافلام كفاتك غبيّ بالبشر. وتذكرتُ ما قاله صاموئيل غروبر، العالِم الأحيائي المتخصص بسمك القرش في جامعة

ميامي بفلوريدا: "اسماك القرش تشبهنا من بعض النواحي بشكل ملفت للنظر، ومن نواحٍ اخرى هي الاكثر غرابة في التصرُّف من كل مخلوقات الخيال العلمي."

وفي وقت تواجه بعض انواع القرش خطر الانقراض، يعتبر علماء كثيرون القرش كواحد من اهم انجازات الطبيعة بل كآية فيسيولوجية بدأت معظم اسرارها الآسرة تنجلي الآن. فلولا القرش لاكتظت المحيطات سريعاً بالاحياء المائية واخلّت بالتوازن الكامل القائم في الطبيعة. كذلك اظهرت لنا المكتشفات العلاجية الحديثة كم في وسع اسماك القرش ان تساعد على انقاذ حيوات بشرية.

مانع السرطان. يتمتع القرش بسلامة صحية مذهلة. فحتى جروحه الاكثر بلوغاً تندمل بسرعة في منأى عن عدوى الجراثيم. واحد جوانب هذا السرّ يكمن في جهازه المناعي. فدم القرش يحوي اجساماً مضادة تستطيع بنجاح ان تصارع اعداداً كبيرة من الاعداء، ليس الجراثيم والفيروسات فحسب بل ايضاً بعض المواد الكيمية التي قد تقتل كائناً بشرياً.

فضلا عن ذلك، تُصنَّف اسماك القرش في عداد الكائنات القليلة على الارض التي يكاد السرطان لا يطاولها ابداً. فقد حاول كارل لوور، العالِم بالكيمياء الحيوية في مختبر "موت" البحري في مدينة ساراسوتا بفلوريدا، إطعام بعضها مادة محدِثة للسرطان تُدعى "افلاتوكسين" وتستخرج من عَفَن الذرة والفول السوداني وغيرهما من المحاصيل الزراعية. وورد في تقريره: "أننا لم نتمكن بعد قرابة ثماني سنوات من احداث ورم وان بسيطا في جسم قرش."

يُعتبر الهيكل العظمي الجبار للقرش، المكوّن بكامله من مادة غضروفية، المانع الاقدر لحدوث السرطان في جسمه. وقد اكتشف روبرت لانغر، وهو مهندس كيميّ في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا بمدينة كمبردج، أن احد مقوِّمات غضروف القرش يمنع الاوعية الدموية من النموّ وتغذية الاورام. وهو يجرب الآن مع يهوذا فولكمان الجرّاح في مستشفى الاطفال في بوسطن بولاية مساشوستس، هذا المقوِّم ضد اورامٍ عدة في حيوانات مخبرية، الامر الذي قد يساعد ذات يوم الناس المصابين بالسرطان. وثمة مادة كيمية مستخرجة من غضروف القرش تُجرَّب على الجلد الاصطناعي كعلاج مستديم لضحايا الحروق. وتستمر الدراسات حول عدسة عيّن القرش لاستقصاء السبب الذي يجنّب الحيوان حالات الإعتام (السُّدّ) كلما تقدَّم في السن، ولا يقينا منها نحن البشر، مع ان مسلك الشيخوخة هو واحد عند النوعين.

سندويشات تحت الماء. الدافع الاكبر الى ارساء شهرة القرش المتعطش الى الدم هو كتاب بيتر بلانشي الرائج "جوز" الذي نشر في العام ١٩٧٤ وانتج منه فيلم سينمائي في العام التالي. ومع ذلك يقول الخبراء الحقيقيون ان كتاب "جوز" قد يكون اعظم قصة

تتناول حياة سمكة في عصرنا. وتقول اوجيني كلارك استاذة علم الحيوان في بارك كوليج بجامعة ماريلاند، بعد ان كرّست ٣٠ عاماً لدراسة اسماك القرش: "انها شديدة الجبن، وكان ينبغي لي ان اكون هادئة جدا حتى لا تجفل."

والاحصاءات، بدورها، تتهم "جوز" بالكذب. فأسماك القرش تجرح في العام نحو ١٠٠ شخص فقط في انحاء العالم، وقد تقتل ٢٥. وعلى اعتبار ان مئات ملايين الناس تسبح في المحيط كل عام، يكون احتمال ان يغدو السابح لقمة سائغة بين شدقي قرش واحداً من اصل خمسة ملايين. وكان بعض الاختبارات قد اظهر أن القرش يعير قليلَ انتباهٍ الدمى البشرية التي ترتدي بذلة سوداء مخضلّة، لكنه يهاجمها بسرعة اكبر اذا أُلبست صُدرة نجاة برتقالية اللون، كتلك المعتمدة دوليا. ويدعو خبراء القرش هذا اللون، على سبيل السخرية، "الاصفر اللذيذ."

مثبتتان في ذراعيْ امتداد على بعد اكثر من متر بين الواحدة والاخرى. اما القرش "الحوتي" الانف فهو اكبر الاسماك في البحار (الحوت الحقيقي اكبر منه، ولكنه حيوان ثديي وليس سمكة) اذ يبلغ طوله طول شاحنة لنقل الحاويات.

في الطرف الآخر من السلم مخلوقات هشة بحجم سكين التشريح. منها واحد يُطلق عليه اسم "قاطع الكعكة" ويعيش بقضمه اجسام الاسماك الاخرى قضمات دائرية متقنة. ومنذ بضع سنوات فوجئت البحرية الامريكية بوجود ثقوب ظاهرة في مطاط قبة السونار(★) . فلقد كانت "قَطَعَةُ الكعكة" الغامضة تعمل فيها قضماً.

عندما تعضّ سمكة القرش فان دزينة من الاسنان قد تنقلع من فكيها. لكنّ صفاً جديداً منها ينبت ليأخذ مكان القديمة. ويؤمّن هذا السَّير المتحرك من الاسنان لسمك القرش ادوات قاطعة صلبة في كل الاوقات.

قطّاعة الكعكة. يعتقد ان اسماك القرش كانت تجول وتصول في المحيطات منذ ٤٠٠ مليون سنة، قبل ظهور الدينوصور بدهور. وخلال تاريخها الطويل تطوّرت الى اكثر من ٣٥٠ نوعاً – بعضها مختلف عن بعض كاختلاف الفأرة عن الفيل. فالقِرش "الدّرّاس" له ذيل بطول جسمه، والقرش "الملائكي" عريض الجسم مثل السمك المفلطح، و"ابو المنشار" له انف يشبه سلسلة المنشار الآليّ، ولـ"ابي المطرقة" رأس من اغرب الرؤوس في عالم الحيوان، فعيناه

الحاسّة السادسة. تُعتبر الاعضاء التي تصل اسماك القرش بعالمها الخارجي من بين الاكثر اتقاناً وإحساساً. فهذه الاسماك يُطلق عليها احيانا اسم "الانوف السابحة" لانها تستطيع أن تلتقط رائحة الدم او اللحم المتحلّل حتى عندما تكون مذابة في الماء بنسبة جزء في المليون.

وتتمتع اسماك القرش ايضاً ببصر خارق، وبعض انواعها ينعم بإبصار ليلي افضل من إبصار الانسان. ولها سمع دقيق

(★) جهاز لاكتشاف اجسام تحت الماء بوساطة انعكاس موجات صوتية منها اليه.

جدا. فمن بُعد عدة مئات من الامتار تستطيع ان تشعر بالخفقان السريع والمتقطع لحيوان شريد في خطر فتنقض عليه رأساً، او تشعر بلطخة نفايات رميت من على متن سفينة، او حتى بارتجاج ريشة طائرة مروحية.

وكأن كل هذه القدرات ليست بكافية، أعطي سمك القرش حاسة سادسة. فهو يقدر ان "يرى" الكهرباء. فعضلات كل الحيوانات تُشِعّ اندفاعات كهربائية، وهذه الموجات تنتقل جيداً في المياه المالحة. وهكذا، على غرار رؤية "سوبرمان" بوساطة الاشعة السينية (اكس) يتيح جهاز الاحساس لسمك القرش ان يتعرف على الفريسة التي لولا ذلك لظلت مختبئة.

بعض اسماك القرش يقوم برحلات الى مسافات بارزة. والانواع الاكبر، مثل القرش الازرق، تتبع تيارات المحيط في مسارات منتظمة يربو طولها على ١٦٠٠٠ كيلومتر. والقرش الشبيه بالثور يخرج من المحيطات الى مجاري الانهار.

لجسد القرش لدانة تمكّنه من الانثناء في دائرة كاملة، حتى ان النوع الرحال يمكنه ان ينجز قفزات لولبية تدفعه قدُماً بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة. وبخلاف اسماك اخرى عدة يحوي جسمها اكياساً هوائية تساعدها على السباحة، فان القرش اخفّ قليلا من الماء بحيث يتعين عليه ان يظل متحركاً والا "انهار" وغرق.

الانسان هو اكبر عدو لسمك القرش. ففي كل عام نصطاد نحو ١٠٠ مليون سمكة يُحوَّل معظمها طعاماً. ومع ان شجرة عائلة بني قرش هي ذات تاريخ اعرق بمائتي مرة من تاريخ بني آدم، فان بعض انواعها - كالقرش الدّرّاس والقرش الازرق الصياد الصالحين للأكل - تُستثمَر على نطاق تجاري. ولأن اسماك القرش تنمو ببطء ولا تنتج الا بضعة اولاد فقط، فانها عرضة للانقراض اكثر من انواع السمك الاخرى.

قد يفرح اناس كثيرون لدى سماعهم ان بعض اسماك القرش مهددة بالزوال، "هؤلاء - كما يشرح غروبر - لا يعون أن هذه الاسماك هي في لغة علماء البيئة رأس الضواري، وبصفتها هذه تؤثر في كل فرائس البحار. فهي تجعل قاع البحر نظيفاً، ومن دونها ستمتلىء محيطات الارض بالاسماك العليلة او النافقة او المتحللة، فيما السليمة، الصالحة للاكل، تستنفد كل مواردها."

يتحدث جون ماك كوسكِر، مدير متحف ستاينهارت في اكاديمية العلوم بكاليفورنيا، باسم عدة علماء حين يقول: "هذا المخلوق العظيم هو صديق الصيادين بل اكثر. لقد كان جزءاً حيوياً من محيطات العالم خلال مئات ملايين السنين ونحن في حاجة اليه!".

نويل فيتَماير ■

نادراً ما نجد اقصر مسافة بين نقطتين في... الخطب.

ج.ب.

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنطوي على معاني الحرب والقتال. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **هيجاء:** ريح رملية – حرب – غضب – ناقة جموح.

٢. **مغوار:** متهوّر – جبان – صاحب نخوة وغيرة – كثير الغارات.

٣. **قنا:** رمح – عبيد وجوار – جدول – سيف.

٤. **أوزار:** دروع – ملابس – أثقال – قادة وضباط.

٥. **معقِل:** سجن – ملجأ – ذو عقل راجح – قضيب خيزران.

٦. **يتساجلان:** يتفاهمان ويتفاوضان – يتناديان – يشتكيان – يتباريان.

٧. **تضرَّج:** تسلَّح – سقط صريعاً – تلطَّخ واحمرَّ – هجم.

٨. **حِمى:** ما يُحمى – حماسة – مأمن – شدة القتال.

٩. **مقدام:** شجاع – سيد القوم – محنَّك – ثابت القدمين.

١٠. **مدجَّج:** جريح – منتفخ غضباً – لابس سلاحاً – ثقيل.

١١. **عقر الدار:** أعلاها – وسطها – حولها – أجمعها.

١٢. **مِراس:** رأس – رسن الفرس – خندق – شدة وقوة.

١٣. **صَوْلة:** جولة – امتطاء دابة – ضربة – صرخة حادة.

١٤. **ذِمار:** أخلاق – تذمُّر – دمار – حَرَم وأهل وما يُحمى.

١٥. **دائرة:** ترس – ساحة المعركة – نائبة داهية – كتيبة.

١٦. **وغى:** ظلام – حرب – غبار متطاير – حشد متدافع.

١٧. **بيرق:** علم – مدفع – لمعة السيوف – خنجر.

١٨. **جحفل:** فارس – جيش كثير زاحف – سرج.

١٩. **سِنان:** لجام – حد السكين – سارية – نصل الرمح.

٢٠. **حَصين:** مستتر – عالٍ – منيع – قليل الكلام.

٢١. **غِمار:** حرائق – شدائد – حراب – أكاليل غار.

٢٢. **وطيس:** حرّ – معركة – طعنة قاتلة – دماء الجرحى.

٢٣. **إجهاز:** إتمام القتل – مبارزة – تهيؤ – وقف القتال.

٢٤. **ميثاق:** قيد – وحدة صف – حبل متين – عهد.

٢٥. **كريهة:** موت – استسلام – داهية – اصابة.

الأجوبة

١. **الهيجاء:** الحرب. الهَيْج: الحرب والحركة والريح الشديدة.
٢. **المغوار من الرجال:** الكثير الغارات. فرس مغوار: سريع.
٣. **القنا:** الرمح. القناة: العصا والرمح. يقال "فلان صلب القناة" أي القامة.
٤. **أوزار الحرب:** أثقالها وآلاتها. يقال "وضعت الحرب أوزارها" أي انقضت.
٥. **المَعْقِل:** الملجأ. أيضاً: الجبل المرتفع.
٦. **يتساجَلان:** يتباريان ويتسابقان. يقال "الحرب بينهم سِجال" أي تارة لهم وتارة عليهم.
٧. **تضرَّج:** تلطخ، وخصوصاً بالدم. تضرج الخد: احمرّ.
٨. **الحِمى:** ما يُحمى ويدافع عنه. الحُمة: السم، والابرة التي تضرب بها العقرب ونحوها.
٩. **المقدام:** الشجاع الكثير الاقدام.
١٠. **المدجَّج:** اللابس السلاح لأنه يتغطى به، وهو من "دجَّجت السماء" أي تغيَّمت. يقال أيضاً "شاكّ في السلاح."
١١. **العُقر والعَقر:** وسط الدار أو أحسن موضع فيها.
١٢. **المِراس:** الشدة والقوة. يقال "هو سهل المراس" أي هيِّن المأخذ والمعالجة. وفي ضده يقال "صعب المراس."
١٣. **الصَّوْلة:** السطوة والقهر. أيضاً: الجولة والحملة في الحرب.
١٤. **الذِمار:** الحَرَم والأهل وكل ما يلزمك حمايته وحفظه والذود عنه وإن ضيعته لزمك اللوم. قيل سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له أي التغضّب له.
١٥. **الدائرة:** النائبة من صروف الدهر. يقال "دارت عليهم الدوائر" أي نزلت بهم النوائب والدواهي.
١٦. **الوغى والوغي:** الحرب. أيضاً: الصوت والجلبة.
١٧. **البيرق:** العَلَم. ومن أسمائه أيضاً الراية والعُقاب واللواء والبَند.
١٨. **الجَحْفل:** الجيش الكثير. الجحفلة: شفة ذوات الحافر.
١٩. **السِنان:** نصل الرمح.
٢٠. **الحصين من الاماكن:** المنيع. يقال "حصنٌ حصين" للمبالغة.
٢١. **الغِمار:** الشدائد. يقال "خاض غمار الحرب." غَمرات الموت: مكارهه وشدائده.
٢٢. **الوَطيس:** المعركة. يقال "حمي الوطيس" أي اشتدت الحرب.
٢٣. **الاجهاز على الجريح:** إتمام قتله.
٢٤. **الميثاق:** العهد. الوثاق: ما يُشد به من قيد وحبل ونحوهما.
٢٥. **الكريهة:** الشدة في الحرب. أيضاً: الداهية. ذو الكريهة: السيف الماضي.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول



يعلن هذا العالم الشهير أن المواد الاصطناعية التي تسبب السرطان ليست أكثر ضرراً من شطيرة زبدة

في العام ١٩٨٧ دعا حاكم كاليفورنيا جورج دوكمجيان عددا من ألمع العلماء في الولاية الى اجتماع لمباشرة تنفيذ "الاقتراح ٦٥" وهو قانون سلامة مياه الشفة ومراقبة السُمّية. فهذا القانون الجديد يحظر على الصناعات التخلص من النفايات الكيميائية التي يخشى أن تسبب السرطان أو أن تتسبب في ولادة أطفال مشوهين برميها في موارد المياه. ويدّعي البعض أن هذا القانون يفرض وضع ملصق تنبيهي على كلِ مادة منتجة قد تسبب السرطان.

وكان متوقعا ان يكون التخاطب في الاجتماع بلغة العلماء التي يعصى على سواهم فهمها. لكن بروس أيمس، رئيس دائرة الكيمياء الحية في جامعة كاليفورنيا في بركلي، قرر أن يفعم المباحثات بالحياة.

ولدى دخوله القاعة بنظارته الثنائية البؤرة ذات الاطار المعدني وبذلته المتغضنة وشعره الاشعث وبشرته الشاحبة التي تدل على أنه يقضي وقتا في المختبر أطول مما يقضيه تحت شمس كاليفورنيا، بدا أيمس كأنه مثال العالم الخالص. وفيما مضى أحدهم يتكلم عن

طريقة عمل المواد المسببة للسرطان بدأ أيمس يقحم آراءه الخاصة.

اعلن ان العالم مليء بالمواد المسرطِنة (١) أي المسببة للسرطان. فهناك الجعة التي تحتوي على "فورمالديهيد" بنسبة سبعة أجزاء في كل عشرة ملايين جزء، وخمسة أجزاء في المئة كحولا، وهذه اشد خطراً ألف مرة من اي شيء في الماء. فاذا بانت رائحة الجعة في نفسك، فهل يتحتم عليك أن تحذّر كل من يقترب منك مسافة ثلاثة أمتار؟

في هذا العصر الذي يعلن بعناوين ضخمة أحدث المخاوف من مسببات السرطان، تختلف نظرة أيمس فيعلن أن مستويات أكثر المسرطِنات التي هي من صنع الانسان هي اجمالا منخفضة الى حد أن خطرها يبدو تافهاً بالمقارنة مع مستويات المسرطنات الطبيعية.

فحص ثوري. ان أيمس ليس دجالا. فهو، في السن التاسعة والخمسين، أحد أهم المراجع المرموقة في الولايات المتحدة في ما يختص بالمسرطنات، وسجله حافل بشهادات التكريم، ومنها جائزة "تشارلز س. موت" من مؤسسة "جنرال موتورز" لابحاث السرطان، وهي احدى المنح المرموقة في مجال أبحاث السرطان، كما أنه عضو في الاكاديمية الوطنية للعلوم. حتى منتقدوه يثنون على طريقته المخبرية السهلة والقليلة الكلفة التي تساعد على معرفة ما اذا كانت مادة ما تسبب السرطان، ويعدونها انجازا رائعاً.

لكن أيمس لا يتورع عن مهاجمة الحرمات، كحركة حماية البيئة التي يعتبرها البعض أهم حركة اجتماعية في القرن العشرين. مثالا على ذلك، نشر واثنين من زملائه، هما ريناي ماغو ولويس سويرسكي غولد، في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تقريرا في مجلة "ساينس" صُنفت فيه المسرطنات المحتملة. وأظهرت المعلومات، استنادا الى اختبار نحو ١٠٠٠ من المواد الكيميائية على الحيوانات، أن الاستهلاك اليومي لشطيرة زبدة الفستق التي تحوي آثاراً من الـ"أفلاتوكسين"، وهو عفن مسرطن كائن طبيعيا في الفستق، هو أشد خطراً مئة مرة مما يدخل جسمنا من الـ"د.د.ت." مع الطعام. كذلك فان كأسا من ماء الابار الاكثر تلوثاً في وادي سيليكون الصناعي قرب سان فرنسيسكو هي ألف مرة أقل خطراً في تسبب السرطان من كأس خمر أو جعة. ان أيمس لا ينصح الناس بالامتناع عن تناول زبدة الفستق أو الشراب، ولكن ما يعنيه هو أن أكثرية العوامل التي تسبب السرطان والتي هي من صنع الانسان تافهة بالمقارنة مع الاخطار الطبيعية. وليس واضحاً كم من هذه العوامل يشكل خطراً حقيقياً. وكلا النوعين يحوّل انتباهنا عن عوامل الخطر الهائل الكامنة في التبغ مثلا.

بدأ أيمس أبحاثه في السرطان قبل ٢٥ سنة بتفحص كيس من رقائق البطاطس (البطاطا). فقد كان في حينه يجري أبحاثاً لمعهد الصحة الوطني في

(١) Carcinogens

ماريلاند وقرأ على الكيس أسماء العناصر التي تتكون منها الرقائق. فخطر له فجأة أن لا أحد يعرف ما تفعله كل مادة كيميائية بجينات الانسان الوراثية، وليست هناك طريقة سهلة للتوصل الى ذلك.

في ذلك الوقت كان على العلماء الذين يجرون اختبارات لمعرفة المواد المسرطنة، أن يلجأوا الى تجارب مخبرية عالية الكلفة وتستغرق وقتاً طويلا يجرونها على الجرذان والفئران. ولمعرفته أن الجراثيم حساسة للمواد التي تسبب التغيار الوراثي (٢)، وأن المسرطنات قد تكون مسببة لهذا التغيار، فقد طور أيمس فحصاً للمسرطنات اعتمد فيه الجراثيم. ولقي هذا الفحص ترحيباً كبيراً على أنه تطور علمي رئيسي، وهو يعتمد حالياً في أنحاء العالم.

ثمن العصرنة. ذات يوم عام ١٩٧٤، فيما كان أيمس يعلم في جامعة بركلي بكاليفورنيا، طلب من بعض تلامذته أن يفحصوا منتجات منزلية مختلفة. ولكم كانت دهشته حين اكتشف أن الكثير من صباغات الشعر العادية، ومادة معوقة للاحتراق في بيجامات الاولاد أظهرت نتائج ايجابية في الفحص. وبين ليلة وضحاها أصبح أيمس بطل حماية البيئة حين أدت اكتشافاته الى اصدار قوانين جديدة تحظر استخدام بعض المواد الكيميائية الضارة.

خلال العقد التالي استمر تصاعد الاهتمام العام بالمسرطنات. ويقول أيمس: "بدأت أدرك حينذاك أن أمراً ما لم يكن صحيحا". لان الفحص اثبت ايجاباً أن عدداً كبيراً جداً من المواد الطبيعية هي أيضا اما مسرطنات واما مسببات للتغيار الوراثي، كعصير الفاكهة والخردل الاسمر والكرفس والبقدونس. وأظهر الفحص لأيمس أن نصف المواد الكيميائية فعلا - الطبيعية منها والاصطناعية على السواء - تصبح مسببة للسرطان حين تعطى بكميات كبيرة جداً للجرذان والفئران.

لذلك قدّر أيمس أن فحصه خانه وأن النتائج لم تكن صحيحة. لكنه في الحقيقة لم يكن على خطأ، بل كان خطأه في اعتماده التقدير الساذج الذي كان سائداً والقائل بأن المواد الكيميائية المصنعة فقط قد تكون خطرة. وهو يقول الان: "لماذا نقدّر أن الطبيعة غير خطرة؟"

والحملة التي أيدت تنفيذ "اقتراح كاليفورنيا ٦٥" أقنعت أيمس بأن عليه واجب شرح هذا الامر للعموم. وهو يقول: "حين يزعم الناس أن علة ما عند الولادة سببها أن الماء يحتوي على جزء في المليار من شيء ما، أرى في ذلك كلاماً غير مسؤول، لانه يثير مخاوف الناس. فهناك دائما جزء في المليار من شيء ما في الماء."

وفي شهادته أمام لجنة لمجلس الشيوخ في كاليفورنيا أفاد أيمس أن ماء الشفة، على سبيل المثال، يحتوي على "كلوروفورم" مسرطن بمعدل ٨٣ جزءاً في المليار، ويرجع السبب الى التطهير بمادة الكلور. أما القهوة فتحتوي على مادتين من المسرطنات الطبيعية بمعدل ٤٠٠٠

(٢) Mutation

جزء في المليار، فيما يبلغ معدل الـ"فورمالديهيد" في الدم البشري ٣٠٠٠ جزء في المليار، متأتيا من الأيض الطبيعي (٣).

يعتقد البعض أن أيمس أداة تعمل لمصلحة الصناعات الكيميائية. انما ذلك ليس صحيحاً. فهو في الواقع لا يعمل مستشاراً لشركات الدواء والغذاء والمواد الكيميائية ولا لمكاتب المحامين، وهو لا يقبل هبات من المؤسسات الصناعية.

لكن أنصار البيئة يرفضون براهين أيمس مدعين ضرورة تجنب الناس التعرض لخطر المسرطنات ما أمكن. يقول كارل بوب من نادي سييرا ان أيمس "يرى من الواجب، بطريقة او باخرى، أن يكون هناك اختيار. فلو كان علينا أن نختار بين وجود الـ«TCE» (٤) في ماء الشفة والتثقيف العمومي حيال خطر التدخين، فربما كان على حق. لكننا لسنا مضطرين الى الاختيار."

ويرد أيمس: "لا أحد يرغب في أن ترمي كل شركة كيميائية نفاياتها في فناء الدار لكن الثمن الذي ندفعه للعيش في مجتمع عصري صناعي هو وجود اجزاء قليلة في المليار من المواد الكيميائية في الماء. ان التخلص منها ممكن، ولكن بكلفة مرتفعة جدا. واذا أضعنا وقتنا في ملاحقة الامور التافهة فقد يفوتنا الانتباه الى الاخطار المهمة."

(٣) Metabolism

(٤) مذيب يُرتاب في أنه مسبب للسرطان.

مارلا كون ■



وقت للحريق!

عندما اكتشفت امرأة ان النار تشتعل في منزلها استدعت رجال الاطفاء، وفيما هي مندفعة للخروج رنّ جرس الهاتف. ولظنها ان الاطفائية تتصل بها، عادت ورفعت السماعة. فجاءها صوت من الطرف الآخر يعرّف بنفسه أنه بائع.

فشرحت المرأة: "لا اقدر ان اكلمك الآن، فبيتي يحترق!"

من الواضح ان الرجل سمع جواباً كهذا في اتصالاته السابقة، فشرح بدوره: "لكن الامر لن يأخذ اكثر من دقيقة واحدة."

م.س.

مطلوب زوج لحفيدة

عندما انضم ابني الى مكتب النائب العام في احدى المدن الكبيرة طُلب منه ان يتوجه بالحديث الى مجموعة من المواطنين الاكبر سناً. فتكلم على اساليب الخداع المرتكبة ضد المتقدمين في السن، وكان مسروراً حقا في نهاية حديثه لشعوره بان الراشدين بدوا مهتمين بالموضوع. وقبل انصراف المجموعة قالت له احدى النساء: "عندي لك حفيدة، فهل انت متزوج؟"

ر.ك.

ضَمِيرُ العَالَم

في عامها الخامس والعشرين بعد المئة تتابع هذه المنظمة الانسانية مساعدة الذين لا يساعدهم أحد



أوغندا عام ١٩٨٤:
توزيع الحبوب على المهجرين.

في المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الاحمر في جنيف يتحلق الاعضاء حول طاولة مؤتمرات في غرفة الاجتماعات الكائنة في الطبقة الثانية لدراسة التقرير اليومي الذي يرد في التاسعة صباحاً من فريق العمليات في افريقيا. افريقيا! حيث يدور أكثر من عشرة نزاعات، وحيث يواجه مئات الالوف من الناس المجاعة والموت، وحيث الالوف في الاسر، وحيث يعمل ما يقارب نصف عدد موظفي الصليب الاحمر الدولي، وحيث تصرف نصف موازنته السنوية.

الحاضرون، اضافة الى المندوب العام لإفريقيا جان دافيد شابوي، هم موظفون مكتبيون وخبراء في الطب والقانون والمواصلات. وهناك أيضاً اختصاصيون بأمور السجناء والمؤن الاسعافية والمسائل الاعلامية والعلاقات الحكومية وتطبيق معاهدات جنيف وتعقب الاشخاص المفقودين.

الموظفون المكتبيون يدونون ما يجري في مناطقهم. هنالك تقرير عن قافلة مواد غذائية لمئة الف شخص تغادر ماكيل في اثيوبيا الشمالية. تعاوَد الجهود لتحسين وضع السجناء في تشاد. وفي السودان حاجة ملحة الى زيادة مخزون

المواد الغذائية. مسؤول طبي يصف الازدحام الشديد في المستشفى التابع للصليب الاحمر الدولي في كينيا الشمالية.

هذه هي اللجنة الدولية للصليب الاحمر، "ضمير العالم" الذي يساعد ليس الذين يتمتعون بعطف العالم فحسب، بل أيضاً الذين لا يجدون من يساعدهم. ان اللجنة الدولية للصليب الاحمر، مع تحالف منظمتي الصليب الاحمر والهلال الاحمر والجمعيات الوطنية المماثلة، تشكل حركة الصليب الاحمر والهلال الاحمر الدولية، مهمتها مساعدة الضحايا المدنيين والعسكريين الذين خلفتهم النزاعات والحروب في أنحاء العالم، والتأكد من أن القواعد العالمية تراعى في معاملتهم. وهذه القواعد تعرف مجتمعة باسم "معاهدات جنيف." تعالج المرضى والمصابين وتطعم الجياع وتساعد المضطهدين وتزور السجناء وتجمع شمل العائلات.

أعمال شاقة. لقد زادت مسؤوليات اللجنة الدولية للصليب الاحمر التي بلغت عامها الخامس والعشرين بعد المئة. فالخضات الناتجة من العنف السياسي في العالم زادت من ٤٧٥ عام ١٩٨٠ الى ٣٤٤٢ عام ١٩٨٧. وكانت اللجنة فاعلة في ثمانين بلداً عام ١٩٨٨، في مقابل ٣٤ بلداً عام ١٩٧٨.

ولدى اللجنة ٣٦٠٠ شخص يعملون في مكاتبها المختلفة في انحاء العالم، بينهم ٦٠٠ في المقر الرئيسي في جنيف. وفي شرع اللجنة، ان على الاعضاء الميدانيين أن يكونوا من حملة الجنسية السويسرية لتأكيد حيادهم الذي يخولهم العمل في مناطق النزاعات. وقد بلغ عددهم ٥٠٠ وهم يعملون في مناطق خطرة ومتوترة في أنحاء العالم.

يقول مارتن فوهرر رئيس قسم التطويع: "نحن نحتاج الى أشخاص يجمعون المثالية الى المنطق، أشخاص يمكنهم مواجهة الامور الرهيبة من دون اظهار تعاطفهم مع الضحية." ومن بين ٤٠٠٠ طلب للالتحاق تتلقاها اللجنة سنوياً، تختار ٢٠٠ مجند تشكل النساء ثلثهم.

يقول كريستيان فوتش (٣٣ سنة) الذي يعمل حالياً محامياً في برن وكان لبنان أول مركز ألحق به: "ان العمل للجنة الدولية للصليب الاحمر هو أكثر صعوبة مما كنت أعتقد. كانت الاشتباكات في كل مكان. شاهدت الكثير من الدماء والجرحى وشعرت بخوف شديد." وقد تابع فوتش عمله في اوغندا والعراق والاراضي العربية المحتلة في فلسطين.

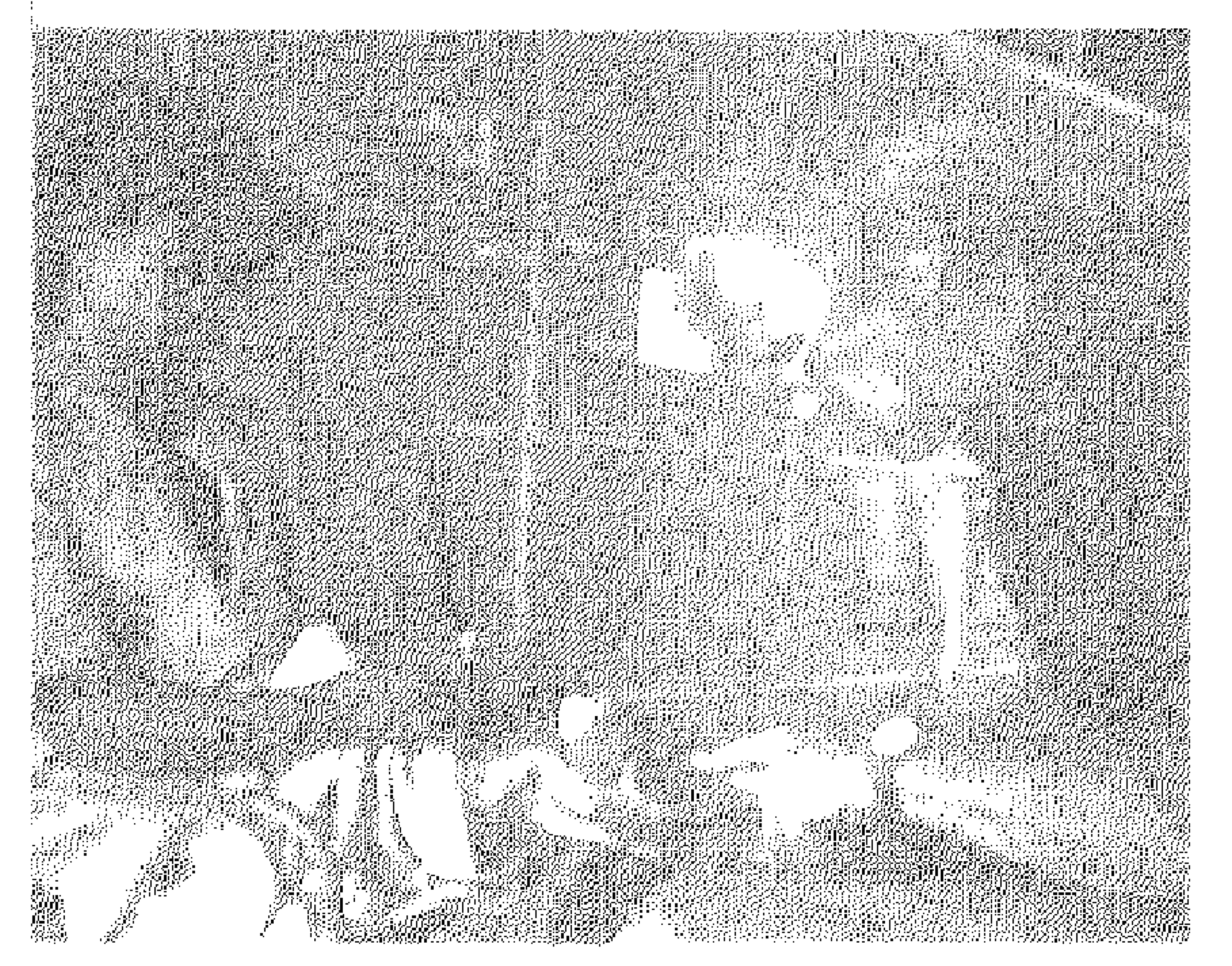
يقول روجر سانتش من دائرة التوظيف في اللجنة: "ان الاعمال لدينا شاقة، لكن ما نقدمه لا يمكن الحصول عليه في أي مكان آخر. يعيش مندوبنا في البلد على أسس خاصة جداً، فهو يعرف تماماً ماذا يحدث في الساحة السياسية وفي أي مكان آخر."

زيارة السجون. أما الخيبات في متابعة مهمة اللجنة فتناقش في الاجتماعات الاسبوعية للمجلس التنفيذي. رئيس اللجنة كورنيليو

سوماروجا يعطي أمثلة: "سري لانكا، حيث رفضت حكومة كولومبو الى مايو (أيار) الماضي السماح لنا بالعمل مع أن مساعدتنا كانت مطلوبة قبل ذلك بسنوات." مثال آخر هو كمبوديا حيث يسمح للجنة الدولية للصليب الاحمر ببعض النشاطات المحدودة ومعظمها طبية، ولكن لم يسمح لها بالوصول الى السجناء. وفي موزامبيق حاجات انسانية ملحة، "لكن عملياتنا الجوية في الداخل تعثرت لعدة أشهر بسبب عدم تأمين سلامتنا". ويقول الدكتور رامي راسبك الضابط الطبي الاول: "ان زيارة السجون هي أهم أعمال اللجنة اذ اننا نقدم الى السجناء ما لا يستطيع غيرنا تقديمه، وفي امكانهم أن يقولوا لنا ما لا يستطيعون قوله لأحد غيرنا، كما يستطيعون الاتصال بعائلاتهم عبرنا."

ويشرح سوماروجا: "تضع اللجنة شروطاً واضحة لزيارة السجون. إذا دخلنا سجناً فنريد أن نرى كل المحتجزين ونسجل أسماءهم مما يوفر لهم نوعاً من التأمين على الحياة. نريد أن يسمح لنا بالتحدث اليهم على انفراد وأن نعاود زيارتهم للتأكد من تحسن احوالهم. وفي كل بلد نؤكد للحكومة أننا لن نكشف عما نرى، فصمتنا المضمون هو الاساس الوحيد الذي يسمح لنا بموجبه أن ندخل السجون. لكننا نرفع الى الحكومة ذاتها تقارير عن الخروق المهمة التي نراها."

تبادل أسرى. ان حياد اللجنة والصمت الذي فرضته على نفسها جعلاها تتهم احياناً بالتغاضي عن انتهاكات فاضحة



L. Chessex / ICRC



Liliane de Toledo / ICRC

(فوق) السودان عام ١٩٨٤: مركز التجبير في كسالا. (تحت) انغولا عام ١٩٨٢: الممرضة ماري جوزيه برنييه في مركز طبي.

لحقوق الانسان. ويشير المنتقدون الى أن اللجنة الدولية لم تستنكر علناً، خلال الحرب العالمية الثانية، إبادة اليهود الاوروبيين على أيدي النازيين، وأنها لم تحاول مساعدة أسرى معسكرات الاعتقال على رغم علمها بالابادة الجماعية. أما المسؤولون في اللجنة فيقولون ان وعدهم بالكتمان هو ما يمكنهم من تقديم المساعدة في بعض الحالات.

في احدى دول أمريكا الجنوبية، مثلاً، نتج من زيارة اللجنة الدولية لاحد السجون انه سمح للمساجين بالخروج من زنزاناتهم الى نور الشمس للمرة الاولى منذ أربعة عشر عاماً. اما التعذيب الذي كان أمراً عادياً في سجون احد بلدان الشرق الاوسط فقد ألغي تقريباً بعد زيارات متكررة للجنة الدولية على مدى سنتين. نلسن مانديلا زعيم "حزب المؤتمر الوطني الافريقي" الذي زارته اللجنة الدولية في زنزانته في جنوب افريقيا طوال عشرين سنة، يقول ممتناً في الزيارات: "انها لا تأتي بالخير فحسب بل تمنع حدوث الشر أيضاً."

ويرتكز الكثير من عمل اللجنة على الاتصالات السريعة والموثوق بها بين المركز الرئيسي والمراكز الميدانية الموزعة في العالم. لذلك تم تطوير شبكة اتصالات لاسلكية تغطي انحاء العالم وتصل الوفود والمكاتب بمركز جنيف. وقد أدى مركز الاتصالات اللاسلكية في الطبقة العليا من المقر الرئيسي دوراً أساسياً في عملية تبادل الاسرى التي تمت عام ١٩٨٣، عبر اللجنة، بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي تبودل فيها ستة اسرى اسرائيليين كانوا في مدينة طرابلس في شمال لبنان بـ٤٤٠٠ فلسطيني كانوا محتجزين في جنوب لبنان واسرائيل. يقول نيكولاس سومر الذي كان يعمل وقتذاك في قسم الاتصالات وهو اليوم رئيس دائرة المنشورات: "كانت الاتصالات من موفدي اللجنة الدولية تنصب على جنيف من بيروت وطرابلس وتل ابيب على مدى عدة أشهر. لم يكن أي من الطرفين يثق بالآخر. لم يكن هنالك أي اتفاق متبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير. كان هناك اتفاقان ثنائيان مع اللجنة الدولية للصليب الاحمر فقط.

كانت اللجنة الدولية في الوسط وعليها أن تؤكد للطرفين احترام الاتفاقين."

مهام أساسية. يرئس أندرياس لاندورف قسم الاغاثة في اللجنة الدولية وهو المسؤول عن توزيع الغذاء ولوازم المأوى. يقول عن مهمته: "يجب ان تشمل المساعدة ضحايا صراع ما، ويجب أن تكون عاجلة. وعلينا ان نؤمن ضمان وصولها الى الضحايا. المشكلة الحقيقية تتأتى من محاولتنا تدبّر الشاحنات الكافية والاطعمة والاطار التنظيمي في وقت قصير لمساعدة مئات الالوف من الناس في محنتهم."

في شباط ١٩٨٨، مثلاً، شحنت اللجنة ٩٠٠٠ طن من الاطعمة الى اثيوبيا. يقول

كورنيليو سوماروجا رئيس اللجنة الدولية

أوسكار شنايدر رئيس قسم النقليات: "من الصعب تصور الكميات التي نتحدث عنها. عندما تدرك ان شاحنة كبيرة واحدة تحمل ٣٠ طناً، ثم تتخيل اكثر من ٤٠٠ شاحنة تسير على الطريق في محاولة للوصول الى القرى النائية في اثيوبيا وتوزيع حمولتها هناك على نحو عادل، تكون أدركت شيئاً عما نفعله."

إن بعض المؤن التي توزعها اللجنة الدولية هي هبات، لكنها احتاجت الى مبلغ ٢٣٤،٨ مليون فرنك سويسري نقداً عام ١٩٨٧. القسم الاكبر من هذا الدخل (١٨٦،٥ مليون فرنك سويسري عام ١٩٨٧) يتألف من هبات تقدمها حكومات. وعلى رغم أن مجموع الدول الاعضاء في معاهدات جنيف يبلغ ١٦٥، فإن ٨٤ دولة فقط ساهمت في الموازنة عام ١٩٨٧. المتبرع الاكبر هو سويسرا التي قدمت ٥٣،٣ مليون فرنك سويسري عام ١٩٨٧ بينما قدمت الولايات المتحدة الامريكية ٤٥،٥ مليون فرنك سويسري. الاتحاد السوفييتي لا يساهم بشيء ومستويات التبرع للدول الاخرى تتفاوت كثيراً.

وبصرف النظر عن المبلغ الذي يتبرع به بلد ما، فإن اللجنة الدولية للصليب الاحمر تتخذ موقفاً حيادياً. ذلك الحياد كان من المسلمات الاساسية التي بنى عليها هنري دونان منظمته، وهو المصلح والمحسن السويسري الذي أسس الحركة بأسرها. كان دونان قرب مدينة سولفيرينو الايطالية عام ١٨٥٩ عندما وقعت معركة هناك بين النمسويين والبيدمونتيين الفرنسيين نتجت منها احدى أبشع المجازر التي عرفها الناس في ذلك الوقت. ذعر دونان من مرأى ألوف الجرحى من الطرفين وقد تركوا ليموتوا نزفاً أو عطشاً أو جوعاً. وانتهت اقتراحاته لمساعدة ضحايا الحرب في الصراعات المستقبلية بتشكيل "لجنة الاغاثة الدولية للجنود الجرحى" وهي سَلَف اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

آفاق جديدة. في العام ١٨٦٤ عقد مؤتمر ديبلوماسي اجتمع فيه ممثلو ١٦ دولة لصوغ "معاهدة جنيف لتحسين أوضاع الجرحى العسكريين في ساحة المعركة." وقد صدر عن المعاهدة المبدأ الرئيسي القائل بوجوب الاعتناء بالجنود المرضى والجرحى بصرف النظر عن جنسياتهم، واعتبار الذين يعتنون بالجرحى حياديين، ووجوب حمايتهم.

ان البنود العشرة لمعاهدة ١٨٦٤ تضاعفت في ما بعد الى ٤٠٠ بزيادة بعض الاحكام التي تتعلق بحروب البحار وحماية البحارة ومعاملة السجناء. كما أضيف اليها عام ١٩٤٩ بند حماية المدنيين في زمن الحرب.

إن معاهدات عام ١٩٤٩ فتحت آفاقاً جديدة بتوسيع الحماية على أن تشمل جميع النزاعات المسلحة، حتى غير المعلنة، وبعض الصراعات الداخلية. والبروتوكولات الاضافية التي أقرت عام ١٩٧٧ شملت أنظمة للحروب لمنع المعاناة التي يمكن تفاديها ومنح المدنيين حماية أكبر.

تمثل ماري جوزيه برنييه الشجاعة والالتزام اللذين جعلا من اللجنة الدولية

للصليب الاحمر أسطورة. لقد خدمت كممرضة لمدة أربع سنوات في بعثات عدة في لبنان وأنغولا واندونيسيا وموزامبيق. وفي أنغولا أسرها الثوار ووضعوها في سجن انفرادي لمدة اربعة أشهر.

بعد اطلاقها وخدمتها في اندونيسيا عادت ماري الى افريقيا لاجراء دراسة عن الاوضاع الغذائية والصحية. وخلال احدى جولاتها تعرضت الطائرة الصغيرة التي كانت تنقلها من قرية الى اخرى لنار اسلحة اوتوماتيكية، فاصيب الربان في ذراعه وأصيبت في ساقيها. وقد ساعدت الربان في قيادة الطائرة أثناء رحلة العودة كما تولت عملية الهبوط.

تبع ذلك الحادث سنة ونصف سنة من المعالجة، اصيبت برنيبيه اثناءها بشلل موقت وقاست ألماً مبرحاً.

أما اليوم فتجري ماري أبحاثاً حول العناية الاساسية بالصحة في جامعة جنيف وفي غينيا - بيساو وافريقيا الغربية. وعندما يسألها أصدقاؤها ان كانت تنصح بالعمل للجنة الدولية للصليب الاحمر تجيب بهدوء: "أنا دائماً أنصح الناس بذلك. العمل خطر، ولكن من المهم لنا نحن السويسريين الذين نعيش حياة آمنة، أن نحظى بتلك التجربة، فنرى حياة الآخرين ونكون مفيدين في آن."

هنالك أربع شهادات ذات أطر ذهبية معلقة على حائط المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الاحمر. تمثل احداها أولى جوائز نوبل للسلام، وهي منحت لمؤسس اللجنة هنري دونان عام ١٩٠١. وتمثل الاخريات جوائز نوبل للاعوام ١٩١٧ و١٩٤٤ و١٩٦٣ التي منحت لاعمال المنظمة الدولية من أجل السلام. لم تحظ أي منظمة أخرى بالجائزة أكثر من مرتين، وهذا يثبت بقوة أن اللجنة الدولية للصليب الاحمر تستحق اعجاب العالم لاظهارها اهتمام الانسان بأخيه الانسان.

جدسون غودنغ ■



"تشالنجر" والوقائع البسيطة

كان ريتشارد فاينمان، رابح جائزة نوبل في الفيزياء، رجلا حصيفاً عُيِّن في هيئة المحلّفين المكلفين تحديد الخطأ الحاصل في تلك الثواني المروِّعة التي تلت انطلاق المركبة الفضائية الامريكية "تشالنجر." ويمكنك أن تتصوّر المقدار الكبير من المعلومات التي تُقدَّم اليك اذا كنت عضواً في لجنة كهذه.

ماذا عمل فاينمان؟

خلال استراحة للهيئة غطّس اللوازم التي صُنعت منها الحلقات الدائرية للمركبة في حاوية مليئة بماء الثلج. ففقدت اللوازم الكثير من مرونتها، وبالتالي من ملاءمتها للمهمة. لا هبات حكومية. لا بيروقراطية مغرورة. مجرد وقائع بسيطة واضحة.

اليوم تعزى مأساة "تشالنجر" الى وهن تلك اللوازم في الطقس البارد.

ل.س.

اصداء من عالم الطب

فحوص الكولسترول

ان فحوص الكولسترول ليست بالدقة التي يتصورها كثيرون. ففي تقرير لـ"مركز العلم للفائدة العامة" في واشنطن أن نتيجة فحص واحد قد تأتي بنسبة ١٥ في المئة أعلى أو أدنى من مستوى الكولسترول الحقيقي لدى أي شخص.

يقول الدكتور إيرفنغ أكرمان طبيب الامراض الداخلية والعالم بالغدد الصّم في مستشفى "كايزر برمانينت" في لوس انجلس: "على رغم أن هناك فحوصاً كثيرة دقيقة، فان التباين في أحسن المختبرات قد يصل الى ١٠ في المئة."

ويرى الخبراء أن الطريقة الفضلى لمعالجة التباينات المحتملة هي في اجراء فحصين أو ثلاثة فحوص بفارق أسبوع على الاقل بين كل فحصين. فمستويات من ٢٤٠ مليغراماً وما فوق تعتبر مرتفعة، ومستويات من ٢٠٠ الى ٢٣٩ تعتبر الحد الفاصل، وما دون ٢٠٠ مليغرام هو المستوى المرغوب.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

علاج الفك

ان علة المفصل الفكي الصدغي(١) التي صُرف النظر عنها في السابق على أنها اعراض وهمية، يُعترف بها الآن كمشكلة حقيقية تبتلي ملايين الناس في مرحلة ما من حياتهم. وهذا الاعتلال المؤلم الذي يصيب مفاصل الفك وعضلاته قد ينجم عن عضة خاطئة (سوء انطباق الفكين) أو ضربة على الفك السفلي أو التهاب المفاصل، أو حتى من جراء مضغ شيء قاس. واطباق الاسنان بشدة وصرّها هما سببان محتملان آخران. وأكثر ما يشتكى منه ألم في الرأس والرقبة والاذنين وأصوات طقطقة وتشنج في العضلات.

وقد تشمل المعالجة تناول الاطعمة الطرية والتدليك والتدفئة الرطبة بحسب ما يقتضيه السبب. ويمكن استخدام صفائح "أكريليك" للعض بهدف تخفيف صرير الاسنان أو اعادة الاقراص الزائحة الى مكانها في مفاصل الفكين. وفي الامكان وصف أدوية للألم وتشنج العضلات والاهتياج العصبي. كما يمكن اسداء النصح في شأن معالجة الاجهاد وطرق الاسترخاء التقنية.

وربما كانت الجراحة ضرورية لقلة من المرضى. وفي حالات أخرى قد يلجأ الاطباء الى تنظير المفاصل (٢) فيدخل أنبوب بصري رفيع في المفصل لتنظيف الفتات أو اعادة القرص الى مكانه أو نزع النسيج الميت. وهذه الطريقة أخف من الجراحة المفتوحة، وهي تخلف علامة في الجلد لا تتعدى حجم النمشة.

(١) Temporomandibular — joint syndrome

(٢) Arthroscopy

"تايم"

ليس أعذب من أن يسمع الأب كلمة اطراء من ابنه

«كنت عظيماً يا أبي»



جرت العادة أن تقام في المدرسة التي يتعلم فيها ابني مباريات في كرة السلة مساء كل يوم خميس يحضرها أولياء التلاميذ.

وأثناء احدى هذه الامسيات أبدى المدرب المسؤول عن التربية البدنية في المدرسة فكرة عفوية عن امكان تأليف فريق خاص بآباء التلاميذ.

وهكذا أصبحت عادة ان نجتمع ونلعب مساء كل خميس وسط تهليل الاولاد الذين ينال المدرب أكبر قسط من هتافهم.

وكنت في المنزل مع ابني حين قال لي بشعور متدفق من الاعجاب بالمدرب: "انه الاعظم." وكان قد سجل ما بين ٢٠ و٣٠ نقطة ضد فريق الآباء على رغم ذراعيّ الممدودتين كفروع الشجر لمنعه.

قلت لابني إني موافق أن يتخذ الولد أبطالا له غير أبيه. أما تفوق المدرب فهو أمر طبيعي لانه يتمرن يومياً. وأضفت: "انتظر حتى تكتمل لياقتنا البدنية، عندئذ سيكون في مقدورنا السيطرة على الخصم والتفوق عليه."

وتابعت متهماً المدرب بأنه لا يجيد المراوغة الى اليمين، فرد عليّ ابني ضاحكاً انه لا داعي الى ذلك. قلت انه بدين، فأجاب انه قوي. قلت انه أصلع، فرد وقد شرد للحظة: "لا، ليس أصلع بل قصة شعره مميزة."

عند هذا الحد شعرت بالانقباض. وأنّبتني زوجتي ملاحظة كم أنا ساذج لأن ابني ايفان كان يتحداني من

خلال المدرب. قلت: "حسناً، اذا كان الرجل كذلك فانا قادر على التفوق عليه في اللعب."

أخيراً تحسن أدائي، وكان هذا راجعاً من جهة الى استردادي لياقتي البدنية ومن جهة أخرى - وهذا الأهم - الى انني كنت أبذل قصارى جهدي لكي أفوز بتقدير ابني.

وبعد احدى المباريات خرجت من الملعب وارتميت في مقعد فقال لي ايفان انني تغلبت بمهارة على خصمي في الفريق الآخر. وكنت سعيداً أن أسمع منه أنني سجلت خمساً من ثماني محاولات، وحصلت على نقطتين استرداداً ونقطتين لقطع الكرة عند الخصم.

وانقضت مدة أعلن بعدها المدرب انه سجل فريقنا في الدوري الخاص لكرة السلة وان مباراة سوف تقام بيننا وبين أحد فرق الاتحاد التي ترعاها شركة كبرى.

وفي اليوم التالي عدت الى المنزل ومعي طقم كامل من ملابس الفريق الرسمية ذات اللون الأخضر.

كانت ابنتي داني أولى من رآني. وصرخت فرحة تطلب مني أن أجرب الملابس. وكان ابني جالساً على الكنبة يلاحقني بنظراته ويده على فمه يخفي بها ابتسامته. والتفتت زوجتي نحوي وقالت: "لا بأس. جربها." فما كان مني الا ان ارتديتها وأديت عرضاً أمامهم.

العائلة في الملعب. سألني ايفان لماذا اخترت الرقم ١٤ وليس الرقم ٣٣ الذي يستعمله باتريك يوينغ نجم الوسط في فريق "نيكس" النيويوركي. أجبته انني لا أظن انه يمكن تفصيل قميص باتريك يوينغ على قياسي أنا.

وبتملق سألتني ابنتي داني ان كان في وسعها الذهاب مع امها وشقيقها الى المباراة. أجبت بالنفي. فكانوا أول من ذهب الى الملعب الذي امتلأت مدرجاته.

سبقنا فريق الاتحاد الى الملعب، وتبعناه ونحن في ملابسنا الخضراء الزاهية. وانتظمنا في صف واحد بعدما أسقط كل فرد من الفريق كرة في السلة.

قال لنا المدرب: "لا أريد أن تتوتر أعصاب أي منكم. فابتسمت له عشرة وجوه متوترة.

سمعت ابني يهتف مشجعاً: "يعيش الفريق الاخضر!"

صفر الحكم معلناً ابتداء المباراة. كنت ضمن لاعبي الاحتياط عندما أحرز فريقنا الهدف الاول. لم أتمالك نفسي. هللت بقوة لألفت ايفان وداني الى أن كوني لاعب احتياط لا يقلل من حماستي.

وفي الدقيقة الخامسة من المباراة كنا متقدمين بثلاث نقاط عندما اشار اليّ المدرب صائحاً: الرقم ١٤ بدلا من الرقم ٣٥."

سمعت ابنتي داني تصيح: "هيا يا أبي."

وجاءت اليّ الكرة عبر تمريرة. وتحركت بها الى وسط الملعب. وبدا لي لاعبو فريق الاتحاد كأنهم أشباح أشجار وخلفهم لاعبو الملابس الخضراء رافعين أيديهم ملوحين نحوي. سمعت ابنتي تصرخ بانفعال ونظرات ابني على الكرة وعلى يديّ وعلى عنقي. مررت الكرة الى أحد زملائي الذي

كان في مركز حسن. فمال يميناً واتجه يساراً ليضع الكرة في السلة من زاوية سهلة.

هنا صرخ ابني: "لقد سجلت يا أبي نقطة كمساعد. عندئذ تذكرت عندما كنت ألعب في مباراة للصغار وقول أبي لي مشجعاً: "لا بأس... لا تستسلم."

هنا المباراة خلاف تلك تماماً. ان الذي يشجعني الآن هو ابني. شعرت بالغيظ يتملكني لأنني في معركة أحاول فيها التغلب على ضعف لياقتي البدنية، في حين كان يجب أن تكون معركة أتباهى فيها أمام من أكن لهم أكبر حب في حياتي.

ورجعت الى منطقة الدفاع للذود عن حرمتها أمام هجوم فريق الاتحاد.

جاءت تمريرة الى اللاعب الذي كنت أحرسه. فاعترضته بجسمي مرتكباً مخالفة وقحة. فهلل لي الانصار وصفر الحكم محتسباً خطأ على الرقم ١٣ للاعتراض. رفعت يدي ولوحت بها كما يفعل اللاعبون المحترفون.

تبادل أعضاء فريق الاتحاد نقل الكرة وتمكنت من تحويل تمريرة. وحصل تخاطف وتدافع وتمكن لاعب خصم تحت حراسة زميل آخر، من أن يسجل هدفاً. حمدت الله ان ذلك لم يكن بسببي.

جرينا ناحية الهجوم. وكنت في مركز متقدم لا حراسة علي. وجاءتني الكرة وأنا على خط قريب من السلة. وخطر في ذهني ألف سبب لكي لا أسقط الكرة في السلة. ولكن لم يكن أي منها ذا أهمية. فرفعت الكرة ودفنتها في السلة.

عندئذ سمعت ايفان يصرخ: "نعم... نعم..."

بعد ذلك خرجت وحل زميل آخر محلي.

كنا نسبق فريق الاتحاد بسبع نقاط عند انتهاء الشوط الاول. لكننا فزنا في النهاية بفارق أربع نقاط. وكان الهدف الوحيد الذي أحرزته عن بعد خمسة أمتار.

قرأ علي ايفان الاحصاءات التي خزنها في ذاكرته: ثلاث محاولات وهدفاً واحداً. نقطتين كمساعد. لا كرات مرتدة.

"كنت عظيماً يا أبي."

واندفعت ابنتي نحوي وحضنتني وقالت انني أتصبب عرقاً.

بعد ذلك ذهبنا لتناول المرطبات.

سألتني زوجتي: "كيف حالك؟" وكانت تعني هل ركبتاي ورسغاي على ما يرام.

ولكن في تلك اللحظة لم اكن أشعر الا بالنشوة. وكنت مسروراً للثقة التي عاودتني بنفسي وشعرت بحب عظيم لعائلتي.

ماذا تعلمت من المباراة؟

أن الاب ليس مضطراً الى أن يحوز أكبر عدد من الاهداف لكي يصير بطلا. وأن ولديّ تأثرا وقدّرا كفاحي وغفرا لي امكاناتي البدنية المحدودة أكثر مما يمكن أن أسامحهما أنا عليها. وأنه كان يجب عليّ أن أحاول أكثر تسجيل هدف عندما أكون غير مراقب.

بارني كوين ■

من تحليل نفساني: "هي مغرورة وأنانية الى درجة أنها تحتل مكاناً خاصاً في قلبها."

أرنو شيبارد

حصّالة النقود



منذ قديم الزمان فكر الإنسان في خزن حاجاته، وخصوصاً الغذائية منها، لمواجهة المجاعة. هذا التكديس للسلع، وما نجم عنه من تضحية بالإستهلاك الفوري، جعلا من الانسان كائناً مدّخراً.

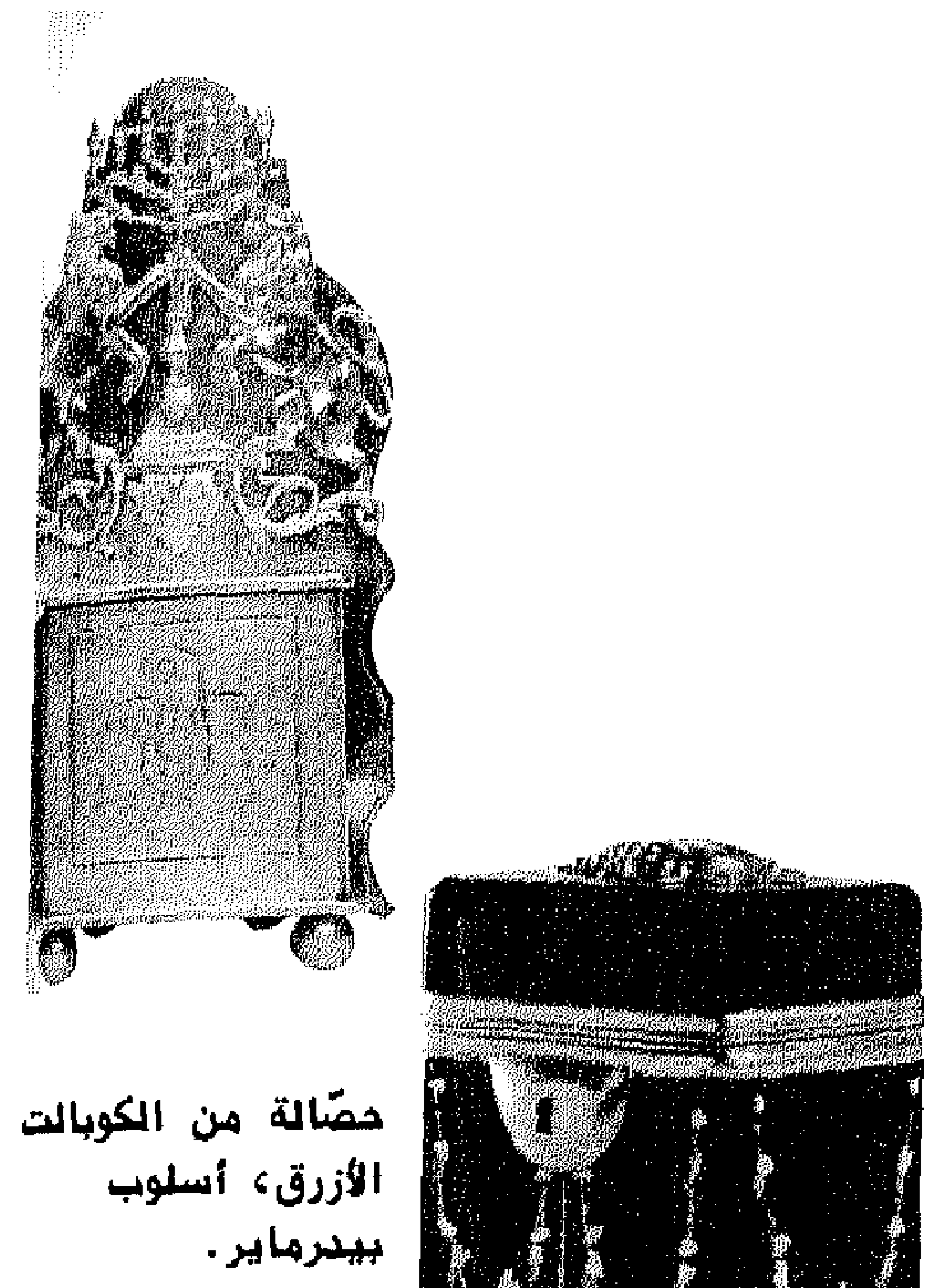
وقد حلَّ المالُ في نهاية المطاف محلّ المؤونة المخزونة من طريق حفظ قطع معدنية في علب معدنية خاصة. وكانت هذه بداية حصّالات النقود التي يتخطى تاريخها ألفي سنة.

وجد أقدم نموذج من الحصّالات في آسيا الصغرى في بلدة بريين القديمة، وتعود الى القرن الاول او الثاني قبل الميلاد. كما وجدت حصّالات رائعة تعود الى العصر الروماني (القرون الثلاثة

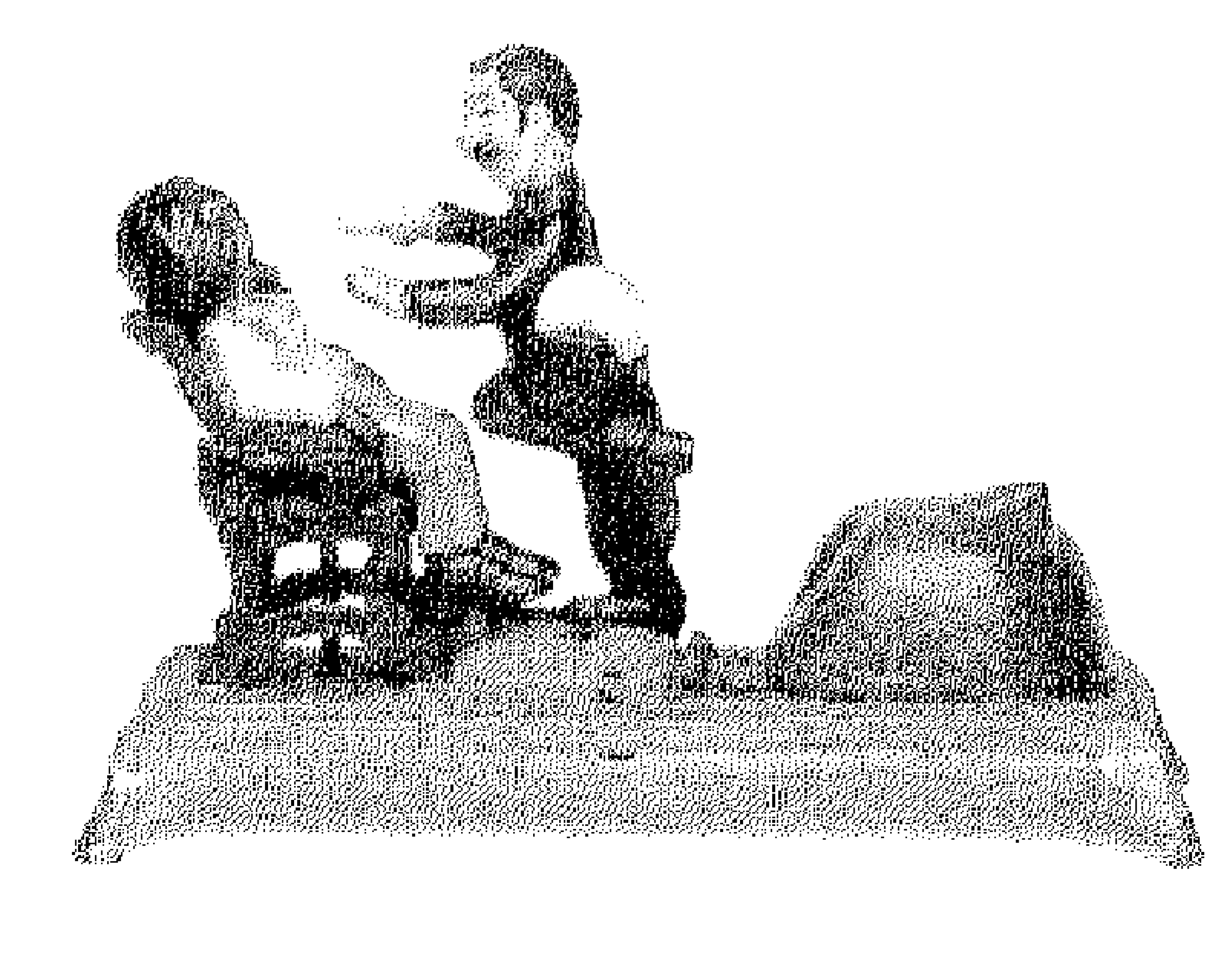
فوق: حصّالة حجرية من العصر الهيليني. كانت هذه الحصّالات الخاصة تحفظ عادة داخل الهياكل.

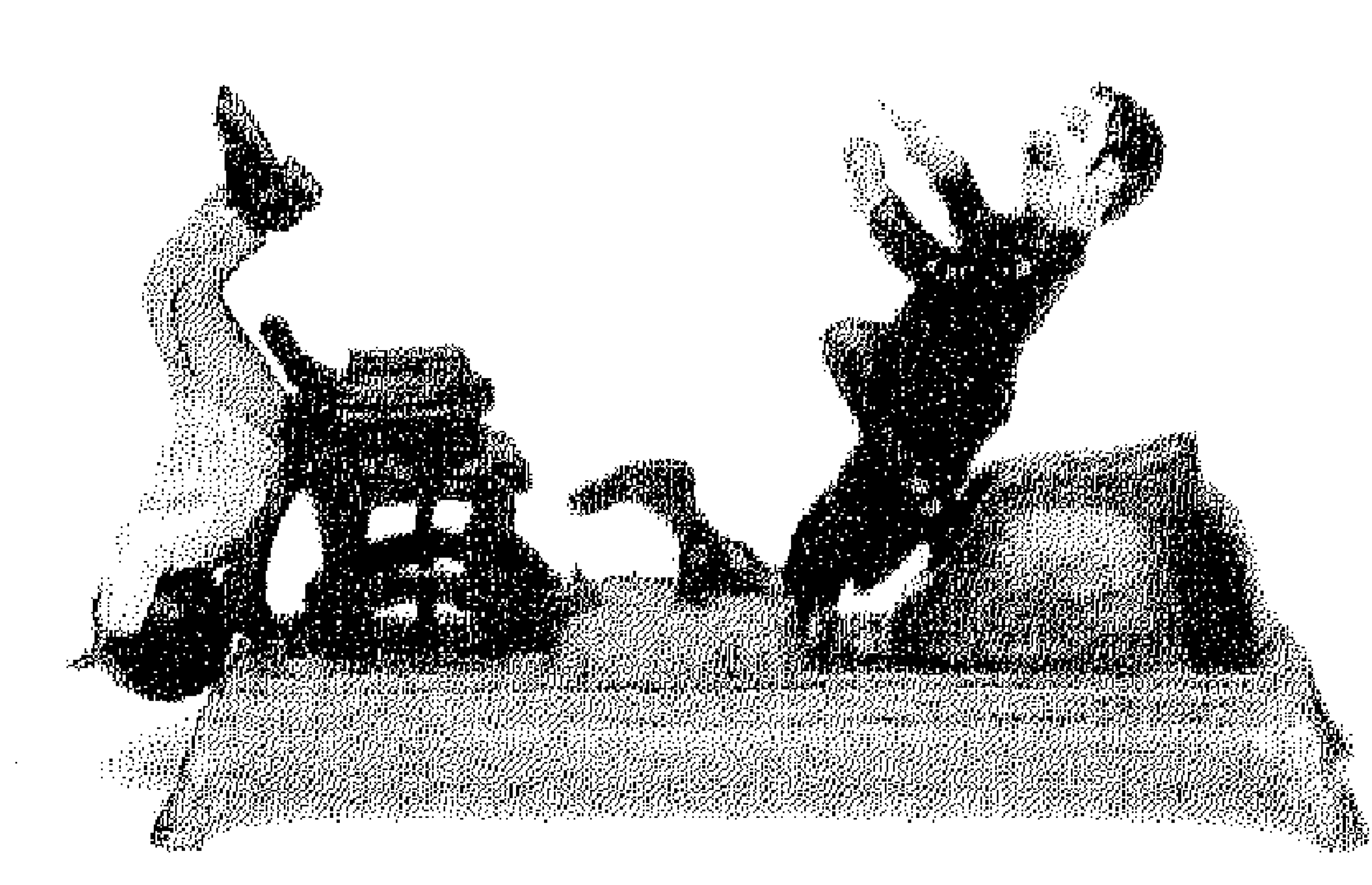
في الوسط: حصّالة من الطين من العهد الروماني. (من القرن الاول الى القرن الثالث بعد الميلاد).

تحت: حصّالة برونزية ألمانية تحمل أسم مالكها (جاكوب شيفر) والتاريخ (١٥٨٧) منقوشين على الغطاء.



حصّالة من الكوبالت الأزرق، أسلوب بيدرماير.



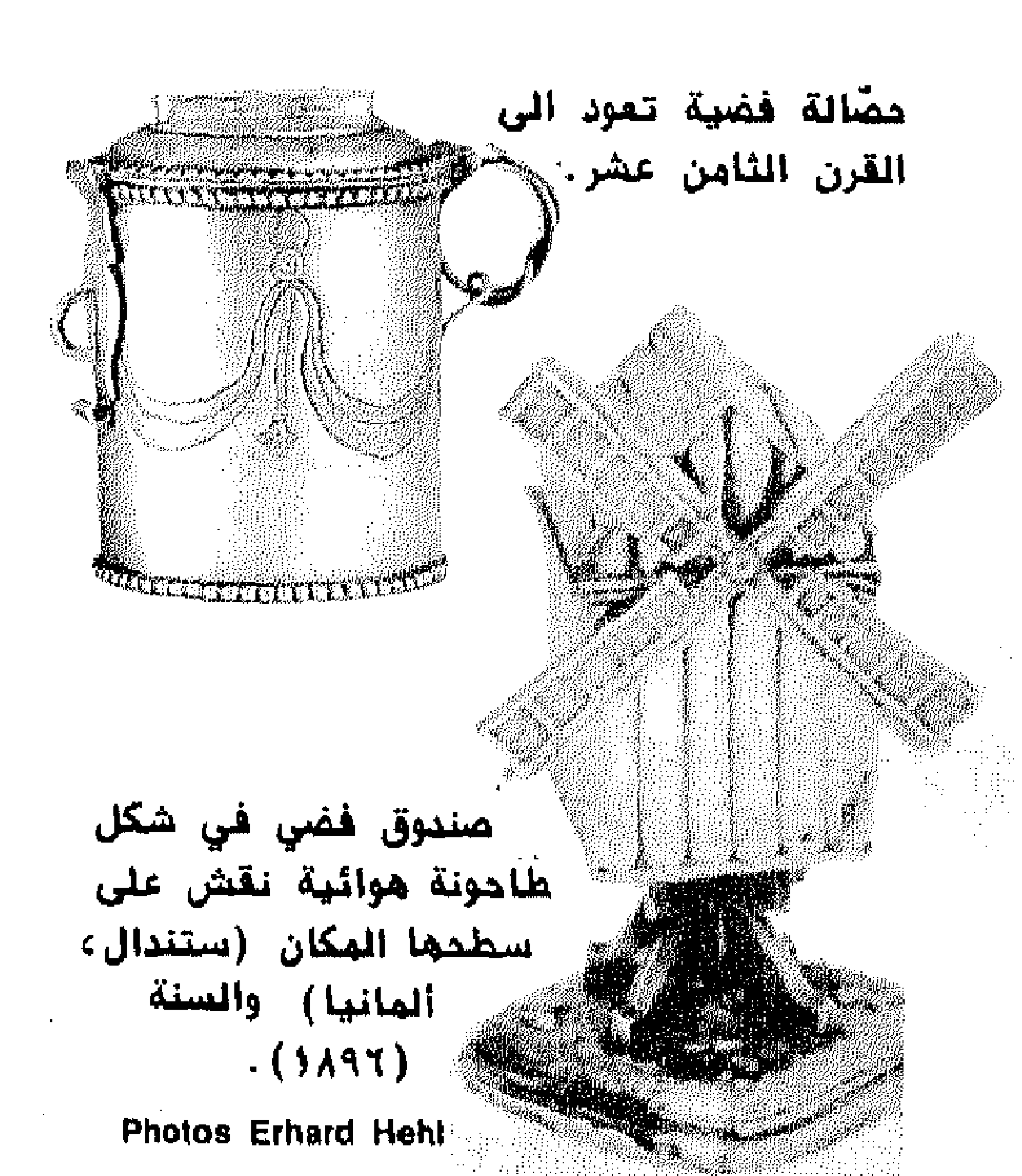


حصّالة أمريكيّة مجهزة بنظام ميكانيكي يوقع طبيب الأسنان عندما توضع قطعة نقود في جيبه، وينهض المريض في الوقت نفسه (أواخر القرن التاسع عشر).

الاولى بعد الميلاد) في جنوب ايطاليا وفي المنطقة الواقعة غرب نهر الراين في ألمانيا، ومعظمها مصنوع من الطين المشوي ولها شكل كروي نسِبَ الى نهد الأم كرمز للخصب.

منذ العصور الوسطى الى أوائل القرن السابع عشر، لم تتخذ الحصّالات أشكالا رمزية، بل شكلت تبعاً لحاجة استعمالها. فكانت الحصّالات الكبيـرة والصغيرة والصناديق والخزائن الحديد والبراميل الخشبية. وكانت هذه الحصالات تصنع، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، من الحديد المطاوع أو من صفائح الحديد. وكانت في بعض الأحيان تُطلى بالالوان أو تبطّن بالجلد أو الخشب وكانت

حصّالة فضية تعود الى القرن الثامن عشر.



صندوق فضي في شكل طاحونة هوائية نقش على سطحها المكان (ستندال، ألمانيا) والسنة (١٨٩٦).

Photos Erhard Hehl



صندوق صدقة حديد من النمط الباروكي (وهو أسلوب يتسم بدقة الزخرفة وغرابتها).

حصّالة من الفخار صنعها خزافو فاينزا في ديلفت بهولنده في القرن السابع عشر. القسم الأعلى لقطع النقود والقسم الأدنى للقطع الكبيرة.

حصّالة روسية فضية مخرّمة تعود الى القرن التاسع عشر.

حصّالة ألمانية من الخزف المصقول.

تُغلق بأقفال متينة ومزخرفة بعناية. وفي معظم الصناديق كنت تجد حول شق القفل، داخل الغطاء، سلاسل صغيرة او رُبُطاً جلدية صُممت لتمنع المال من السقوط. وهكذا لم تقتصر هذه الحصالات على حفظ المدخرات وانما كانت تحميها من السرقة أيضاً.

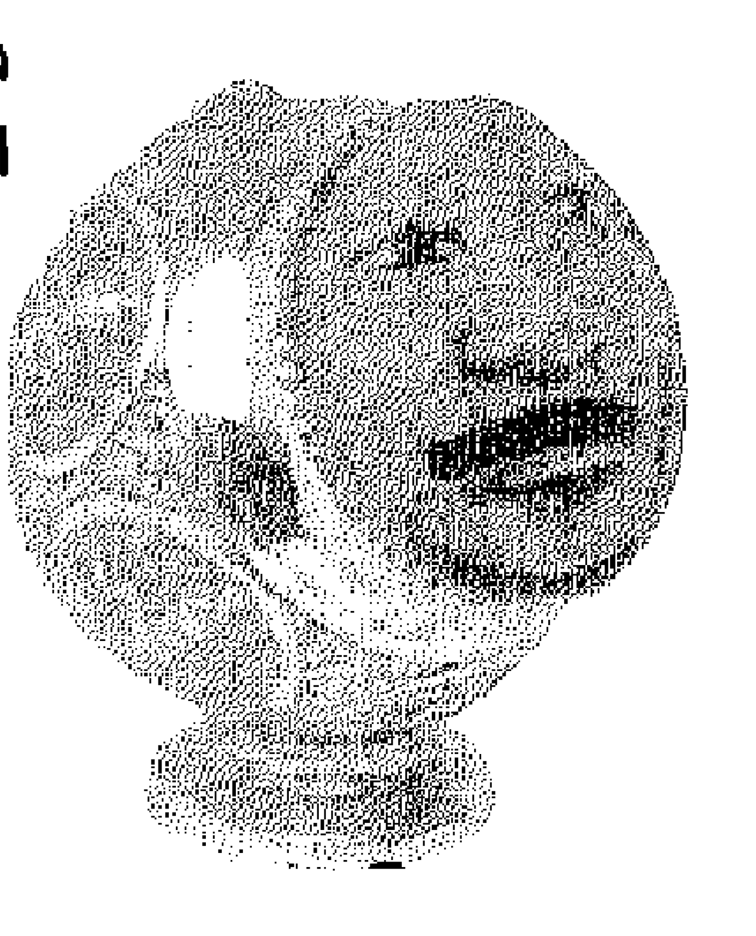
وكان للحصّالات دور يتسم بالطابع الجماعي. كانت هذه الصناديق تستعمل كمكان أمين لتخبئة الثروات الخاصة التي كانت شركات الحرفيين والتجار تضعها جانباً، وكخزائن حديد لمساعدة الفقراء والسقماء والأرامل والأيتام ضمن مجتمع معين، ولتوزيع الصدقات والهبات على دور العبادة.

عندما اصبحت هولنده القوة التجارية الاولى في العصر الحديث، في القرن السابع عشر، حظيت الحصّالات بنصيبها من الثروة الجديدة الناتجة من الرخاء في ذلك العهد. وهناك نماذج من الحصّالات الثمينة المصنوعة من الفضة تعود الى تلك الفترة وهي سرعان ما انتشرت في أوروبا.

وازداد عدد الحصّالات سريعاً في القرن التاسع عشر. فقد عزز العصر الصناعي نمو المدخرات والودائع بفعل الفقر الذي اصاب الطبقات الدنيا. فشهدت الحصّالات عودة لأشكال ترمز الى البحبوحة والسعادة والرخاء كالدجاج والسناجيب والنحل والأرانب. وكان

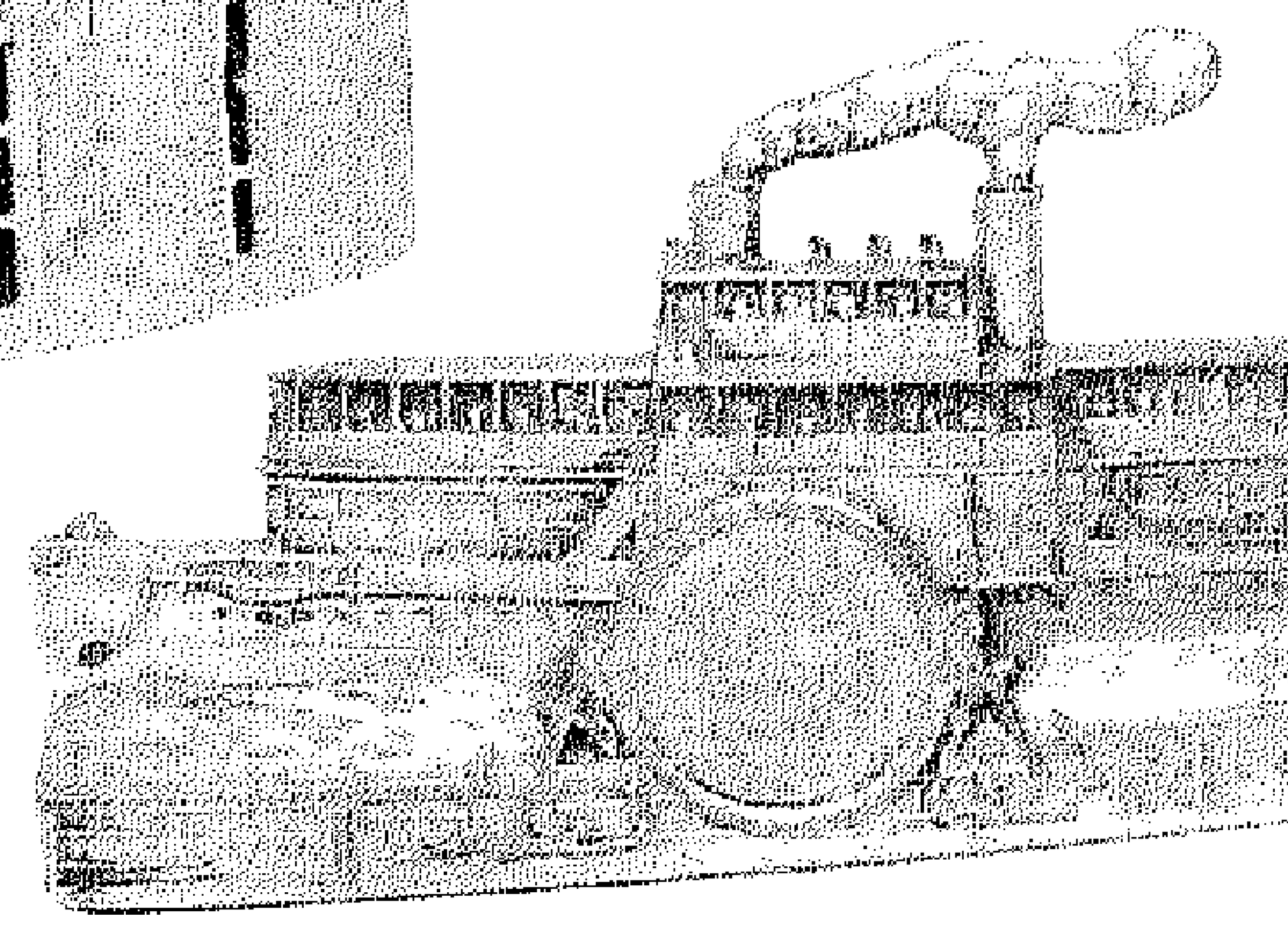
حصّالة النقود

حصّالة فضية على شكل طبل، مع قناع خشبي توضع قطع النقود عبر فمه الفاغر (سيام، القرن التاسع عشر).



صندوق حديد له شقوق عدة للقطع النقدية من مختلف الفئات (الولايات المتحدة، القرن العشرون).

Photos Erhard Hehl



قارب بخاري معدني. ونجد شق النقود بين المدخنتين.

لنقوش الحيوانات وقعٌ مهمٌ في فرنسا على نحو خاص حيث كانت الحصّالات تُصنع على نطاق واسع. إلا أننا نجد الى جانب هذا الانتاج الكمي الضخم قطعاً نفيسة أنتجتها مخيلة واسعة، كتلك التي صنعها صاغة فيينا وروسيا القيصرية. وصُنعت حصّالات في الولايات المتحدة أيضاً، الا أنها اختلفت عن مثيلاتها الأوروبية بزخارفها الجديدة المبتكرة، وهي غالباً مزودة أجهزة ميكانيكية معقدة.

أما اليوم وقد ولّى عهد "المدّخر الصغير" فتبقى الحصّالات قطعاً يجمعها الهواة. قد تكون عتيقة أو من سقط المتاع، لكن سحرها باقٍ.

لوردانا فاكاري ■

حصّالة سويسرية من النحاس الأصفر والأحمر تعود الى أواخر القرن التاسع عشر.

Guiseppe Donadoni



حصّالة حديد في شكل جرس مع قاعدة يمكن نزعها (القرن العشرون)

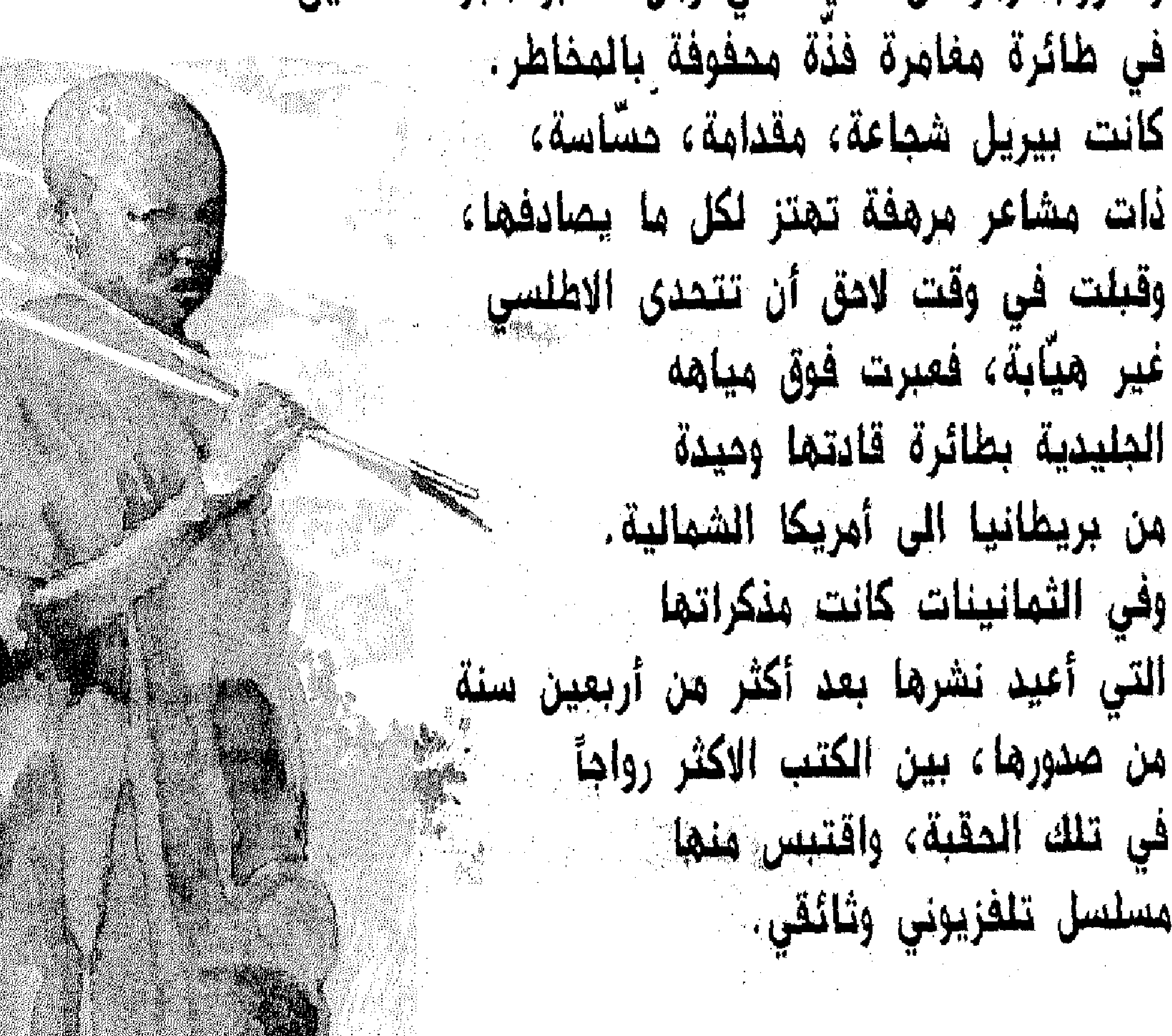
كتاب الشهر

المغامرة

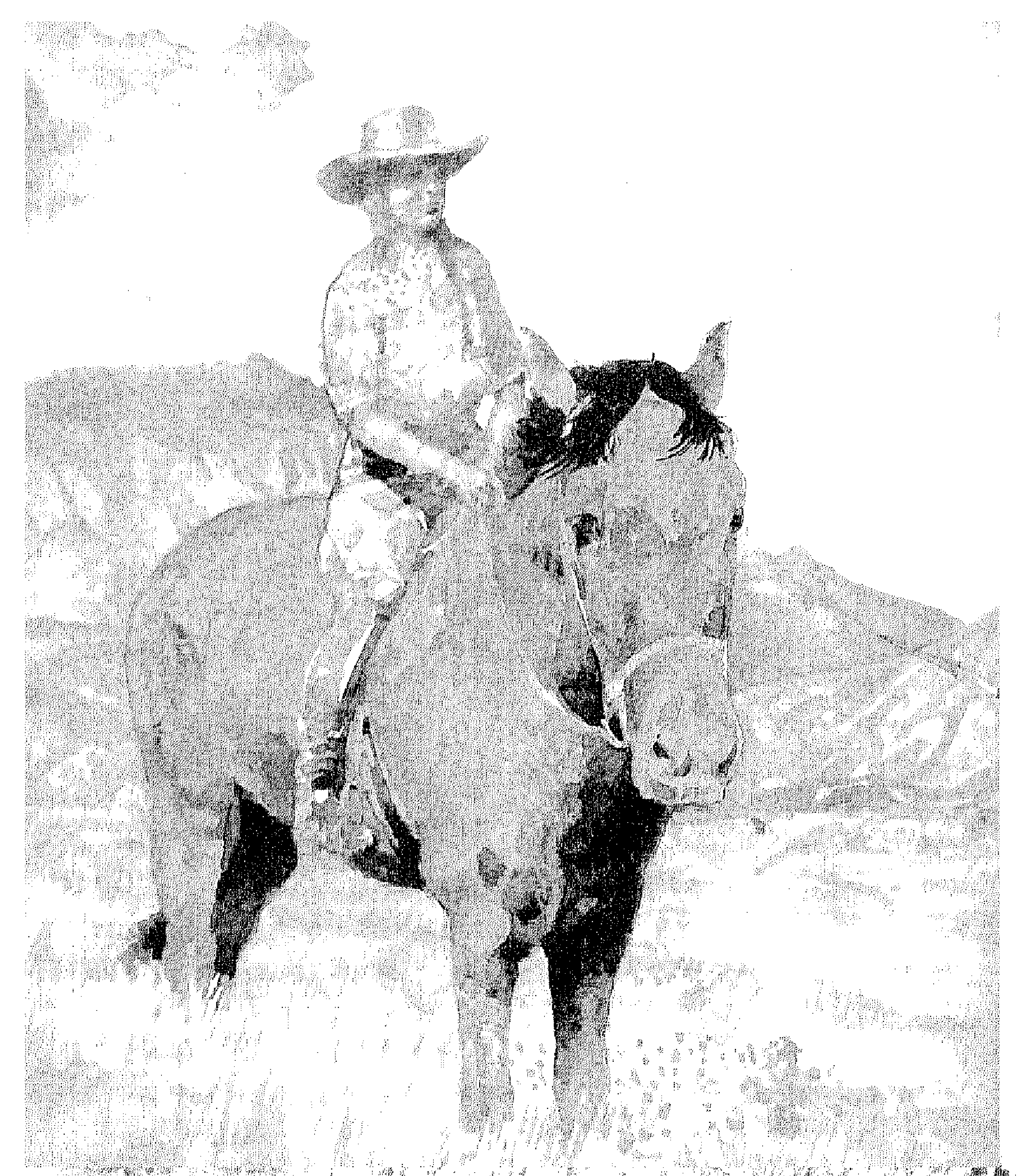
ملخص من كتاب

بقلم بيريل ماركهام

لم تكن طفولة بيريل ماركهام عادية ولا المجرى الذي اتخذته حياتها والمهنة التي اختارتها مألوفين، فهي نشأت في كنف والد هجرته زوجته هرباً من الحرمان وشظف العيش في شرق افريقيا البريطانية مطلع هذا القرن. واتخذت بيريل من افريقيا وطناً لها: افريقيا الأسود والفيلة والخنازير البرية، افريقيا الجمال الأصيل الصارخ الصرف. اما منزلها فكان في الاسطبلات وحلبات السباق مع مدربي الخيول المحترفين، وفي السماوات مستكشفة القفار والدروب ومواطن الفيلة في زمن اعتبر مجرّد التحليق في طائرة مغامرة فذة محفوفة بالمخاطر.



كانت بيريل شجاعة، مقدامة، حسّاسة، ذات مشاعر مرهفة تهتز لكل ما يصادفها، وقبلت في وقت لاحق أن تتحدى الاطلسي غير هيّابة، فعبرت فوق مياهه الجليدية بطائرة قادتها وحيدة من بريطانيا الى أمريكا الشمالية. وفي الثمانينات كانت مذكراتها التي أعيد نشرها بعد أكثر من أربعين سنة من صدورها، بين الكتب الاكثر رواجاً في تلك الحقبة، واقتبس منها مسلسل تلفزيوني وثائقي.



جميع شخصيات الابطال في أحلامي. أصواتهم هادئة متزنة مثل صوت ذلك الرجل الذي كلمني على الهاتف صباح ذلك اليوم من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٦ ليبلغني أن الطقس المتوقع فوق غرب بريطانيا ينذر بأمطار غزيرة ورياح معاكسة، وفوق وسط الاطلسي برياح متقلبة وسماء صافية، أما ساحل نيو فاوندلند فيلفّه الضباب.

"اذا كنت ما زلت مصممة على الطيران فوق الاطلسي في هذا الوقت المتقدم من السنة، فإن وزارة الجو ترى أن الطقس هذه الليلة وصباح غد هو أفضل ما يمكنك أن تتوقعيه." قال الصوت ذلك ثم تلاشى.

تمددت على فراشي يخامرني شك في أن المخابرة لم تكن سوى حلم سيعاودني إن أنا أغمضت عيني ويتبدّد ما ان أفتحهما. ولكي أتحقق من صحة الرسالة ما علي الا أن أغمض عيني وأفتحهما ثانية فيطالعني يوم عادي آخر.

لكنني بالطبع لم أقوَ على اغلاق عيني أو عقلي.

كان في وسعي أن اسأل نفسي السؤال ذاته الذي ما انفك الناس يطرحونه علي منذ ذلك اليوم: "لماذا المخاطرة؟" وكان في وسعي أن أجيب: "لكل انسان قدره." وقدر البحّار أن يبحر والطيار أن يطير. وكما أحصيت ٤٠٠ الف كيلومتر من الطيران في حياتي، تكهنت لنفسي بمزيد من الطيران. ولم يخامرني شك في أنه ما دامت في الوجود سماء وفي تصرفي طائرة، فلن أنقطع عن التحليق.

كان آل كاربيري يقطنون لندن. وما زالت صورة جون كاربيري وضيوفها والرجل الذي اسمه مكارثي وهو منحن فوق المائدة، مرسومة في مخيلتي. وما زال صوت مكارثي يرن في أذني حين قال لجون كاربيري: "جي سي، لماذا لا تموّل رحلة قياسية بالطائرة تقوم بها بيريل؟" كذلك صوت جي سي الجاف حين أجابه: "هناك عدد كبير من الطيارين الذين قطعوا الاطلسي بالطائرة من الغرب الى الشرق. وحده جيم موليسون فعل العكس بمفرده ومن دون توقف، الامر الذي لم يأت مثله أحد من بريطانيا الى الآن. ان اهتمامي محصور في هذا الامر وليس في أي شيء سواه. إن كنتِ ترغبين في المحاولة يا بيريل، فسوف ادعمك. أتريدين أن تخاطري؟"

قلت: "نعم."

وما زلت أذكر جوابي ذاك اكثر من أي شيء آخر، اللهم الا ابتسامة جي سي الخبيثة. وإجابته التي أبرم بها الاتفاق. وهو قال "إتفقنا. أنا أقدم الطائرة وأنت تقطعين الاطلسي. أنا شخصياً لا أقدم على مثل عملك وإن أغريت بمليون جنيه استرليني. فكّري في كل تلك المياه السوداء تحتك! فكّري كم هي باردة، تلك المياه!"

والحقيقة أن الامرين لم يغيبا عن بالي.

على أن أموراً أخرى استرعت تفكيري إذ كنت انتقلت في ذلك الوقت الى إلستري التي تبعد مسافة نصف ساعة بالطائرة عن مقر شركة "بيرسيفال" لصنع الطائرات وصيانتها في غريفز إند. ودرجت طوال ثلاثة أشهر على الانتقال بالطائرة يومياً الى المصنع لاراقب سير العمل في بناء طائرة الـ"فيغا غل" التي كانت تصنع خصوصاً لي.

كان بدن الطائرة أزرق فيروزياً وجناحاها فضّيين، وكانت ذات طراز رياضي وفق المعايير السائدة، لا تتعدى المسافة التي تستطيع اجتيازها من دون تجديد الوقود ألف كيلومتر. لكن محملها صمم بحيث يتحمّل الثقل الإضافي لخزانات الزيت والوقود التي ثبتت في الجزء الأوسط من الطائرة وفي الجناحين وفي مقصورة القيادة لتشكّل جداراً حول مقعدي.

والى مراقبة بناء الطائرة كنت في تلك الاثناء أتمرّن استعداداً للرحلة كأي رياضي محترف. وفي اليوم المنتظر نهضت من سريري واستحممت وارتديت ثياب الطيران الخاصة وحملت علبة من كرتون وضبت فيها لحم دجاج بارداً، ثم توجهت بالطائرة الى المدرج العسكري في ابنغدون حيث وقفت الـ"فيغا غل" في انتظاري.

أسد إلكنفتون

إحتشدت الساحة خارج المدرج العسكري في ابنغدون بسيارات الصحافة وطائراتها وبالمصورين. فأهل الصحافة الكرماء وجدوا في الرحلة مادة صحافية مثيرة وفخمة.

وكان سبق لي أن سافرت بالطائرة الى أماكن نائية وبعيدة عن الحضارة، ولكن ليس بينها مكان واحد يمكن أن أصفه بالمثير أو الفخم. فالرحلة من نيروبي الى نانجوي ليست سوى قفزة صغيرة، وهي غير مثيرة، بل مملة، بالنسبة الى انسان يجهل افريقيا وأصواتها والصمت الذي يلفها أحياناً. لكن افريقيا بالنسبة الي كانت نفحة الحياة التي تفتحت فيها طفولتي.

كنت سعيدة ببساطتي وبتلك المسحة القروية الساذجة التي طبعتني منذ وصولي الى افريقيا وأنا في الرابعة، تلك السنّ الحيادية غير المكترثة. وقبل تلك السنة من عمري التي عشتها في لندن لم يكن في مقدوري أن أناقش موضوع سأم الوجود بذكاء وفهم.

ما زالت افريقيا الى اليوم تثير في نفسي مشاعر الخوف والرعب، وما زلت أرى فيها موطن الاسرار والالغاز. إنها في ذاكرتي الشمس المضيئة والتلال الخضراء والمياه المنعشة والصباح الذهبي الدافىء. قاسية كالبحر، عنيدة متشبثة أكثر من صحاريها، مفرطة في قساوتها وفي عطائها، لا تعرف الاعتدال. إنها لا تمنح شيئاً من دون مقابل، لكن الفرص فيها سانحة لكل البشر من كل الاعراق. إفريقيا، بالنسبة الى عدد كبير من الناس بمن فيهم أنا، هي "الوطن" بكل ما في الكلمة من معنى. إنها كل هذا، ومع ذلك فهي ليست باهتة ولا يعوزها البريق أبداً.

وكان هناك، في محاذاة محطة كابيت، مكان اسمه مزرعة إلكنفتون يقع بالقرب من نيروبي عاصمة كينيا على حافة أرض كيكويو التي يحظر فيها الصيد. وكنت وأبي نذهب اليه أحياناً على جوادين وأحياناً في عربة يجرّها حصان واحد. واعتاد أبي أن يحدّثني في الطريق عن افريقيا.

وذات يوم حدثني أبي عن الاسود، قال: "الاسد اكثر ذكاء من بعض الناس، وأكثر شجاعة من معظمهم. إنه يحارب من أجل الاحتفاظ بما يملك ومن أجل الحصول على ما يحتاج إليه. هو يحتقر الجبناء ويحترس من الانداد، لكنه لا يعرف الخوف. يمكنك دائماً أن تتأكدي من أن الاسد هو دائماً أسد وليس أي شيء آخر البتّة."

ثم أضاف: "... في ما عدا ذلك الأسد الملعون، أسد إلكنغتون."

كان أسد الكنغتون شهيراً ذاع صيته في الجوار ضمن مساحة قطرها ٣٠ كيلومتراً. والسبب أن كل امرىء يصادف وجوده ضمن ذلك الإطار، كان يسعه أن يسمع زئيره. وهو كان يزأر إذا جاع أو إذا حزن أو إذا عنّ له الزئير.

وحدث في ذلك الوقت أن بضعة مستوطنين في شرق افريقيا اصطادوا أشبالا وربّوها داخل أقفاص. لكن بادي، أسد الكنغتون، لم يكن عرف قفصاً في حياته. فهو استكمل نموه وأصبح اسداً قوياً نامي العضلات ذا لون اسمر ذهبي من دون أن يعترضه هم أو يكدّره غمّ. وهو أمضى معظم ساعات يقظته - التي تطابقت مع ساعات نوم الناس - يجوب حقول الكنغتون ومراعيها كأنه امبراطور دمث الاخلاق أنيس المعشر. وعلى رغم غياب حواجز تحدّ حريته وتقيّد تجواله فانه لم يتخط حدود الكنغتون قط، ونشأ أسداً اليفاً. والسبب في ذلك يعود الى أن أسود الغابات لا تقبل بينها وحوشاً يحمل فراؤها رائحة البشر.

قلت لوالدي: "إنني دائماً حذرة من ذلك الاسد، وإن يكن غير مؤذ. ولقد شاهدت السيدة الكنغتون تمسّد جلده وتربّته."

فردّ: "هذا لا يثبت شيئاً. فالاسد المدجّن أو المروّض أسد غير طبيعي. وكل ما هو غير طبيعي لا يؤمن جانبه."

همزت حصاني فانطلق، يخبّ المسافة المتبقية الى مزرعة الكنغتون. لم تكن المزرعة كبيرة لكنها حَوَت منزلا جميلا له شرفة كبيرة جلس فيها والدي وجيم الكنغتون والسيدة الكنغتون واثنان من المستوطنين وغرقوا في حديث بدا لي كئيباً.

قُدم الينا الشاي. وكانت هناك مائدة صُفّت عليها أصناف الكعك والفطائر. ولكن لم يكن ذلك ليغريني أو ليحوّل رغبتي عن متعتي الحقيقية. فسلّمت على الحاضرين باقتضاب وعجلة وانطلقت اعدو الى الخارج. وفيما أنا قرب سقيفة التبن لمحت بيشون سينغ وهو رجل من السيخ يعمل في مزرعة والدي وكان سبقنا الى ذلك المكان ليحضر لنا الجياد. وهو ايضاً رآني ورفع ذراعه يحييني بالطريقة السواحلية فيما تابعت عدوي في اتجاه فسحة من الارض مكشوفة خالية من الاشجار.

لماذا عدوت؟ ولأي غرض؟ سؤالان لا املك إجابة عنهما. إلا انني اعتدت أن اركض بأقصى سرعتي عندما لم يكن لدي مكان معيّن أقصده، علّ ذلك يهديني الى المكان المنشود. وكنت دائماً أجده.

رأيت أسد الكنغتون وانا على بعد ٣٠ متراً منه. كان متمدداً في الشمس باسطاً قوائمه، وعندما رآني رفع رأسه باطمئنان ورشاقة وحدّق الي بعينين ذهبيتين رأيت فيهما نوعاً من التصميم المقصود.

جمدت في مكاني وغرزت اصابع قدمي الحافيتين في التراب وأنا أحدّق الى الأسد - فتاة صغيرة تعرف الكثير عن الاسود. تذكرت ما كان يجب أن اتذكره: القوانين

وأصول التعامل مع الاسود. لم أركض، بل تقدمت ببطء شديد وأنا أردد اغنية تحدّ، وتابعت سيري في خط مستقيم متجاوزة بادي الذي ومضت عيناه من خلال العشب وراح ذنبه يعلو ويهبط على ايقاع أغنيتي البسيطة وكأنه يقيس الوقت.

أسرعت الخطى وأنا أغني، وتوجهت الى تلّة آملة أن يحالفني الحظ فأجد في منحدراتها بعض شجيرات الكشمش. كانت الأرض خضراء رمادية وشعرت بسخونتها تحت قدمي. كانت الريح ساكنة تماماً وأطبق على المكان صمت ثقيل. حتى بادي الذي انطلق بخفة في اثري لم يصدر عنه أي صوت.

كل ما أذكره من الدقائق التي تلت لا يتعدى أموراً ثلاثة: صرخة لم تتعدَّ الهمسة، ولطمة طرحتني أرضاً فدفنت وجهي بين ذراعي فيما أنياب بادي تنهش لحم ساقي، وعمامة تهتز على نحو غريب كانت عمامة بيشون سينغ الذي اقترب من حافة التلة.

لم يُغم عليّ، لكنني أغمضت عيني وحاولت أن أغيب عن الوعي، ليس من الألم بل لأن زئير بادي كان يضجّ في رأسي. طرح السيخي الصوت ولبّى نداءه بضعة من رجال الكنغفتون الذين هرعوا إلينا يتقدمهم جيم إلكنغفتون حاملا كيبوكو وهو سوط مصنوع من جلد البرنيق (جاموس البحر).

تبيّن من رواية بيشون سينغ لاحقاً أنه لولا بونا الكنغفتون لأجهز عليّ الأسد، وله الفضل في أنني ما زلت حية. قال بيشون: "تركك الاسد ليهجم على بونا الذي اندفع الى شجرة مباركة وتسلّقها."

سألته: "وأنت من حملني يا بيشون سينغ؟"

فأخفض رأسه ذا العمامة الضخمة وأجاب: "اسعدني القيام بواجبي وحملك الى السرير يا بيريل ثم إعلام والدك الذي كان يتفقد خيول بونا الكنغفتون بأن اسداً كبيراً كاد يلتهمك."

تلك الليلة فتك بادي بحصان وفي الليلة التالية أجهز على عجل وفي الثالثة افترس بقرة. وفي النهاية أسر ووضع في قفص حيث تسنى للناس أن يحدقوا اليه فيحدّق اليهم بدوره. واستمرت الحال هكذا الى أن هرم وشاخ وأكره السكان على قتله رمياً بالرصاص.

وما زلت أحمل الندبات التي خلفتها أنيابه وبراثنه في جسدي، لكنها ندبات صغيرة أصبحت في عالم النسيان. والحقيقة أنني لا أحمل له أي ضغينة، فهو عاش ومات على نحو لم يختره، وعمل أقصى وسعه ليصبح أسداً أليفاً، وليس من العدل أبداً أن ندينه على أساس غلطة وحيدة.

كلب غير عاطفي

لم تكن نجورو مزرعة بالمعنى الصحيح إلى ان حوّلها والدي بكثير من الكدّ والجلد مزرعة حقيقية مترامية الاطراف. وهو بناها بالعرق وبالصبر، حمل اليها تراباً جديداً ونقل اليها الصخور وضمّنها الأحراج تعاونه شمس مشرقة وأمطار غزيرة دافئة.

لم يكن والدي مزارعاً، لكنه ابتاع الأرض نظراً الى رخص ثمنها وخصبها والى أن شرق افريقيا كان ارضاً بكراً تَعِدُ بمستقبل باهر يحسّه المرء تحت قدميه.

في البدء بدت المزرعة كالآتي: أرض شاسعة واسعة وسهول ممتدة بعضها مكشوف ومعظمها يحوي اشجاراً كثيفة حجبت السماء وقد التفت حول جذوعها نباتات متسلقة بلغ ارتفاعها خمسة أمتار تشبّثت بها كالأفاعي. أما رؤوس الاشجار فلا مجال لرؤيتها إلا بعد أن تهوي تحت ضربات الفؤوس، فتجرّها الثيران في اشراف فرق من العمال الهولنديين المستوطنين الذين لم تكن سياطهم لتكف عن القرقعة طوال النهار.

اشترى والدي مولّدين بخاريين وثبّتهما في الأرض من أجل انتاج طاقة كافية لتسيير طاحونة قمح. ولم تكن الطاحونة لتكفّ عن الدوران ولا عمال كافيرونو المحليون عن العمل. فكانوا يعملون من الفجر الى المساء، يفرغون الاكياس الثقيلة ثم يعودون فيحمّلونها بعد أن يكون القمح تحوّل طحيناً ناعماً أصفر. وكانوا في عملهم أشبه براقصي الباليه على أنغام نفث البخار ودوران حجار الرحى.

نمت اسطبلاتنا وكبرت من بضعة مرابط الى صفوف طويلة من الزرائب المفتوحة. وتدرّج عدد خيولنا الاصيلة المدربة من اثنين الى عشرة فالى مئة، وهكذا استعاد والدي غرامه القديم ووقعت أنا على حبي الاول الذي رافقني بقية حياتي.

اعتاد رئيس السوّاس أن يقرع الجرس كل صباح فتفيق المزرعة على صوته الصدىء وتدبّ فيها الحياة. فيشد الهولنديون ثيرانهم الى العربات ويسرج السواس جيادهم وتروح المولدات تنفث بخارها ويهب
الحلابون والرعاة ومربو الدجاج والطيور والبساتنة
وخدم المنزل وهم يفركون عيونهم ويتنشقون
هواء الفجر، ثم ينطلقون
كل الى عمله.



في الايام العادية كنت أنا وكلبي بولر جزءاً من كل ذلك، أما في مواسم الصيد فكنا نتسلل من المزرعة قبل قرع الجرس. ومثلما كانت لدي دروس يتوجب عليّ انهاؤها، كذلك كانت لدي دروس أهرب منها.

وما زالت ذكرى أحد تلك الايام حيّة في مخيلتي.

بزغ النهار على حركة من بولر الذي كان نائماً كعادته عند قائمة سريري في كوخنا المبني بالتراب والطين. كان بولر هجيناً. وكان خطمه ناتئاً وعضلاته قوية مفتولة كالحبال وهو أشبه ما يكون بكلاب السباق المنحوتة في الافاريز الحجرية في بلاد فارس القديمة.

كان بولر يصارع أي شيء تتوجّب مصارعته. وقد حمل جلده الاسود والابيض خريطة عجيبة من الخطوط والندوب الطويلة والقصيرة والمنحرفة شهدت له بتاريخ حافل من الصراعات والحروب. وعلى رغم أن ولاءه لي كان خالصاً لا يتزعزع، فإنني لم أتخيله قط بطلا لقصة عاطفية رقيقة من النوع الذي يمس شغاف القلب. فهو كان مفرطاً في خشونته وفي قوته وحتى في عدوانيته.

ذلك الصباح تسلّلنا انا وبولر الى الساحة. وفيما أنا أجول بنظري حول كوخ والدي القريب من كوخي، تبينت سائسين يهمّان بفتح أبواب الاسطبلات مما يعني أن والدي جاهز للخروج وأنه سيظهر في أي لحظة بغية إرسال الدفعة الاولى من أحصنة السباق التي يملكها الى عملها الصباحي. ولو رآني برفقة كلبي والرمح في يدي حول خصري لصعب عليه أن يتصور أن ذهني منشغل بمبادىء الصرف والنحو، ولاستنتج في الحال - وعن حق - اننا في طريقنا الى أقرب قرية في ناندي كي نذهب مع أهل مورانى الى الصيد.

قطعنا البيوت عدواً وانعطفنا في الطريق المتعرّجة التي حجبها العشب النامي ولم يكن يعرفها أحد سوانا وسوى أهل المنطقة الذين شقّوها بأقدامهم.

مع اقترابنا من مستوطنة ناندي، كان آراب مينا يحمل قربة مليئة بالحليب المتخثّر ونظره مرفوع الى الشمس. وسمعناه يبتهل: "المجد لله الذي أعطانا الحليب الذي يقوي عضلاتنا ويدفىء صدور أحبائنا."

كان وجهه فتياً قاسياً وفي ملامحه مسحة ظرف ودعابة. وأوحت تقاسيمه حباً كبيراً للحياة وللصيد وللقوة التي حباه بها الله ولجمال رمحه وفائدته.

تجرع آراب ما في القربة ثم أطلق جشأة صعدت من أحشائه ودوت في صمت الصباح، ذلك الصمت الذي لم يقطعه أحد منا نحن الذين وقفنا حوله. فعمله ذاك كان بين أهالي ناندي جزءاً من الشعائر المرعية وطقساً يسبق الانطلاق الى الصيد.

"إننا جاهزون،" قال آراب كوسكي وهو يسحب سيفه من غمده ويتفحص حدّه. وتابع: "بحق رحم والدتي سوف نقتل الخنزير البري اليوم."

ثم تقدم حاملا ترسه العريض ورمحه المستقيم حتى اصبح وراء آراب مينا مباشرة، وسرت أنا وراء آراب كوسكي وفي يدي رمحي الجديد النظيف الذي كان

أخفّ وزناً من رمحيهما. سرنا معظم الوقت في صفّ منفرد بمحاذاة غابة مو ثم انحدرنا شمالا في اتجاه وادي رونجي الذي كان على بعد ٣٠٠ متر تحتنا. ركض بولر في اثري وانتشرت خلفه كلاب المحلّة.

أعرف حيوانات تفوق خنزير افريقيا البري شهامة وكياسة، لكنني لا أعرف حيواناً أشجع منه ولا أكثر جرأة. إنه فلّاح السهول وحفّار التراب الزري. صحيح أن الوسامة تنقصه، لكنه الحامي الشجاع الذي يتصدى للدفاع عن موطنه وبيته وعاداته ببسالة وإقدام. هو مستعد دائماً لمحاربة أي متطفل مهما بلغ حجمه. وأسلحته عادية مبتذلة: أنياب معقوفة حادة ومميتة هي أبعد ما يكون عن الجمال.

لا يتعدى ارتفاعه عند إكتمال نموه ارتفاع خنزير داجن. جلده خشن ترابي اللون يغطيه هلب غليظ صلب. عيناه صغيرتان خاليتان من أي تعبير الا واحداً: الشك. إنه يرتاب بكل شيء لا يفهمه. وما لا يفهمه يحاربه. وسرعته في الخروج من وجاره ظاهرة غريبة غير عادية.

لا يعوزه المكر وهو يدخل وجاره الصغير المحجوب عن الانظار خلفياً، ذيله اولا، كي لا يؤخذ على حين غرّة. ومع أنه يفهم معنى التراجع الفني إلا انه عاجز عن الاستسلام. لا يرضخ ولا يستسلم. وإذا كان خصمه كلباً تنقصه الخبرة والحنكة، او رجلا حديث العهد بالصيد مبتدئاً وإن شجاعاً، فإن الدم المراق لن يقتصر على دم الخنزير.

صيد دامٍ

الاشارة الاولى الى وجود خنازير برية في الجوار كانت صرخة حادة اطلقها خنزير صغير باغتته خنازير هجينة وهو في بقعة معشبة، أعقبتها صرخات خلتها صادرة عن جميع صغار الخنازير في افريقيا. ثم راحت الخنازير تتراكض مذعورة في كل الاتجاهات وأذنابها منتصبة كفئران يطاردها قط. والقصد من الصرخات كان أن يلتقطها الأب الذي لا بد من أن يهرع لنجدة صغاره والشر نصب عينيه.

لم يخب ظن الصغار إذ سرعان ما هبّ الاب الى النجدة. ووسط كل ذلك الهرج والمرج انشق العشب أمام آراب مينا كائنا بمنجل، وانقضّ على المورانى خنزير بري أبيض ضخم أعماه الغضب. لمع الرمح في يد اراب مينا-الذي انحرف جانباً. لكن العفر اختفى وانطلق آراب في إثره.

ولو لم يركض بولر خلف طريدة أخرى لكانت الامور اتخذت منحى آخر. فأنا وآراب كوسكي تركنا آراب مينا يعالج الطريدة الأولى وانثنينا نجري خلف بولر الذي كان ينبح بقوة واهتياج. وبعدما قطعنا حوالى خمسة كيلومترات وجدناه بالقرب من وجار كبير وقد نجح في محاصرة الخنزير الذي طارده.

اقتربت من مؤخر الوجار بحذر شديد فيما وقف آراب كوسكي جانباً. قلت له: "ليت معنا ورقاً نحدث به خشخشة داخل الثقب.."

هزّ الموراني كتفيه وأجاب: "علينا ان نلجأ الى حيل أخرى يا طفلتي."

قد يبدو ذلك سخيفاً، لكننا نجحنا مرات كثيرة في إغراء الخنازير بالخروج بخشخشة الورق في مداخل جحورها بعد اخفاق جميع الاساليب الأخرى.

ولكن لم يكن في حوزتنا هذه المرة أي ورق. ولما لم تجدِ جميع الطرق التي حاولناها قررنا أن نتخلى عن المحاولة وننضم الى آراب مينا.

كنا على وشك الابتعاد عندما تغلّب فضول آراب كوسكي على احترازه. انحنى أمام الوجار فخرج الخنزير.

ما حدث كان أقرب الى الانفجار منه الى الهجوم. حجبت سحب الغبار المتطاير الرؤية ولم أرَ من خلالها سوى أطراف تتحرك: ذنب الخنزير وقدمي آراب كوسكي وأذني بولر وطرف الرمح.

كان رمحي غير ذي فائدة وخشيت إن أنا طعنت به الخنزير أن أصيب الكلب أو الموراني. كان ذلك اشتباكاً فظيعاً مروعاً دام خمس ثوان اندفع الخنزير بعدها من وسط الكتلة البهلوانية كقطعة من طين حملتها ريح مدوّمة عاتية، واختفى في دهليز من كثيبأت النمل وبولر في إثره.

جلس آراب كوسكي على الأرض في بركة من دمه، وكان ينزف من جرح عميق في فخذه بدا كأنه من ضربة سيف. وما لبث أن انتصب واقفاً وهو يضغط جرحه بطرف قفطانه الفضفاض. وكان نباح بولر اصبح بعيداً خافتاً.

سألته: "هل تستطيع السير يا كوسكي؟ عليّ أن ألحق ببولر فربما قضى عليه الخنزير."

ارتسمت على وجه الموراني ابتسامة وأجابني: "بالطبع ايتها الطفلة. هذا جزاء حمقي. سوف أعود لأهتم بجرحي. الافضل أن تلحقي ببولر فالشمس شارفت المغيب. هيّا اذهبي. إجري بسرعة."

عضلاتي تؤلمني. ساقاي تنزفان وقد خدشهما الشوك وأنصال الحشائش الاستوائية. يدي التي بللها العرق ينزلق منها الرمح. أتعثر، انهض، أعدو في اتجاه نباح بولر الذي يعلو ويقترب. أختفى الصوت. لا شيء في الدنيا مهم في نظري أكثر من كلبي.

على سيقان الحشيش نقاط من الدم، وبقع من الارض الترابية مشبّعة بالدم. نباح بولر ضعيف وغير منتظم لكنه أقرب. خيط الدم على الأرض أكثر كثافة. في هذه البقعة من السهل شجر. شجر كبير صامت.

ينقطع النباح. أتابع العدو وأنا ألهث. أخترق بنظري نور النهار المتلاشي. في بقعة من الأرض المعشوشبة تحت شجرة زعرور شيء يتحرك.

فجأة كنت أنا هناك تحت الشجرة أقف في خليط من التراب والدم. هناك تحت الشجرة ارتمى الخنزير الضخم الذي يبلغ حجمه ستة أضعاف حجم بولر. ورأيت الكلب رابضاً يلعق بطنه. واذ رآني الخنزير لمح فيّ عدواً آخر. فاندفع في اتجاهي

بشجاعة رائعة. قفزت جانباً وسددت برمحي طعنة الى قلبه. هوى الى الامام هامداً. تركت رمحي مغروزاً في جسده واستدرت صوب بولر والدموع في مقلتي.

الكلب مبقور كالخروف المذبوح. جنبه الايمن كوادٍ من اللحم المكشوف من الذنب الى الرأس. أضلاعه البيضاء كأصابع يد مغموسة بالدم. ينقل بصره من الخنزير اليّ فيراني جاثمة بقربه. يريح رأسه بين ذراعي.

يعلق يدي. يرى اليأس في ملامحي. أنا لا أستطيع أن أتركه وحده، فنور النهار على وشك الغياب وهناك نمور وضباع تهيم في الليل وتفترس الجريح والعاجز: أنا وبولر والخنزير الهامد تحت شجرة الزعرور.

أراقب هبوط الظلام. شيء يتحرك في العشب النامي ويصدر صوتاً أشبه بحفيف تنورة امرأة. الكلب يتحرك بوهن. أريح رأسه على العشب ثم أقف واسحب رمحي من جسد الخنزير. صوت آت من الجهة اليسرى يتناهى الى سمعي.

"هل أنت هنا يا طفلتي؟"

صوت آراب مينا منعش كالمياه الجارية بين الصخور المظلّلة.

- إنني هنا يا مينا.

"إنك وحدك ولقد تألمتِ وعانيتِ. كيف تجرأ كوسكي وتركك وحدك؟ لقد خان ثقتي به."

- كوسكي جريح. لقد بقر الخنزير فخذه.

"إنه ليس طفلا وكان عليه أن يكون اكثر إحترازاً. استريحي الآن. وعندما يسطع القمر في منتصف الليل ننقل بولر الى المنزل."

آراب مينا يقطع بسيفه حفنات من العشب ويصنع منها وسادة يضعها تحت رأسي. بولر بين ذراعي غائب عن الوعي. يمزّق السكون زئير أسد يجوب الغابة في الليل. ننتظر وقد أرهفنا السمع.

إنك ترتجفين

في ضوء القمر نقل بولر الى المنزل. ظل فترة طويلة ساكناً لا يتحرك ولا يرى شيئاً. أخيراً تمكن من رفع رأسه ومن ثم السير. وذات يوم، راح يتشمم رمحي وهو يهزّ ذنبه المترقّب دائماً وأبداً. لكن ذلك جاء في وقت كان ولّى زمن صيد الخنازير البرية الى غير رجعة، ومع انتهائه تغيّرت دنيايا وتبدلت.

علمتني الايام درساً هو أنه إذا أراد المرء أن يهجر دياراً عاش فيها وأحبها وخلف فيها ذكريات وماضياً دفنه، فعليه أن يغادرها بأسرع ما يمكن. لكنني، ويا للاسف، غادرت نجورو بأبطأ ما يمكن. والسبب أن الأمطار نسيتنا. تلك الامطار التي تغذي البذور التي بدورها تغذّي الطاحون. فعندما ينحبس المطر تتوقف حجار الرحى عن الدوران، وإن استمرت في الدوران فلن تطحن سوى الخيبة والاسى لمالكها.

أما مالكها فكان والدي.
وهو قال: "علينا أن نفكّر." وفكّرنا.
جلسنا في مكتبه ساعة تحدث معي خلالها بجدية لم آلفها فيه من قبل. قال إنه عزم على الرحيل الى البيرو، البلد الخالي من القيود والعوائق مثل شرق افريقيا والذي يحب الجياد ويحتاج الى من يرعاها ويفهمها. اراد أبي أن أصحبه لكنه قال: "الامر عائد اليك." وشعرت بأنني لم أعد طفلة، وكان عمري ١٧ عاماً وبضعة أشهر.
لم اكن تعرّفت إلا على القليل القليل من افريقيا. وما عرفته منها أحببته وتعلّقت به. البيرو بالنسبة الي مجرّد لطخة بنفسجية في خريطة مدرسية، ألمسها بأناملي. أما قدماي فكانتا على أرض افريقيا وفوق ترابها.
لسنوات طويلة اعتنيت بخيول والدي. أطعمتها وركبتها وسستها وأحببتها. ترى هل اعتبر والدي أنني أملك خبرة كافية تؤهلني للبقاء وحدي في افريقيا واحتراف تدريب الجياد الاصيلة؟
الجواب كان نعم.
هل لي أمل بحيازة إجازة تدريب رسمية في ظل قوانين نادي الفرسان البريطاني؟
أيضاً نعم.
"إذهبي الى مولو،" قال والدي، ثم تابع: "إن فيها اسطبلات يمكن أن تفيدي منها. ولكن لا تنسي أنك مجرد فتاة ويجب ألا تتوقعي الكثير. لن يكون هناك سوى عدد ضئيل من أصحاب الاحصنة على استعداد لأن يعهدوا اليك بجيادهم. عليك أن تعملي بجدّ وتفان وألا تفقدي الأمل. لكن آمالك يجب أن تكون على مقدار جهودك."
بدأت بخمسة جياد ثم أصبح العدد ثمانية ثم عشرة. دربتها في مقابل كوخ واسطبل للتدريب. مرّت تحت يدي جياد بليدة وهرمة ومعاقة، لكن العمل عمل مهما يكن. شرعت في تدوين بعض الملاحظات، وأدهشني ارتفاع ثمن العلف. ومع ذلك دأبت على العمل وحصلت على إجازة تدريب رسمية. وكان اقترب موعد سباق نيروبي.
إمتلأت الفنادق بالنزلاء واكتظت الشوارع بهواة سباقات الخيول وعجّت المدارج بالناس من كل لون وزي بحسب القبيلة التي ينتمون اليها. وكم من مدرّب سُمع وهو يشرح ما كان في الامكان أن يكون "لولا كذا أو كذا..." كانوا جميعهم رجالا أكبر مني سناً وأكثر خبرة من سنواتي الثماني عشرة. حملوا معرفتهم. وتعلمت منهم ما كنت أجهله. لم يكن كثيراً على ما أظن وآمل. على كل حال سوف نرى. سوف نرى.
إنه سباق سان ليغر الكبير وآمالي معلقة على مهرة ذات كتفين صقيلتين كالحرير اسمها "وايز تشايلد" أي الولد العاقل.
"ما هو حظها في الفوز؟" سألني إريك غوش المزارع الذي يملكها. انه يحب جميع الحيوانات وخصوصاً الجياد.

قطبت جبيني وهززت رأسي وأجبته: "حظها ممتاز ما لم ينافسها الحصان راك."

غريب هذا القول صادراً عني، فكل عضلة في جسد ذلك المهر القوي النشيط الكستنائي الذي اسمه راك، شكلتها أنا بعرقي وجهدي ومعرفتي. براعته أنا أكسبته إياها. إنه من دون شك أفضل حصان في سباق ليفر ولا يضاهيه آخر. لكنه، ويا للاسف، سيركض ضدي.

نُقل راك من عهدتي الى عهدة مدرّب آخر قبل ١٢ أسبوعا فقط. وكان تحوّل تحت رعايتي واشرافي من مهر عنيد جامح ناحل القوائم الى حصان سبق مكتمل النمو متين العضلات سريع متغطرس يرى في المنافسة احتقاراً له ويزدريها. كان بحق واثقاً من نفسه معتداً بقدرته.

الذي حصل أن صاحب الحصان أقلقه ما سمعه من نصائح وبراهين عن أن اللمسات الاخيرة البالغة الدقة والتّي تتعلق بتغطية العظام بالعضلات، لا يُعهد بها الى فتاة في الثامنة عشرة، مما ألقى ظلالا من الشك حول مقدرتي. فنقل حصانه من عهدتي الى عهدة مدرب آخر، غير آبه بالاساءة التي ألحقها عمله بسمعتي كمدربة خيول.

لكن الهمس لا يقتصر على الاخبار السيئة، وهناك أناس يشتمّون رائحة الظلم مهما كان ضئيلا ويعترضون عليه.

كان اريك غوش يعلم أنني سوف آتي الى نيروبي بعدد من الاحصنة للاشتراك في السباق الكبير، وأن بين الاحصنة من هو مرشح للفوز في سباقات أقل شأناً من السباق الكبير. وكان يعلم أيضاً أنني، وقد حُرمت راك، لا أملك حصاناً واحداً اشترك به في السباق التقليدي الكبير، السباق القيّم الوحيد.

قال غوش: "الفكرة تعذّبني لكنني لا أرى لها مخرجاً، وراك مرشح للفوز ولن يقف في طريقه شيء. بالطبع هناك وايز تشايلد لكنك تعرفينها."

أعرفها؟ لقد ولدت على يدي وفي عروقها يجري دم اصيل يعود الى ٢٠ جيلا من الجياد المجلّية. انها من معدن راك... لولا قوائمها.

مشكلة وايز تشايلد أنها تعرّضت وهي في سنتها الثانية لسوء معاملة على يدي مدرّبها الأول الذي أنزلها الى الحلبة قبل الاوان وأشركها في سباقات قاسية مما أحدث ارتجاجاً مفاجئاً في أوتار قوائمها وأضعفها. فمع كل تلك النار المتقدّة في صدرها وكل تلك الطاقة الهائلة المختزنة في جسدها الكميت الريّان، لم تكن قادرة بعد على حمل انسان على ظهرها. والآن، هل من المعقول يا ترى أن نعمل خلال ١٢ أسبوعاً على تلك القوائم الموجوعة الراغبة والمستجيبة وننجح في تقويتها وتحصينها لتصبح قادرة على أن تجري مسافة ٢٨٠٠ متر وتفوز؟

لم يكن ذلك ممكناً في رأي اريك لكنه كان على استعداد للمحاولة إن أنا قبلت.

وأنا قبلت. لن تكلّفني المحاولة سوى الجهد والعمل الحثيث، وهذا أهون على نفسي من رؤية راك – مهري أنا – يكتسح الحلبة حاملا ألواناً غريبة.

وهكذا تم الاتفاق بيننا، فأكببت أنا والمهرة على العمل. عملنا معاً وتعذبنا معاً وقلقنا معاً. وسرعان ما انقضت الاسابيع الاثنا عشر. وكنت مرتاحة الضمير، فقد عملت بكل ما أوتيت من مهارة وها أنا هنا أخيراً.

أصدرت تعليماتي الى الجوكي (١) وقلت له: "خذ موقعاً ثلاثة أطوال وراء راك الى أن تحمى المهرة. إبق هكذا حتى المنعطف الاول، وإذا تبيّن أن قوائمها ما زالت صامدة ابتعد بها الى الجانب المستقيم من الحلبة. خذ مركزاً في المقدم وابق فيه. وإذا وهنت قوائمها وقصّرت فلن يكون ذلك بسبب غلطة اقترفتها."

راك مزهو بالانتصار حتى قبل أن يفوز. إنه مهر جميل صقيل الجسم، انه السرعة مجسّدة. كملاكم في حلبة يثب ويرقص بقوائم سريعة متلهفة. أهنىء نفسي على شكله المثير للاعجاب، فإلي يعود الفضل فيه، لكنني في الوقت عينه أشعر ببعض الشماتة عندما أرى جلده المتعضّد عرقاً. ترى هل أفرط مدرّبه الثاني في تدريبه فأرهقه؟ أم تراني أخنق صوت العقل بالتمني؟

لمس إريك غوش كتفي وقال: "لم أستطع أن أتمالك نفسي، فالمهرة تبدو جذابة جداً، ولقد راهنت على فوزها باسمي وباسمك. لن اضطر الى رهن بيتي العتيق إن هي خسرت، لكننا سنحقق ربحاً - وإن ضئيلا - إن هي فازت. ترى هل لها حظ في الفوز؟"

أجبته: "قوائمها ضعيفة كقصب الشوفان، لكنها بالتأكيد سوف تحاول."

عبرت وإريك المدرّج المسقوف الى احدى الزرائب. كل شيء أصبح جاهزاً: الحكم الذي يعطي اشارة الانطلاق جاهز، الجمهور جاهز، اريك جاهز، وأنا جاهزة. خيّم على المدرج صمت جليل. وأخيراً دقت الساعة وهب الجميع وقوفاً وأعناقهم مشرئبة.

"اهدأي،" قال لي إريك، وأضاف: "إنك ترتجفين."

كنت فعلا أرتجف. استدرت صوب إريك وقد ارتسمت على وجهي ابتسامة بلهاء. وعندما أدرت وجهي ثانية كانت الاحصنة انطلقت.

شعلة البسالة

راك في المقدم كما توقعت وكما توقع الجمهور. توقفت عن الارتجاف وحتى عن التنفس. تملكني هدوء تام وسكن روعي. الجياد في الحلبة وصوت حوافرها كقصف الرعد.

راك في المركز الاول ووراءه فحل أسود يعدو بقوة. وفي المركز الثالث الى جانب الحلبة قرب السياج مهرة بنية تحاول أن تتشبث بمركز تبدو فيه مقلقلة غير مستقرة. إنها فرس لا تتميز بالسرعة بل بأسلوب خاص. إنها وايز تشايلد.

"انها تتقدم جيداً،" صرخ إريك وهو يقفز صعوداً وهبوطاً كأنه فاز في السباق. أما أنا فاكتفيت بالابتسام.

(١) الجوكي هو فارس السباق.

يعلو صوت: "هيا يا راك!"
إنه تشجيع للعدو. أعبّر عن ازدرائي بشخرة. الجوكي الذي اخترته أنا ليس أحمق. ألا ترون كيف تنزلق وايز تشايلد الى المقدم؟ أين هو راك الآن؟ تكاد تدركه، أليس كذلك؟

اندفعت المهرة كالبرق متجاوزة المهر كما تعصف الريح بالحجر وكما يطارد الفهد الكلب. مسكين راك. سوف ينفطر فؤاده.

لا. فؤاد راك لا ينفطر. أراه يرفع رأسه قليلا وأعرف أنه يبذل قصاراه ويعطي المزيد. انه فحل، وكبرياء الذكر تشعل في صدره شجاعة تطغى على الالم الذي يعصر عضلاته المحمومة. لقد نسي ذاته ونسي الجوكي على ظهره. أمامه هدف واحد. اراه يخفض رأسه وينطلق وراء المهرة مرعداً.

لم تبلغ بي قساوة القلب بعد درجة تحجب عن عيني بسالة راك الرائعة. هيا! اركض يا راك. راك الذي عرفته عنيداً جامحاً متخلف الآن ستة أطوال عن وايز تشايلد.

ولكن كم سيدوم ذلك والى متى؟ ما زالت وايز تشايلد في محاذاة السياج، سريعة كالظل، هادئة، متزنة، عاقدة العزم. نظري مشدود اليها ومنظاري مصوب عليها. ألوف العيون معلّقة بها تراها الآن تميل وتترنح.

إنها تترنح. تأوهات الجمهور تحجب أنيني وتغرقه. تبتعد وايز تشايلد عن السياج، تترجح متداعية. قوائمها تنهار، سرعتها تنهار، سباقها ينهار.

الجوكي على ظهر راك يراها. راك أيضاً يراها. يستجمع قواه ويروح يقتلع الاطوال التي تفصله عنها واحداً واحداً.

"هيا يا راك!" الصرخة الصادرة من جميع الجهات تكاد تكون همجية.

اصرخوا، اهتفوا له، استحثوه. الا ترون قوائمها تنهار؟ الا ترون أنها تركض الآن بقلبها فقط؟ فليفز راك بالسباق، دعوه يفوز.

"إريك..."

لكن إريك اختفى. فهو قفز فوق الزريبة وراح يعدو في اتجاه السياج. جمدت في مكاني عاجزة عن أي حركة. لم يعد يفصلها عن راك والمهر الثاني سوى طول واحد. راك الآن بجانبها يكاد يلامس خاصرتها. إنه يدركها، يتجاوزها، يخزيها، وهي تنهار.

أرى المشهد بوضوح كلي وتلتقط عيناي أدق تفاصيله كما تلتقط الكاميرا الصور بأمانة وصدق.

أرى وايز تشايلد تتعثر ثانية ثم تنهض. أراها تتحول من مجرد ظل الى شعلة مضيئة من البسالة، صغيرة، سريعة. أبتلع الشك الذي غزا فؤادي. ها هي في نهاية الشوط تكتسح المسافة الاخيرة على قوائم منتفخة متورمة والغبار يتطاير من حوافرها ويعفر وجه راك وفمه.

صراخ الجمهور يرتفع. اسمع هتافاته المشجعة المستحثة ووايز تشايلد على قابي قوس من خط الفوز. تصمّ أذني هتافات الاعجاب والإكبار ثم يهبط صمت مفاجىء كأن أحداً أغلق أبواب بابل.

تمّ وزن الفرسان وانتهى كل شيء وتوقفت الفرقة الموسيقية عن العزف وتلاشت أنغامها وحلّ السكون. راح الجميع يتدافعون في اتجاه الابواب مخلفين فضلات إنتثرت على الارض وفي الهواء مع الريح وفي كل مكان. أخذ إريك ذراعي وسرنا نحو بوابة الخروج نشق طريقنا بالمناكب.

"لقد حطمت رقم ليغر القياسي – وبهذه القوائم!" قال إريك وهو يحكّ ذقنه ويحاول بكل ما أوتي الذكور من عزم ألا يبدو عاطفياً، ولكن عبثاً. أخيراً نجح في إضفاء بعض الفظاظة والخشونة على صوته حين قال: "ربما بدا كلامي سخيفاً، لكنني أعرف أنك ستوافقينني الرأي، وهو أنه من حق وايز تشايلد ألا تشترك في أي سباق بعد اليوم مهما تكن المبالغ التي يمكن أن نجنيها بواسطتها."

ومنذ ذلك اليوم لم تشترك وايز تشايلد في أي سباق.



البحث عن الفيلة

كنت دائماً أعتقد أن التغيرات المهمة والمثيرة في حياة الانسان تحدث عادة عند مفترقات الطرق في عالم نسجته في خيالي. عالم يتحرك فيه الناس على أنغام موسيقى متسارعة لم يدر في خلدي قط أنه سيأتي يوم أسمعها حقيقة. في اي حال، لم يكن توقي الى ذلك العالم كبيراً ليقيني أنه موجود في عالم الكتب فقط ولا سبيل الى ادراكه إلا في خيالنا، تماماً مثل ذكريات الطفولة التي أحملها في مخيلتي لبغداد بلد شهرزاد.

ومولو كانت الوجه الآخر في هذا الحلم: حقيقية، هادئة، مملة.

التقيت طوم بلاك في احدى طرق مولو الترابية. كان واقفاً بالقرب من سيارة معطّلة يحاول بيدين اكتستا بالسخام أن ينفخ في محرّكها الصامت هدير الحياة. توقفت عنده عارضة عليه مساعدتي فتحدثنا. أخبرني أنه يملك مزرعة صغيرة، وان هي درّت عليه ربحاً وفيراً فسوف يشتري طائرة.

كنت سمعت بالطائرات، وكان ابي بين الحين والآخر يأتي على ذكرها وهو يهز رأسه عجيباً. لكنها، هي أيضاً، كانت بالنسبة الي من عالم آخر، عالم بغداد.

بين لقائنا الأول على الطريق في مولو ولقائنا الثاني فاصل كبير من الايام والاشخاص. قال لي طوم عندما التقينا ثانية: "بالطبع سوف تقودين طائرة، لا شك عندي في ذلك. أنه مكتوب في النجوم."

علّمني طوم قيادة الطائرات مستخدماً طائرة "دو هافيلند جيبسي موث" (٢). بدأنا كل صباح نستخدم ما حلا لنا أن نسميه مطار نيروبي. فكنا نقلع منه ونحلق فوق التلال والبلدة ثم نعود. ورأيت بأم العين كيف يكون الانسان سيداً للآلة الطائرة وكيف تكون هذه سيدة القوى والعوامل الجوية.

لم يسبق أن علّم طوم احداً قيادة الطائرات. ولم تكن الدروس تقتصر على الامور الميكانيكية بل تعدّتها الى أمور لا يُعبَّر عنها بالكلمات وحدها. فالحدس والبديهة والسليقة ما زالت من الاسرار والاحاجي، وكان طوم يتمتع بتلك الصفات وبسواها.

وما شركة خطوط "ولسون" الجوية – المشروع التجاري الاول من نوعه في افريقيا الشرقية – سوى وليدة خيال طوم وبعد نظره وبصيرته. وهو كان، عندما أخذ على عاتقه تعليمي التحليق، المدير المسؤول والطيار الأول والروح الملهمة في تلك الشركة الصغيرة المفعمة بالأمل والواعدة بمستقبل زاهر.

كانت وظيفة طوم في الشركة ريادة الطرق الجديدة من أجل استكشاف الاجزاء الداخلية الواقعة في عمق افريقيا وايجاد مواطىء قدم لتقدم إضافي في المستقبل. وكان غالباً يقلع من نيروبي ويحلق فوق أرض لم تعرف العجلات، ناهيك بالاجنحة، يحدوه أمل بايجاد مكان صالح للهبوط في نهاية الرحلة.

ولم يكن ذلك يتم دائماً في وضح النهار، إذ كان عليه أحياناً أن يقود طائرته في

---

(٢) De Havilland Gipsy Moth

الليل من دون منارة ترشده أو اتصال لاسلكي يرجع اليه، وبصرف النظر عن تقلبات الطقس وعن أي شيء يمكن أن يحمله الليل. ولم يكن يجد في طريقه معظم الاحيان شيئاً يستعين به، لا أنوار قرية ولا طرقاً عامة ولا أسيجة ولا مزارع. وكان، عندما يفاجئه الضباب أو العواصف، يقود طائرته في الظلام ساعات طويلة من دون معدات خاصة، ومع ذلك لم يضل طريقه مرة. كان يتمتع بتلك الصفة التي تسميها الكتب "الارتكاس الحسي"(٣).

بعد نحو ١٨ شهراً من شروعي في تلقي دروس الطيران حزت إجازة رسمية من الفئة "ب"، وهي في الانظمة البريطانية الشهادة العليا تمنح في هذا المجال. وكان في رصيدي آنذاك الف ساعة طيراناً، وكنت تخليت تماماً عن تدريب الخيول.

السحر الذي لازمني في رحلاتي الاولى سرعان ما اختفى وابتلعته مئات من ساعات التحليق جلست فيها أمام جهاز القيادة في طائرة من نوع "أفيان" أنقل البريد لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقيا. كان علي أن أكسب قوتي، فعملت في الشركة على امتداد أشهر حتى مات في ذلك الاندفاع المتفائل. بعد ذلك بدأت أنقل الركاب في كل الاتجاهات. ولأن عددهم كان في تصاعد فقد استأجرت طائرة أكبر من نوع "ليبرد موث" واضفتها الى أسطولي المكون من طائرة واحدة.

كنت أقلع براكبين، وأمّنت لي الطائرتان دخلا شهرياً بلغ نحو ٦٠ جنيهاً استرلينياً.

كنت سعيدة بهذا المبلغ، لكن ايراداً يبلغ خمسة أضعافه لا بد من أن يكون افضل منه. وهذا هو المبلغ الذي كنت سأجنيه إن أنا عملت في البحث عن الفيلة. لم يهمني أن أحداً سواي لم يرضَ بهذا العمل وأن طوم أرسل الي رسالة تحذير من بريطانيا. لكنني أثبتُ أنه عمل معقول وممكن.

أعرض في فكري جميع المخاطر المترقبة في البحث عن الفيلة بواسطة الطائرات. ولكن في اليوم الذي وصلتني رسالة طوم بالبريد تلقيت برقية جاء فيها:

"بيريل،

"كوني في مكيندو غدا السابعة صباحاً. خبر من ماكولا عن قطيع فيلة يضم ذكراً ضخماً. بابو في مكيندو يسلّمك تعليماتي الخطية.

بلكس."

بلكس، بليكي، بارون فون بلكسن، جميعها أسماء يعرف بها ذلك الاسوجي (السويدي) اللطيف الذي يبلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً. ومعلوماتي أنه أصلب الصيادين البيض وأكثرهم صموداً وتحملاً. فهو الوحيد الذي يضحك في سره من التبويق في رحلات القنص والذي يسدد بندقيته الى جاموس هائج ويصيبه بين عينيه وهو يجادل في أي نوع من الشراب سيتناول عند غروب الشمس.

كانت فرحتي برؤية البرقية مذيّلة باسمه أكبر من أن اتجاهلها.

---

(٣) Sensory reaction

من السخف أن يقتل الانسان الفيلة. فالى أن حجمها وجمال تكوينها يجعلانها أكثر ملاءمة منّا نحن البشر ذوي الشكل المزوّى لوطء هذه الأرض، فإن متوسط ذكائها تمكن مقارنته بذكائنا.

كما أنه من الخطأ اعتبار الفيل حيواناً مسالماً تماماً. والاعتقاد الشائع أن الفيل الشارد عن قطيعه فقط يشكّل خطراً على الانسان هو اعتقاد خاطىء أيضاً، وخاطىء الى حد أن كثيراً من الرجال الذين آمنوا به قضوا محرومين حتى من حق الاموات في الانحلال التدريجي. فذكر الفيل، وقد أثارته رائحة البشر، يهجم للحال معظم الأحيان. وسرعته، كما خفّة حركته، مدهشتان لا تصدَّقان. سلاحه خرطومة وقوائمه، على الأقل في المهمات الكريهة التي يفتك فيها بالبشر الضعفاء. أما ناباه، ذانك السيفان العاجيان المتألقان، فإنه يدخرهما لاعدائه المتألقين.

لا يسعني القول إن بلكس وأنا مصنفان ضمن هذه الفئة المتألقة، خصوصاً بعد مطاردتنا الذكر الضخم، او بالاحرى بعد مطاردته إيانا. وما زلت الى اليوم أشعر بمسرّة صادقة لاننا خرجنا سالمين، لكن ذكرى ذلك النهار ما زالت تراود أحلامي.

كانت رحلة قنص متواضعة ضمّت ثلاث خيم: واحدة للزبون الامريكي الثري ونستون غست والثانية لبلكس والثالثة لي. وكان هناك ايضا عدد من الخيم - الملاجىء لحملة البنادق من الرجال المحليين ولمقتفي الآثار. أما شجرة الباوباب الاستوائية في المخيم فأفاد منها الجميع كشرفة.

بعد هبوطنا بأقل من نصف ساعة كنت وبلكس في طائرة "أفيان" نستكشف موائل قطعان الفيلة قبل وصول ونستون ذلك المساء. واذا وجدنا قطيعاً، وإن على مسافة يومين أو ثلاثة أيام سيراً، لكان ذلك حظاً خارقاً.

ليس أمراً غير عادي بالنسبة الى صيادي الفيلة أن يمضوا أشهراً في تقفي ذكر فيل واحد. والاستكشاف بالطائرة يغني عن الكثير من الاعمال التحضيرية. وحتى إن وقعنا على قطيع من الفيلة على بعد ٥٠ أو ٦٥ كيلومتراً من المخيم، فإن ذلك يعني أنه لا زال يتعيّن على الصياد أن يقطع تلك الكيلومترات سيراً أو زحفاً أو حتى تلوياً في طقس خانق وعبر أدغال كثيفة تكتنفها أشجار الزعرور الشائكة وتعجّ بالبعوض والعقارب والافاعي وذباب التسي تسي الذي يحمل مرض النوم. وهذه المشقات الهائلة هي جوهر رياضة صيد الفيلة، ووحدهم الأغنياء قادرون على تحمل تكاليفها.

كان الحظ الى جانبنا، فعلى بعد خمسة كيلومترات من شجرة الباوباب التي كانت مشاعاً شاهدنا اربعة فيلة بينها ثلاثة ذكور رائعة. لم يكن ذلك عدلاً، إذ كان في وسعنا أن نحط بالطائرة في المخيم ثم نتقدم من الفيلة سيراً ونتفحصها عن كثب ونتعرف الى نواياها.

كان معنا ماكولا، مقتفي الأثر الاسطوري في مكمبا. يأتي الناس في رحلات صيد ويذهبون، لكن ماكولا ماضٍ في عمله الى آخر الايام. وأظن أنه من أعقل الناس الذين عرفتهم. وما زلت أذكر ملاحظة أبداها لأحد مقتفي الأثر الجدد حين أظهر

حماسة مفرطة. قال له: "الرجل الابيض يدفع مالا ثمناً للأخطار. نحن الفقراء لا يسعنا ذلك. أعثر على الفيل ثم ابتعد لكي تظل على قيد الحياة وتجد سواه."

كان ماكولا يشق طريقه أمام بلكس بحذر وبطء حين أشار اليه فجأة أن يتوقف. وبخفّة وصمت تسلق شجرة ثم نزل منها. أشار الى شق في الاجمة وأخذ ذراع بلكس ودفعه الى الامام قبل أن يختفي. سار بلكس الى حيث أشار وأنا في اثره.

توقف بلكس. قال لي شيئاً بالاشارة وفهمت منه. راقبي الريح، هو قال، دوري حولهما. أريد أن أرى أنيابهما.

دوري، حقاً! فإكمال مجرد نصف دائرة قطرها ٥٠ متراً استغرقنا أكثر من ساعة! كان الفيلان ذكرين كبيرين ولديهما ما يكفي من العاج: ٤٥ كيلوغراماً أو أكثر.

كان بلكس مسروراً يتصبب عرقاً حين رفع أحد الفيلين رأسه فجأة وشمخ بخرطومه وتحرك ليواجهنا باسطاً أذنيه العملاقتين كأنه يلتقط بهما حتى صوت خفقات قلبينا. وهو كان مرّ صدفة ببقعة غادرناها لتوّنا فالتقط أنفه رائحتنا، ولم يكن يحتاج الى أكثر من ذلك.

نادراً ما رأيت شيئاً يضاهي ذلك الفيل الذكر هدوءاً أو تصميماً على التدمير. ويصح القول فيه إنه ذهب الى القتل وهو يرقص. ولأنه شبه أعمى كجميع الفيلة، لم يرنا، ولكن كان في امكانه أن يهتدي الينا بواسطة الصوت والرائحة، وذلك لن يستغرقه أكثر من ٣٠ ثانية.

أومأ بلكس الي وهو يلوي أصابعه في اتجاه الأرض، وهذا معناه "ارتمي على الارض وازحفي."

من المدهش كم يرى المرء من حشرات عندما يكون على بعد بضعة سنتميترات من الأرض. ولم أكن زحفت أكثر من متر واحد حين امتلأت ثيابي بممثلين لأكثر من ٥٠ نوعاً من الحشرات.

كادت عيناي تلامسان قدمي بلكس الذي كان يجر ساقيه بين الشجيرات النامية تحت الاشجار الكبيرة وكأنما بحبال. لا أعرف كم مضى علينا من الوقت ونحن نزحف هكذا. وما كدنا نقطع حوالى ١٠٠ متر على هذا النحو حتى تحولت لسعات الحشرات في جسدي بقعاً متسعة حارقة.

كنا نتنفس بسهولة. أو على الأقل كنت أنا أتنفس بسهولة عندما جمدت ساقا بلكس وقدماه فجأة. رأسه فقط كان يتحرك وهو اشرأب بعنقه وراح يحدّق الى أعلى. كان الفيل الضخم على بعد ثلاثة أمتار منا، وهي مسافة لا تكون الفيلة ضمنها عمياء.

إنتصب بلكس ببطء ورفع بندقيته وعلى وجهه تعبير حزين يفوق الوصف.

إنه يفعل ذلك من أجلي، قلت في نفسي، وهو يعلم علم اليقين أن الفيل سيسحقنا كثمرتي مانغو وإن أصابه في الدماغ. فرصاصة واحدة لا تكفي لايقاف فيل بذلك الحجم.

لو كان المكان خالياً من الاشجار لتمكنا من المراوغة إجتنابا للمحتوم. لكنه لم يكن كذلك. وكنا كالعالق في شرك يراقب جلمود صخر يترجح على حافة جرف شاهق قبل أن يهوي عليه ويسحقه وعملا بتعليمات بلكس، وقفت وراءه ويداي على خصره على رغم شعوري بأن ذلك لن يجدي.

خطر لي أن تلك كانت اللحظة المناسبة لاطلاق النار.

لم يأت بلكس أي حركة. سدّد بندقيته بثبات وبدأ ينشد أغنية من أدهش ما سمعت في حياتي من عبارات التجديف. ومع أنها كانت أغنية مبتكرة نابضة بالحياة والالوان، وقد أداها برقّة واناقة، فاني شعرت بأنه أساء اختيار الوقت لاختبارها.

تقدّم الفيل نحونا وأطلق بلكس سيلا جديداً من الشتائم، انما باللغة الاسوجية هذه المرة. كنت أرتجف، لكنه لم يطلق النار.

"ربما اضطررت الى اطلاق النار،" أعلن بلكس. واستوقفني اعلانه ذاك ووجدت فيه تصريحاً مكبوتاً رائعاً.

لا يتصور الانسان أن للفيل فماً لأنه لا يراه أبداً عندما يكون خرطومه منخفضاً. لذلك يُصدم عندما يقترب منه وهو رافع خرطومه ليُفاجأ باكتشاف ذلك الشق المستطيل الأحمر القاني والاسود. وكنت أراقب فمه بنوع من الفضول الغبي عندما اطلق الفيل تلك الصرخة المدوية التي باعتقادي أنقذت حياة بلكس وحياتي.

كانت صرخة أصيلة رنّانة اعتبرتها بقية الفيلة التي كانت ترعى في الاجمة تحذيراً مشروعاً، فانصرفت بجلبة خِلت معها أن العالم اقتُلع من جذوره. أخذت كل شيء في طريقها من شجر وعشب وتراب، كذلك الوحش الذي جبهنا. توقف برهة ثم أرهف سمعه، وكبوابة سرداب دار على عقبيه ببطء وابتعد مخلفاً إعصاراً من الشجيرات المتداعية والغصون المتساقطة.

عندما خيّم الصمت أخيراً بعد طول انتظار خفض بلكس البندقية. كنت منهكة منفعلة ورحت ألعن الحشرات من كل نوع. وعدنا أدراجنا الى المخيّم من دون أن ينبس أحدنا بكلمة. ولكن عندما ارتميت أخيراً في كرسيّ من قماش القنب تنكّرت لقواعد اللياقة والأدب المفروضة تاريخياً على بنات جنسي وسمحت لنفسي بسؤال وقح فقلت مستفهمة: "أعتقد أنك أفضل صياد في افريقيا يا بليكي، ولكن هناك أوقات تكون فيها روح الدعابة لديك رهيبة. لماذا لم تطلق النار؟"

رفع بلكس نظره وأجابني وهو يحدّق الى أوراق شجرة الباوباو: "لا تكوني سخيفة، إنك تعلمين مثلي تماماً لماذا لم أطلق النار. تلك الفيَلة هي لصاحبنا ونستون."

وداعاً يا افريقيا

فاز طوم ومساعده في السباق الجوي الدولي الذي يقام بين ملدنهول في بريطانيا وملبورن في اوستراليا قاطعين ما يقارب نصف المسافة حول العالم.

يجب ان اذهب الى بريطانيا بالطائرة. لماذا؟ لانني فضولية ولانني أصبحت جوّالة لا سبيل الى اصلاحي.

سألته: "أتريد أن تطير الى لندن يا بلكس؟" وهو أجابني بنعم من دون أن يرفع نظره عن البندقية التي كان يداعبها بأنامله وكأنها كمان.

لم تكن الرحلة بالطائرة قياسية لا من حيث السرعة ولا من حيث الاحتمال. ومع أننا أخذنا الوقت الكافي ولم نحاول أن نتجنب أياً من نقاط التوقف الضرورية، فانها لم تكن رحلة باهتة أو مملّة. ففي مارس (آذار) ١٩٣٦، كانت الرحلة بالطائرة من نيروبي الى لندن ما زالت غير مألوفة وبعيدة عن الابتذال. وعلى رغم وجود مهابط ومطارات في الطريق بين المدينتين، فان الارض الفاصلة بينهما لم تكن لتقلّ عن سطح القمر وعورة وانعزالا. فبعد الصحراء كان أمامنا البحر لنقطعه. وبعدما قطعنا خليج سيدرا هبطنا أولا في طرابلس الغرب ثم في تونس، ثم لاحت أمامنا تلال خضراء وكنا بلغنا نهاية القارة الافريقية. ربما كان علي أن أستدير بالطائرة وأنحدر تحيّة لتلك الأرض التي، وإن كانت ستبقى في مكانها لا تحول ولا تزول، إلا أنها لن تكون عند عودتي افريقيا نفسها التي عرفت. ومن يعود الى افريقيا بعد طول غياب لا بدّ من أن يجد أنها تغيّرت.

أمضينا تلك الليلة في باريس. وبعد ظهر اليوم التالي جلسنا أنا وطوم بلاك وبلكس في فندق "ماي فير" في لندن وسط جميع كماليات الحضارة ومتطلباتها.

عاجزة فوق البحر

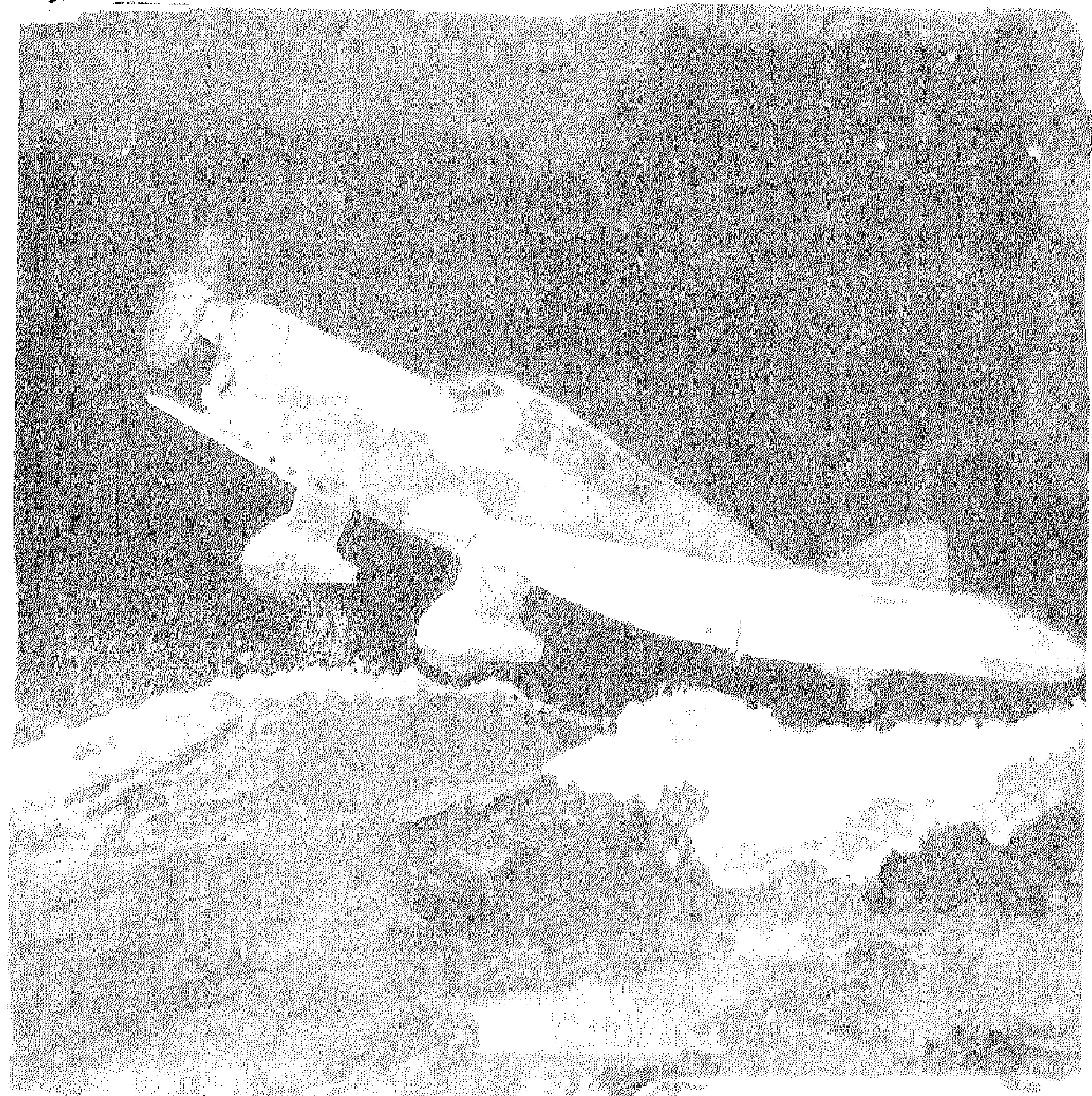
ها أنا أغادر لندن بمفردي هذه المرة. انني أقود طائرة الـ"فيغا غل" أشق بها الظلام في رحلة فوق الاطلسي آملة أن تحطّم الرقم القياسي.

ها أنا الآن فوق جنوب ايرلندا وقد مضى على إقلاعي من بريطانيا أكثر من ساعة. ويلز الآن ورائي، كذلك بحر ايرلندا وكأنهما وقت استنفدته.

في الرحلات الطويلة ينصهر الزمن بالمسافة ويصبح الاثنان واحداً. ولكن كان هناك لحظة خلت فيها أن الزمن توقف، لحظة حاولت أن أرتفع بالطائرة الفضية والزرقاء عن أرض المطار تحت عيون آلات التصوير المصوّبة الينا، لكن الطائرة تمرّدت على حملها الثقيل وحرنت وتشبثت بالأرض. كانت لحظة تجمّد فيها الزمن قبل أن يتناهى الى سمعي أخيراً دليل استجابة عصا القيادة.

أخيراً أقلعت بها. وعندما أصبحنا في الجو همست لي: "ها انني ارتفعت بالحمل. والآن ما هي وجهتنا؟" سؤال وجيه أرهبني. "وجهتنا مكان يبعد ٥٨٠٠ كيلومتر من هنا بينها ٣٤٠٠ كيلومتر من الطيران المتواصل فوق المحيط. سفرنا معظم الوقت في الليل، إننا نتجه غرباً مع الليل."

كورك ورائي، وأمامي منارة برهافن. إنها المنارة الاخيرة على اليابسة. أجتازها الآن وليس أمامي سوى البحر.



ينهمر المطر. الظلام دامس خارج مقصورة القيادة. مقياس الارتفاع في الطائرة يشير الى أنها على ارتفاع ٦٠٠ متر، و"الافق الاصطناعي"، وهو اداة لمعرفة زاوية الشمس أو النجوم حين تتعذر رؤية الافق الحقيقي، يشير الى أن الطائرة في وضع أفقي مستوٍ. في تقديري أن الطائرة منحرفة ثلاث درجات أكثر مما يوحيه جدول الطقس، أعدّل مسارها وفق المطلوب.

تجربة مدهشة أن تجد نفسك وحيداً في شبه ظلام وفي موقع لا سبيل الى تغييره وليس لك عنه رجوع، وإن لفترة وجيزة كنهار وليلة، ولا شيء يكسر وحدتك، لا شيء تتأمله سوى أدواتك ويديك، لا شيء تقلّبه في فكرك وفي تأملاتك سوى مقدار ما تملك من شجاعة متواضعة، لا شيء يثير في نفسك العجب والتساؤلات سوى الوجوه

والمعتقدات والآمال المتجذّرة في وجدانك وفي ضميرك. انها تجربة تشبه الوهلة التي تصيبك عندما تكتشف فجأة أن غريباً يسير الى جانبك في الليل. هذا الغريب هو أنت.

انها العاشرة مساء. أحلّق في الدائرة الكبرى ووجهتي مرفأ غريس في نيو فاوندلاند. تواجهني ريح معاكسة وسرعتي ٤١٠ كيلومترات في الساعة. لا أدري كم ساعة من الطيران تلزمني بعد، بسبب الطقس. أعتقد انه ما زال أمامي بين ١٦ و١٨ ساعة.

إنها العاشرة والنصف مساء. ما زلت أحلّق بالوقود المعبأ في الخزّان الكبير على أمل أن استنفده وأضع حداً لذلك السائل المدوّم الذي جعل الطائرة تترجح وتهتز منذ أقلعت بها. أجهل سعة الخزان ولكن على جانبه كتابة تؤكد أنه يخدم أربع ساعات.

إنها كفالة واضحة لا لبس فيها، وأصدّقها. ولكن ما ان بلغت الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين مساء حتى "سعل" المحرك ثم توقف. ومع توقفه أصبحت الطائرة عاجزة تماماً.

أتصور أن المقصود بعبارة "احتفظ بهدوئك" هو أن ينكر المرء الدافع الطبيعي ويرفضه. إلا أن لهذا الدافع مبرراً. والدافع الطبيعي عند الانسان الذي يجد نفسه جالساً في الليل في طائرة تحلق على ارتفاع ٦٠٠ متر فوق البحر ومحرّكها متوقف يأبى أن يدور، هو أن يشد عصا القيادة الى الخلف مضيفاً بضعة أمتار الى تلك السنتمة التي تفصله عن الكارثة. فالفكر والمعرفة وجميع القواعد والقوانين التي تقول له إن خلاصه ليس بهذا العمل بل بعكسه، أي بتحويل الطائرة نحو الماء، تبدو له تخلياً رهيباً عن العقل السليم. قلبه يرفضها وعقله يرفضها. يدا ذلك الغريب فقط تمتثلان لها، وتعملان بحذافيرها، انما من دون حس أو شعور.

انني هناك في الطائرة. أراقب. أرى يدين تتحركان، تدفعان عصا القيادة الى الامام. أشعر باستجابة الطائرة التي بدأت انحدارها نحو المحيط. بالطبع إن الامر بسيط، فالوقود نفد من الخزان بسرعة غير متوقعة وما علي إلا أن أدير صنبوراً صغيراً آخر.

المقصورة غارقة في الظلام. وعلى رغم أنه من السهل رؤية القرص المضيء في مقياس الارتفاع الذي أشار الى أن الطائرة على ارتفاع ٣٣٥ متراً، إلا انه ليس سهلا رؤية صنبور صغير مثبت في مكان ما قرب أرض الطائرة. أرى يداً تتلمس طريقها في الظلام وتعود حاملة مشعلا كهربائياً، وأرى أيضاً أنامل تتحرك بهدوء ورباطة جأش فتجد الصنبور وتديره. اني أنتظر.

الطائرة على ارتفاع ٩٠ متراً والمحرّك ما زال هامداً. اني أعي تماماً أن ابرة مقياس الارتفاع تتحرك دائرياً كشعاع في دولاب مغزل ملتهمة المسافة المتبقية بين الطائرة والمياه.

يستحيل علي أن أطرد من رأسي فكرة أن تلك هي نهاية رحلتي الجوية. غير أن ردود فعلي غير تقليدية وغير مألوفة. فأحداث حياتي لا تمر أمام عيني كشريط سينمائي مجنون. أشعر فقط بأن كل ذلك حدث من قبل. وهو فعلا حدث مئة مرة، في مخيلتي وفي نومي، ولهذا السبب لا أشعر بالخوف ولا يتملكني الرعب.

لا أعرف مدى المسافة التي كانت تفصلني عن الماء عندما عادت الحياة تدب في المحرّك. استرخت يدي على عصا القيادة وعادت إبرة الارتفاع تدور كالمغزل مبعدة المسافة التي فصلتني عن البحر.

يجب أن أحمد الله. أتوجه اليه بالشكر وإن على نحو غير مباشر. اني أشكر جيفري دو هافيلاند الذي صمم محرك الطائرة الذي لا يقهر. أشكر جيفري الذي هو أولا من ابداع الله.

مستنقع من دون إسم

فيما أنا أراقب انبلاج الفجر رأيت السفينة، ولاحت أمامي صخور نيوفاوندلاند يلّفها شريط من الضباب، بكل ما تحمله للطيار من معان لن تتغير. غمرني شعور بالابتهاج ممزوج بالذنب لأنني تحدّيت سلطة الطقس الصارمة وجبروت البحر وتغلبت عليهما بالمراوغة والحيلة.

شعرت بالبرد وبتعب شديد وبدأ الجليد يغشي زجاج المقصورة والضباب يداعب الأرض في ألعاب سحرية. الأرض كانت هناك. صحيح انني لا أراها الآن، إلا أنني قد رأيتها. لم يسعني أن أصدّق أن الأرض التي رأيتها كانت مجرد أرض وليست أرضي أنا التي قصدت.

جنوباً الى كيب ريس وغرباً الى سيدني في كيب بريتون. استعنت بالمنقلة والخريطة والبوصلة لأحدد مساري الجديد. لن يطول الوقت قبل أن تظهر نيوبرنزويك ثم مين وبعدهما نيويورك. يمكنني أن أتوق وأتوقع.

النجاح يولد الثقة. كنت أحلّق في اتجاه الريح وما زال خزان الوقود الاخير مليئاً الى ثلاثة أرباعه والدنيا براقة مشرقة. لو كنت أكثر حكمة ووعياً لأدركت أن تلك اللحظات لا تدوم طويلا. بدأ المحرّك يرتعد ثم توقف ثم بقبق ثم عاد فدار لكن بصعوبة وبطء. "سعل" ثم نفث دخاناً أسود في اتجاه البحر.

لكل شيء إسم، واسم ما حدث "انحباس هواء." ظننت أن في امكاني أن أعالجه وأتخلص منه بإدارة الخزانات الفارغة جميعها على نحو متقطع. وهذا ما فعلته. كانت مماسك الصنابير أشبه بدبابيس معدنية حادة صغيرة أدمت يديّ. وبعدما فتحتها وأغلقتها عشرات المرات رأيت يدي داميتين وقطرات من الدم تسقط على الخرائط وعلى ثيابي. ومع ذلك لم يأت الجهد ثمراً. واصلت التحليق في محاذاة الساحل بمحرّك مترنح أعرج عليل.

بدأت الطائرة تنحدر ببطء، وتسرّب الى قلبي شعور بالاخفاق. لو انني نجحت

فقط في الهبوط على اليابسة لكنت أول انسان يقطع المحيط الاطلسي بالطائرة آتياً من بريطانيا . والهبوط الاضطراري في نظري اخفاق لان هدفي كان نيويورك . لو أمكنني أن أهبط في مكان ما ثم أعود فأقلع ثانية لاستطعت بلوغ الهدف. لو أنه فقط...

المحرك يتعثّر، يتوقف، يبقبق، تعود اليه الحياة. وفي كل مرة كنت أحلق بالطائرة الى أقصى ما يمكنني الوصول اليه من علو قبل أن يعود المحرك الى البقبقة والطائرة الى الانزلاق. الرؤية الآن ممتازة وأرى أرضاً أمامي لا يفصلني عنها أكثر من ٨٠ كيلومتراً. إن كانت الطائرة في مسارها الصحيح فإن ما أراه الآن لا بد من ان يكون كيب بريتون.

انني أحلق فوق اليابسة. أتفحص الخريطة لاتحقق موقعي. أجد أنني حتى بسرعتي المشلولة كنت على بعد ١٢ دقيقة طيراناً من سيدني، حيث يمكنني أن أهبط وأصلح الاعطال التي أصابت طائرتي ثم أقلع ثانية وأتابع رحلتي.

يتوقف المحرك من جديد وتبدأ الطائرة الانزلاق. لكنني لست قلقة، سوف يدور ثانية، وسوف أرتفع بها وأصل الى سيدني.

لكن المحرّك ساكن لا يدور. تتابع الطائرة انحدارها نحو اليابسة. إنها أرض ترابية سوداء أجهلها وأجهل اسمها . طائرتي معلقة فوقها وأنا معلقة بالامل وبمروحة ساكنة لا حراك فيها . أميل بالطائرة، أدور بها ، أنزلق جانبياً ، أحاول أن أتفادى الصخور. تلامس عجلاتي الأرض، أشعر بها تغرز في التراب. مقدم الطائرة مطمور في الوحل. يندفع جسدي الى الامام ويرتطم رأسي بزجاج واجهة المقصورة. أشعر بالدم يسيل على وجهي ويغطيه.

جررت نفسي ونزلت من الطائرة بخطى متعثرة. غمرني التراب والوحل الى الركبتين. وقفت هناك أحدّق بغباء ليس الى الأرض حولي بل الى الساعة حول معصمي.

احدى وعشرون ساعة وخمس وعشرون دقيقة رحلة جوية فوق الاطلسي. من ابنغدون في بريطانيا الى مستنقع من دون اسم – من دون توقف.

صياد من أبناء جزيرة كيب بريتون عثر علي اتخبط في وحل بلاده الذي طوقني من كل صوب. وهو كان يقطع المستنقع بمشقة عندما رأى الطائرة، ذنبها في الهواء ومقدمها مدفون في التراب. اصطحبني الى كوخه على الساحل حيث أجريت اتصالا هاتفياً بمطار سيدني ذاكرة أنني سالمة وبخير لكي أحول دون حملة تفتيش لا لزوم لها.

صباح اليوم التالي نزلت من طائرة حطت في مدرج فلويد بينيت في نيويورك. وكان في استقبالي حشد ظل ينتظر وصولي ليحييني. فأنا من قطع المحيط الاطلسي الشمالي من الشرق الى الغرب. وقفت مبهورة وسط الوجوه المتلهفة ورنين الاجراس والبرقيات، وسط أناس حرصوا على التعبير لي عن اعجابهم وتقديرهم لما

فعلته إذ كدت أصل الى نيويورك، وهل أوقع لهم اسمي بخط يدي إن سمحت؟
وعلمت أن الـ"فيغاغل" لم تخذلني، إذ تبين عند الفحص أنه في مكان ما بعد ساحل نيو فاوندلاند استقرت كمية من الثلج في مسرب الهواء في خزان الوقود الاخير موقفة جزئياً تدفق الوقود الى المكربن. ولطالما تساءلت منذ علمت ذلك كيف استمرت الـ"فيغا" في التحليق كل ذلك الوقت رغم ذلك العائق.

شعرت بامتنان عميق للدفء والكرم اللذين أحطت بهما في أمريكا، ولست أتذمر من أن شهرتي كانت عابرة وسريعة الزوال، فذلك كله حصل فعلا، وإذا ما ساورني الشك احياناً في صحته فما عليّ الا الرجوع الى سجل الطائرة والى الوثائق والاوراق التي أحفظها وأعتز بها من برقيات عن رحلتي الجوية فوق الاطلسي وقصاصات مختارة من الصحف وصورة فوتوغرافية للـ"فيغا" تظهرها ومقدمها غائص في وحل نوفاسكوشا الاسود العضوي. إنها ذكريات مسطّرة بالحبر.

لم أكن احتاج الا الى شخص يقول لي: "تعرفين، يجب أن تكتبي ذكرياتك تلك. إنه حقاً واجب عليك!".

بيريل ماركهام ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

(سقط سهوا في العدد الماضي اسم د. باسمة سكرية عيدمترجمة كتاب الشهر "الحشاش الكبير").



الصمت خير علاج

راحت راكبة اوتوبيس ثرثارة تمتع رفيقتها بما يشبه قصة ابريق الزيت حول مشاكل اسنانها المتنامية بحيث ازعجت الركاب الآخرين. وتابعت المرأة حديثها: "لقد صرفت ثروة على فمي."

فسألتها رفيقتها: "هل جرّبت طبيب اسنان آخر؟ هل جرّبت مسكّنات الالم؟"

وقبل ان تستطيع المرأة الرد دوّى صوت عال واضح: "هل جربت شريطاً يُثبت على الفم؟"

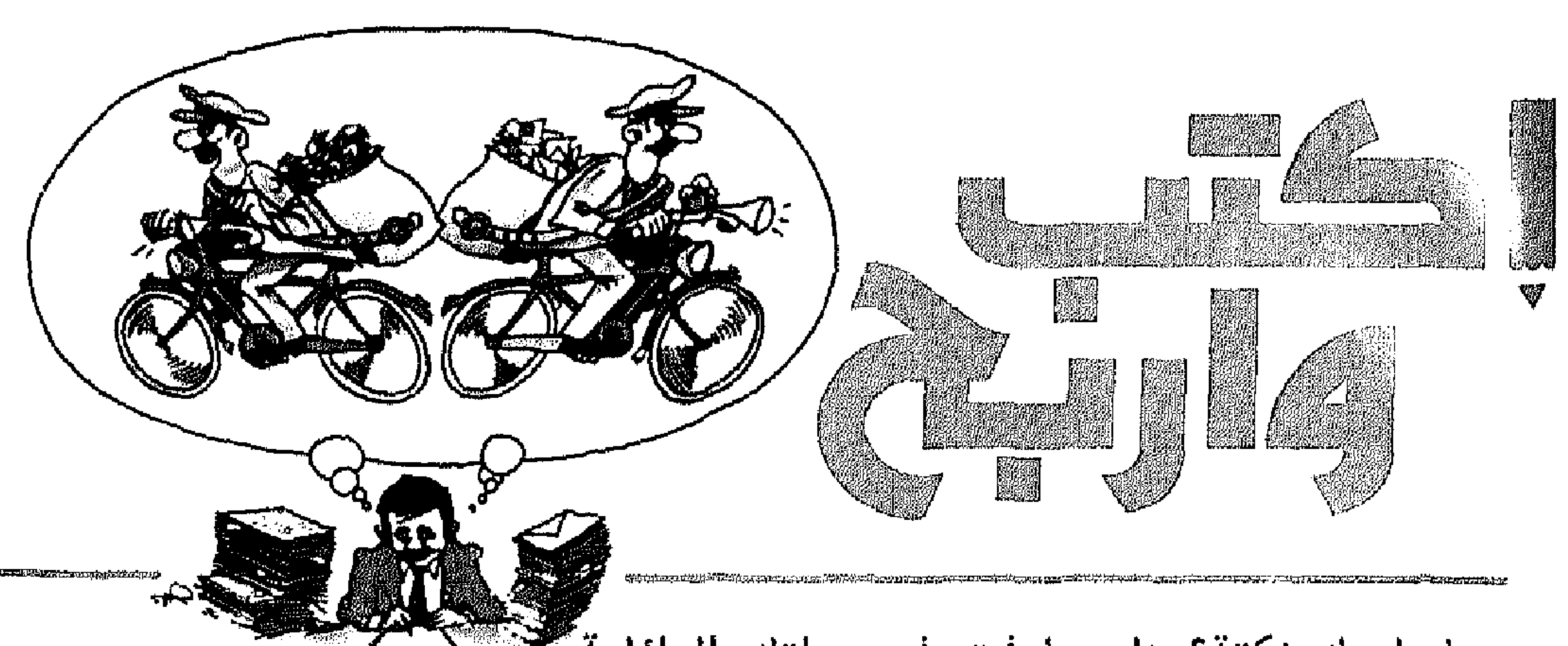
ج.ل.

سبق صحافي!

بعدما عمل مروان فراشاً في الصحيفة لمدة طويلة، رُقّي حديثاً الى وظيفه محرر. وخلال يومه الاول "في الشارع" لاحظ عشرات من ضباط الشرطة يتحركون دائرياً في غير نظام امام مبنى قديم، فضغط بعنف فرامل سيارته وقفز منها مسرعاً نحو قائدهم. وبعدما ابرز بطاقته الصحافية سأل القائد بحدة: "ماذا يجري هنا؟"

فاجاب القائد بعد تردد قصير: "نقوم بعملية تبديل روتينية."

ج.س.



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

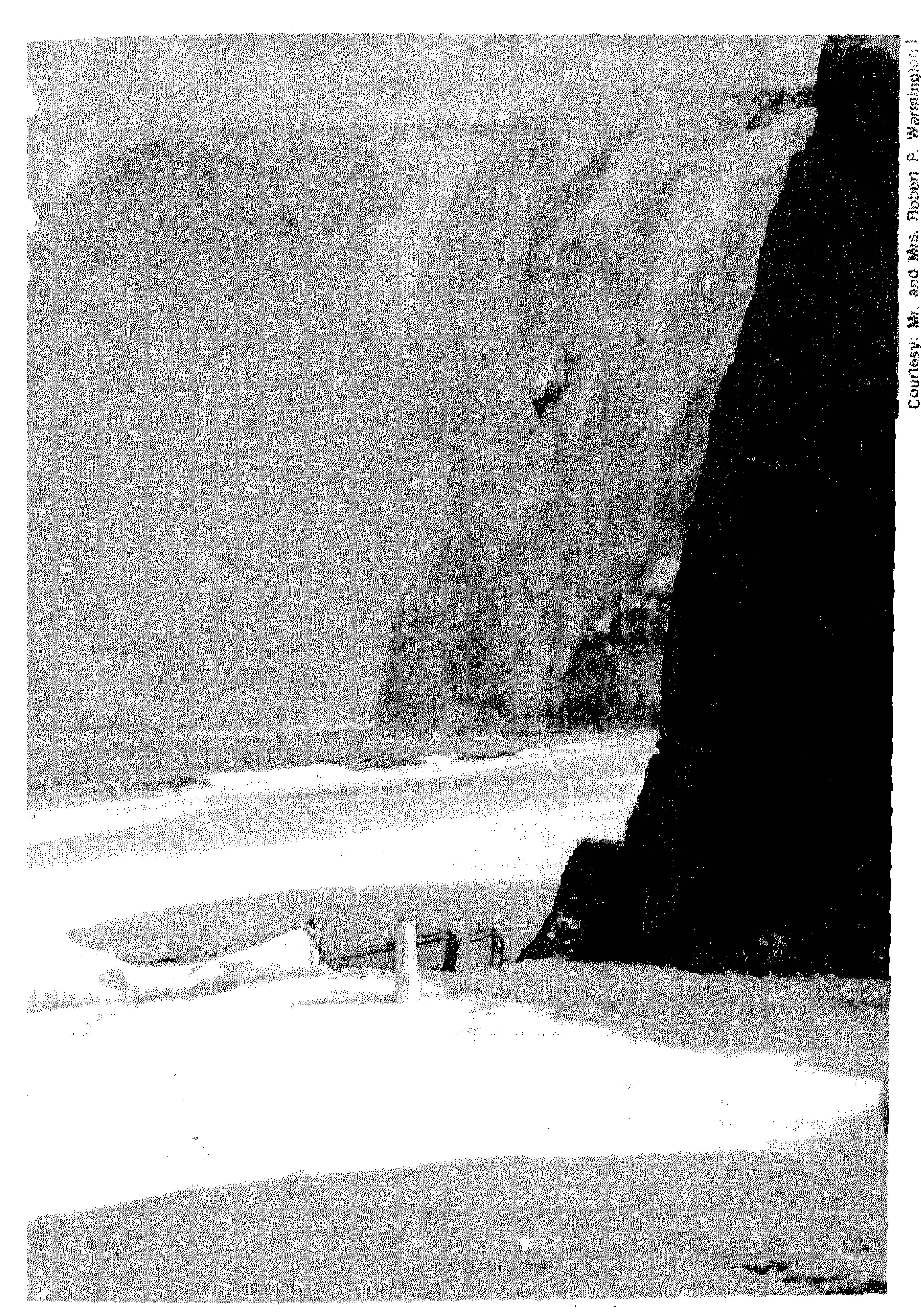
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ✯ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ✯ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ✯ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ✯ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ✯ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ✯ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ✯ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



Courtesy: Mr. and Mrs. Robert P. Warmington

نور الصباح للرسام الامريكى الفريد منتشا.